أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٨١) عشر ١٤٣٥هـ / ديسمبر ٢٠١٣م

50 عاماً من العطاء

المرأة في الميزان

- المرأة والعمل
- زينب.. زوجة الأمراء
- موسوعة المرأة عبر العصور
- المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر
- هي.. قضية الشخصية الإسلامية بكل أبعادها

مجاناً مع العدد «براعم الإيمان»

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
www.alwaei.com

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

اشترك الآن
واحصل على إصداراتنا

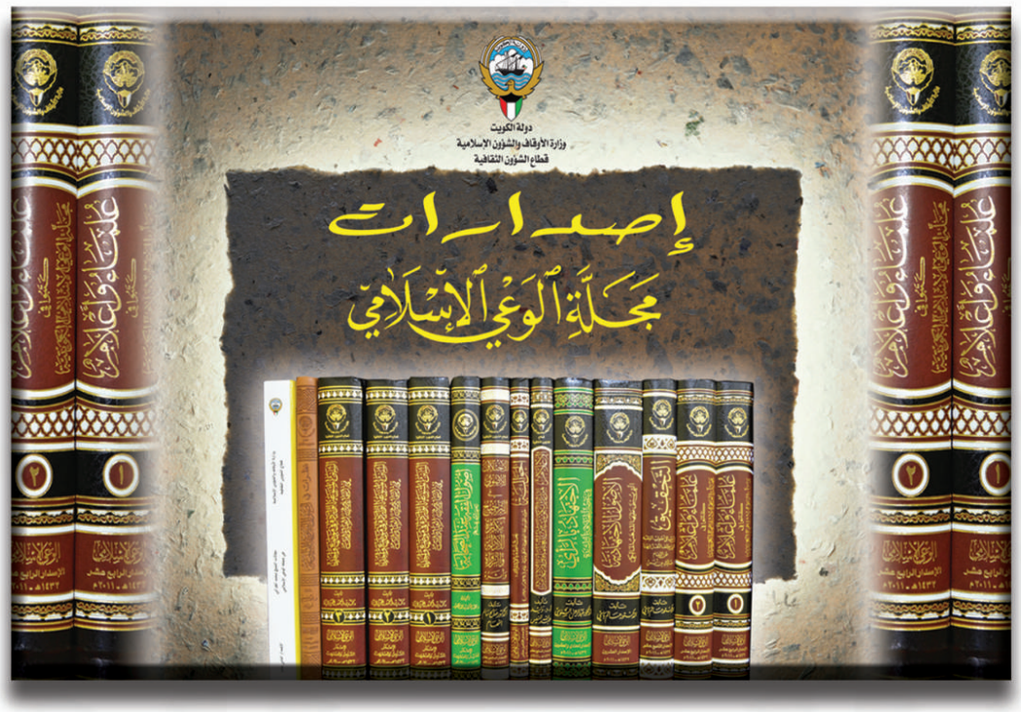

حقيبة إصدارات «الوعي الإسلامي»
تحتوي على مجموعة متنوعة
من الكتب الشرعية والثقافية
والفكرية والأصولية واللغوية

الافتتاحية

شقائق الرجال

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

خلق الله الخلق من ذكر وأنثى، وجعل بينهم مودة ورحمة، وجعل لكل خاصية تميزه عن الآخر، في الخَلق والخُلق، وفي النفس والبدن، مع وحدة الفطرة البشرية، والكرامة الإلهية، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ « والنساء شقائق الرجال».

فالمرأة شريكة الرجل في السراء والضراء، وأليفته في الرخاء والبأساء، ومع وجود هذه الحقائق، فالجاهلية اتبعت أهواءها وشهواتها، فلم تلتفت لتلك الفروق، وصادرت الحقوق، وحمَّلتها من التبعات والواجبات، بدعوى المساواة، فدور المرأة يشهد له التاريخ، عنصر حي مضحٍّ يرتاد المخاطر، ويقتحم الصعاب، ويستسهل المشاق، لا تعرف الخوف ولا الوهن، وساهمت المرأة في هذه الأحداث، وأوكل لها عملا يناسب طبيعتها ، لتعلم أن مسؤوليتها في هذا الدين لا تقل عن مسؤولية الرجل، فهي مكلفة بحمل الأمانة، واليوم ينبغي أن تتحقق فيها صفات الجيل الأول، وأن يسير عقلها مع قلبها، فتبلغ الكمال، وتنافس الرجال، في تأدية الواجب المفروض عليها بحكم طبيعتها، وأما التقليد الأعمى فذلك ما لا يجدي نفعا.

وصيانة المرأة وممارستها الحياة حسب طبيعتها، ليس اضطهادا لها، أو تحقيرا لشأنها، كما يدعي الجاهلون ، وإنما ذلك مبالغة في احترامها، وحرص على عفافها، أن تدنسه أيدي الآثمين، أو تسلبه منها زخارف المخادعين.

وهل كانت المرأة في نظر الشريعة السمحة، إلا كالوردة النضرة، لا تشتم بهجتها، ولا تستكمل محاسنها، إلا إذا بعدت عن لمس العابثين.

والإسلام قد رفع شأن المرأة، وأعلى من قدرها، ونقلها من بيئة الابتذال والمهانة، إلى منزلة الاحترام والعفاف والصيانة، وشرع لها من الآداب الحسنة، والشرائع المحكمة، ما يجعلها دائما موفورة الكرامة.

ودعوى مساواتهن بالرجال، على أساس أنها تصلح لكل ما يصلح له الرجل، مع اختلاف طباعهما، دعوى باطلة، تتعارض مع ما أنزل الرحمن، من قوله في القرآن ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ وقوله ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فما أبلغ هاتين الآيتين، ولا ينقص هذا الموقف ما تستحقه من التقدير والاحترام.

وصدق القائل:

سَعَتْ بالحق وافدة النساء ... إلى شمس الهداية والسَّنَاء
فقالت وهي في أدب تُناجي ... بحكمتها إمام الأنبياء
كلا الجنسين من ذكر وأنثى ... ندين له ونذعن بالولاء
فهل نُجزَى كما يُجزون حَقا ... ونُعطى مثلهم أجر الوفاء
أجلْ حسن التبعّل عند زوج ... يعادل كلَّ ذلك في الجزاء

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٨٢ | صفر ١٤٣٥ هـ
العام الواحد وخمسون
ديسمبر ٢٠١٣ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
يحيى بوم

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ
الكويت – هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ – ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة – متفرع من شارع جامعة الدول العربية – المهندسين – الدور الأول – مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد

قضية المرأة هي قضية الشخصية الإسلامية بكل أبعادها والتي تحتاج إلى إعادة بنائها

١٦

النفاق الاجتماعي وخطره على الأمة

٤٦

تقنيات كشف الكذب في تشريع الإجراءات الجنائية الإسلامي

٦٤

اللغة العربية.. صورة لقيمة الأمة

٨٢

مضايقات مواقع التواصل الاجتماعي.. صداع المراهقين

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦- ٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

- اليمن – صنعاء – الدار العربية للنشر والتوزيع ت – ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان – شركة نعنوع الصحفية – ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا – دمشق – برامكة – ص.ب ١٢٠٣٥ – ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ – المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن – عمان – شركة وكالة التوزيع الأردنية – ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ – ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٧٧٧٣٣
- مصر – القاهرة – شارع الصحافة – جريدة أخبار اليوم. – ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب – الدار البيضاء – ص.ب ١٣٦٨٣ – ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس – ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ – الشركة الشريفية
- مملكة البحرين – المنامة – ص.ب ٣٢٦٢ – ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ – مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة – ت: ٢٦٨٣٨٥٣ – ٠٠٩٧١٤ – شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية – الرياض – ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ – ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ – الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان – مسقط – ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ – ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ – مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر – الدوحة – ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا- شركة – المصطفى ميديا جروب سندرين برحد – ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر – شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠ (٠٠٢١٣)
- تونس – الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة – لندن – شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار
●الكويت : ٥٠٠ فلس ●السعودية: ٥ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٥ ريالات ● الإمارات : ٥ درهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ●الأردن:دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ●اليمن : ١٠٠ ريال ●لبنان: ٢٠٠٠ ليرة ● سوريا: ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠درهم ● الجزائر: ٤ دينار جزائري ●تونس: دينار واحد تونسي ● المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني ● باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

المحتويات

٣	افتتاحية/ شقائق الرجال	فيصل يوسف العلي
٦	دعوة/ المراقبة فريضة غائبة	رسمي عجلان
٨	حوار/ عميد كلية اللغة العربية السابق د. عبدالغفار هلال	إسلام لطفي
١٢	صحة / السمنة سبب لأمراض كثيرة	د. محمد عزيز الرحمن القاسمي
١٤	فكر/ مسالك تقريب الخطاب الشرعي	د. أمينة مزيغة
١٦	أخلاق/ النفاق الاجتماعي وخطره على الأمة	د. خالد راتب
١٨	ملف العدد/ النساء في الإسلام بين الماضي والحاضر	د. آندي حجازي
٢٢	ملف العدد/ «هي» قضية الشخصية الإسلامية بكل أبعادها	د. محمد سعيد باه
٢٤	ملف العدد/ المرأة بين الإسلام والغرب	السنوسي محمد
٢٧	ملف العدد/ التجارة بالمرأة في الغرب	التحرير
٢٨	ملف العدد/ زينب زوجة الأمراء	محمد إلهامي
٣٠	ملف العدد/ المرأة والعمل	جمال الدين عيار
٣٣	ملف العدد/ الاغتصاب جريمة أعجمية المنشأ	عبدالعزيز العسكر
٣٤	ملف العدد/ كواليس مطاردة شبح العنوسة للفتيات	بسمة رمضان
٣٨	ملف العدد/ شابة برتبة عانس	منى الشريف
٤٠	ملف العدد/ مطلوب مقرر تربوي لمواجهة الطلاق	–
٤٢	ملف العدد/ الأسرة القدوة	رشيد ناجي الحسن
٤٥	ملف العدد/ موسوعة المرأة عبر العصور	علاء عبدالفتاح
٤٦	دراسات/ تقنيات كشف الكذب في تشريع الإجراءات الجنائية الإسلامي	د. رضا عبدالحكيم
٥٠	دراسات/ المعجزة العربية في الهندسة	مصطفى يعقوب
٥٥	دراسات/ وقفات مع عقد الحوالة	د. صالح النهام
٥٨	لغة وأدب/ القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (١٦)	عبدالله أيت الأعشير
٦٠	لغة وأدب/ رؤية جابر قميحة في الأدب الإسلامي	محمد عباس عرابي
٦٣	لغة وأدب/ الكريم	مياسة النخلاني
٦٤	لغة وأدب/ اللغة العربية.. صورة لقيمة الأمة	سالم بن عميران
٦٦	لغة وأدب/ حدث ذات صباح في حافلة	محمد ثابت توفيق
٦٨	لغة وأدب/ صورة المسلمين في رحلة الجاسوس برتراندون دي لابروكيبه	د. عمرو عبدالعزيز
٧٠	لغة وأدب/ أبوالقاسم	جاك صبري شماس
٧١	دعوة/ التمتع بالطاعة	محمد فتحي النادي
٧٢	أنباء الكتب/ الذب عن مذهب مالك	د. الطاهر خذيري
٧٤	فكر/ منطق العمران بين التأنس والتوحش	د. هبة رءوف عزت
٧٨	خواطر/ هل تغيرنا كما تغير عمر؟	محمد صديق
٨٠	تربية/ أبي.. لسنا في ثكنة عسكرية	عبدالرحمن ضاحي
٨٢	تحقيق/ مضايقات مواقع التواصل الاجتماعي.. صداع المراهقين	منير أديب
٨٤	طب/ عسل النحل.. فوائد غذائية وعلاجية لا حد لها	منى الموجي
٨٧	تنمية/ تذكر أنك بشر	د. سلطان السهو
٨٨	طور نفسك	سلمان الكندري
٩٠	كتب عربية علمت الإنسانية	خالد خلاوي
٩٢	فتاوى الوعي	د. محمود الكبش
٩٤	بريد القراء	–
٩٦	ينابيع المعرفة	تركي النصر
٩٨	مسك الختام/ أزمة الفعالية وأمتنا	أحمد عبدالجواد زايدة

كلمة العدد

قولي في المرأة

لقد كانت مسألة المرأة قبل زمان غير بعيد أعظم فارق بين الشرق والغرب والإسلام وغيره في المجتمع، حتى إنه لم يكن يخطر بالبال أن يجد الغرب في مرآته المكشوفة مقلدا من الشرق المسلم المشهور بغيرته على نسائه مهما قلد في غيرها، لكن للأسف فإن غيرته على نسائه زالت مع غيرته على إسلامه، وربما كان زوال الأولى جزاء من الله تعالى في الدنيا على زوال الثانية.

ثم إن من نظر إلى مظاهر الغرب يحسب أهله يعبدون المرأة ويجلونها بهذا الحد، ومن هذه المظاهر اعتبرت المرأة الشرقية مقهورة منكودة الحظ، لكن الحقيقة أن الغربيين ومقلدتهم منا يعبدون هوى أنفسهم في عبادة المرأة، وما إجلال الرجل العصري المرأة وتقديمه إياها على نفسه إلا نوعا من الضحك على ذقنها لمخادعتها وجعلها أداة اللهو واللعب، كما أن إخراجها من خدورها وستورها معناه إنزالها من عرشها المنيع إلى أسواق الابتذال، حتى إن اشتراكها في أعمال الرجال الذي هو معدود من انتصارها وفوزها بالحقوق التي تخولها إياها مساواتُها المدعاة لها بالرجل، ما هو إلا احتمالها لأعباء الحياة القاسية التي لم يقم رجال الشرق بها بعد حق القيام فضلا عن نسائه، مع أن احتمالها لتلك الأعباء يقع بطريق مزاحمتها، فلا جرم أن عدم قهرها يكون مبنيا على مسامحة الرجال لها مقابل استفادتهم من أنوثتها، وفيه ابتذال المرأة، وقد كانت هي في الشرق خير عون للرجل، تساعده في داخل بيته، وتشترك معه في أعمال الحياة، هي ملكة دولة العائلة زوجة أو أما.

فلا تحسبوا أن الأولين مقلدون لآبائهم، وقائلون: إنا وجدنا آباءنا على أمة... الخ، والآخرين مستدلون ماشون في طريقة العقل والتفكير، ولو قالوا لكان لهم بعض المعذرة، حيث إن تقليد الآباء أقرب إلى المرشد من تقليد الأجانب، مع أن تقليدهم أعمى خالص العمى، في حين أن تقليد الأولين له من العقل والفضيلة نصيران.

مصطفى صبري
كتاب: قولي في المرأة

الاشتراكات
• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المراقبة فريضة غائبة

رسمي عجلان
كاتب صحفي

إن المراقبة فريضة غائبة، وهي: دوام علم الإنسان ويقينه باطلاع المولى عز وجل على ظاهره وباطنه، فالمولى عز وجل أقرب لعباده من حبل الوريد، لكنه يعاملهم معاملة الغائب البعيد، ليمحص المؤمنين، فقلوب الجهال تستشعر بعده فيقعون في المعاصي؛ إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر - سبحانه وتعالى - لكفوا عن الخطايا، أما من علموا قربه فسيطرت عليهم المراقبة فإنها تكفهم عن الشهوات والزلات، لأن المراقبة تدفع النفس للمجاهدة، وهي: فطام النفس عن الشهوات، ونزع القلب عن الهفوات والملذات، فتصبح المراقبة ظل كل إنسان قبل العمل وأثناء العمل وبعد العمل، في حله وترحاله، في حركاته وسكناته، في السر والعلانية، في الطاعة والمعصية، فالمراقبة في الطاعة تستوجب الإخلاص، وفي المعصية تستوجب التوبة والندم والإقلاع، والمراقبة في المباح تستوجب الأدب وشكر المنعم، فكل نعمة تربو مع الشكر، وكل بلية تتلاشى مع الصبر، فوجاء النفس المراقبة، ونجاتها في المحاسبة، ورياضتها المجاهدة..

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

إن من أسباب انتكاسة الأمة ذنوب الخلوات، وغياب خلق المراقبة ممن لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السموات، ولذا كان جواب رسول الله ﷺ عندما سأله معاذ بن جبل رضي الله عنه حين قال أوصني يا رسول الله، أن قال: «اعبد الله كأنك تراه، واعدد نفسك من الموتى، واحفظ لسانك» (الترغيب: ٥٢٣/٢)، وقال ﷺ لابن عمه العباس: «احفظ الله يحفظك؛ احفظ الله تجده أمامك» (صحيح مسلم)، وهذه حقيقة لا مراء فيها: فمن كان الله معه فمم يخاف، ومن

لم يكن معه فمم يأمن..، فلو أن كل مسلم وكل مسلمة راقب رب البرية في السر والعلانية ما كان هذا حالنا اليوم، وما شمتت بنا الأعداء، فالمراقبة تدفع كل إنسان أن يعطي كل ذي حق حقه، وبغيابها تنتشر الفوضى ويعم الهرج، وإن للحرية شروطا وآدابا وضوابط، وحرية بلا مراقبة كالفرس الجامح بلا لجام، ولقد سأل حميد الطويل ذات يوم سليمان بن علي فقال له: عظني؟ قال سليمان: «لو كنت عصيت الله خاليا وأنت تعلم أنه يراك فلقد اجترأت على أمر عظيم، وإن كنت تظن أنه لا يراك فقد كفرت»(١) لذا قال عبدالواحد بن زيد: «إذا كان الله رقيبا علي فلا أبالي بغيره»(٢) وكان أبو عثمان المغربي يقول: «أفضل ما يلزم الإنسان نفسه به المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم»(٣) إن المراقبة سبب للسعادة في الدنيا والعتق من النار في الآخرة، ولنا في هذا الراعي أسوة حسنة، روى مالك بن دينار قال: خرجت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة فعرسنا -والتعريس: النزول بليل- في بعض الطريق فانحدر علينا راع من الجبل، فقال له عمر: بعني شاة من هذه الغنم؟ فقال: إني مملوك، فقال له: قل لسيدك أكلها الذئب، فقال الراعي: فأين الله؟ فبكى عمر، ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه، وأعتقه وقال له: «أعتقتك هذه الكلمة - يقصد المراقبة - في الدنيا، وأرجو أن تعتقك - أي من النار - في الآخرة»(٤) وكان عمر كثيرا ما يردد كلمة الراعي في مجلس قضائه، فيقول للخصم «أين الله؟» فما أحوجنا أن نتذكر كلمة الراعي ونعمل بها في زمن الفوضى والبهتان! وقد بشر الحق سبحانه من خافه وراقبه بأن مثواه الجنة ومن أصدق من الله قيلا: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾(النازعات: ٤٠-٤١)، إن حقيقة المراقبة هي: ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه، ومراعاة جنابه، وابتغاء مرضاته، وهذه ثمرة معرفة قدر الرقيب، لأن معرفته تترك آثارا واضحة على القلب والجوارح، فمن راقب الله في خطراته حفظ الله جوارحه في سكناته وحركاته، أما آثاره في القلب فتبدأ بمراعاته -سبحانه- والانشغال به عمن سواه، وملاحظته إياه، والاستعداد ليوم لقياه، فإن استولت هذه الحالة على القلب صلح الجسد كله لقول نبينا الكريم ﷺ: «إن في الجسد مضغة لو صلحت لصلح الجسد كله ألا وهي القلب»(الترمذي)، فما أحوجنا إلى المراقبة على دوام الأوقات، وخاصة في الخلوات. فلو علم العباد أن الله لهم بالمرصاد، وأنهم سيناقشون يوم الحساب، وتوزن عليهم مثاقيل الذرة في الحسنات والسيئات.. ما استخفوا بالرقيب، وما جعلوه أهون الناظرين إليهم، وما غرهم حلمه وكرمه، وأنه لا يأخذ بالجريرة، وللزموا المراقبة.. فمن حاسب نفسه في الدنيا خفف الله يوم القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه، أما من لم يحاسب نفسه فقد دامت حسراته، وطالت في عرصات يوم القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي سيئاته، ولله در أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين ناصح الأمة بقوله: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدا، أن تحاسبوا أنفسكم اليوم»(٥) ولقد كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كتابا إلى أحد عماله، فجاء في خاتمة الكتاب ما يلي: «أن حاسب نفسك في الرخاء، قبل حساب الشدة، فإنه من حاسب نفسه في الرخاء، قبل حساب الشدة، سهل عليه اللقاء وكان مرجعه إلى الرضا والغبطة، ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه، عاد أمره إلى الندامة والحسرة»(٦) كأن عمر ينظر إلينا اليوم ويخاطبنا واحدا واحدا ذكرا وأنثى، ويعظنا لعلنا نسمع أو نعقل، فمتى علمنا هذا، وجب علينا لزوم الطاعة للخروج مما نحن فيه من فوضى عارمة وأخلاق مهلهلة وأمة تهدم أركانها بأيدي أبنائها، ولنستيقظ من غفلتنا ونولي وجهنا وسواعدنا وأموالنا وأفكارنا شطر البناء والتشييد، فلنتق الله، ولتنظر كل نفس ما قدمت لغد، ماذا تقول عندما تسأل عن التكفير والتخريب والتدمير وقطع الطريق والمواصلات، وحرق المنشآت وهتك الأعراض وإراقة الدماء ونشر الفساد؟ فهل أحضرت الجواب أخي المسلم؟! فمتى تعود إلينا ضمائرنا، ومتى نعلم أن علينا رقيبا لا تأخذه سنة ولا نوم، ولله در الشاعر حين قال:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل
خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تخفيه عنه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب
وأن غدا للناظرين قريب

الهوامش:

١- إحياء علوم الدين: ٤/٣٩٥.
٢- إحياء علوم الدين: ٤/٣٩٨.
٣- إحياء علوم الدين: ٤/٣٩٧.
٤- إحياء علوم الدين: ٤/٣٩٦.
٥- محاسبة النفس لابن أبي الدنيا صـ٢٢.
٦- محاسبة النفس لابن أبي الدنيا صـ٢٩.

العميد السابق لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر د.عبدالغفار هلال:

التبعية والتحجر الفكري أبرز سلبياتنا

إسلام لطفي - القاهرة
دار الإعلام العربية

نُعاني كثيرا من مشكلات عدة كعرب ومسلمين منذ زمن بعيد، فنواجه عدوانا غربيا متواصلا ضد ديننا الإسلامي، ومحاولة تشويهه ووصفه بصفات لا تتفق أبدا مع سماحة الدين الخاتم، إضافة إلى إشكالية اندثار لغة الضاد -لغتنا العربية- لذلك كان لـ«الوعي الإسلامي» حوار مع العميد السابق لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، المفكر الإسلامي د.عبدالغفار هلال، الذي أبدى استياءه من حالة التمزق، واستنكر وضع اللغة العربية، فإلى نص الحوار..

■ يموج المجتمع الإسلامي والعربي حاليا بمتغيرات عديدة.. فكيف تقيِّم حال مجتمعنا المعاصر كمفكر إسلامي؟

للأسف في وقتنا هذا، بعض الدول الإسلامية انشغلت بحاجاتها ومشكلاتها الخاصة، دون غيرها من بقية دول العالم الإسلامي، كما نلاحظ أن البعض شغلتهم همومهم النفسية والمعيشية، وأمورهم الداخلية، عن المشاركة الحقيقية في الجسد الإسلامي، الذي يفترض فيه أن يكون أفراده وجماعاته كما وصفهم الرسول ﷺ إن اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، لكن وعلى الرغم من ذلك، نلاحظ عودة إلى التمسك بالدين، ما يعد عاملا مبشرا بالخير، إذ إنهم على تفرق ديارهم يجتمعون قلبا وقالبا، فاتجاههم وقبلتهم واحدة ويمثلون أمة واحدة، وإن فرقت بينهم السياسات أو الجغرافيا.

والمسلمون في الأصل أمة واحدة، كما جاء في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ

أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾(الأنبياء: ٩٢)، فهذه أمة القرآن، وحَّدها الله على كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، فنحن نريد من الأمة أن تتكاتف وتتعاون، وأن يكون بينها تلاحم؛ للحفاظ على مقدراتها في كل مكان على وجه الأرض.

فعلى جميع الأقطار معاونة ومساندة بعضها البعض؛ للتخلص من الاضطرابات والمشكلات التي يعاني منها العالم العربي والإسلامي، وأن يعود إلى الأمة تماسكها واستقرارها وطمأنينتها، لضمان عودة الصف الإسلامي الصحيح، كما قال الرسول ﷺ: «مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وتراحمهم وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى».

■ لكن.. ما أهم العوامل التي أدت إلى تمزق العالم العربي والإسلامي إلى هذا الحد؟

حب النفس والأنانية، إضافة إلى ما نُعانيه من النزعة القومية، بالرغم من إذابة الإسلام لتلك الفوارق، إضافة إلى التبعية للغرب، وعدم الالتفات إلى مؤامراته التي تُحاك ضد العالم العربي والإسلامي.

■ إلى أي طريق تسير الأمة العربية في ظل التحجر الفكري الذي نُعاني منه؟

ذلك التحجر يؤدي بنا إلى الهاوية، إذ يخلق تحجرا اجتماعيا وصناعيا، ويصيبنا بالهلاك، ويمكن أن نتخلص من وضعنا هذا إذا نشطنا عالم الدين الإسلامي والمجتمع فكريا، إضافة إلى توظيف المنبر ومعالجة المشكلات التي تواجه المجتمع، لا الحديث فقط عن الجنة والنار والثواب والعقاب، فبتعميق العلم يزول التحجر، وتصل الأمة إلى أغراضها.

■ هل ترى أن الغرب يُدير صراعا خفيا على الإسلام تحت زعم الحريات وحقوق الإنسان؟

بالطبع، فالغرب يُدير معارك ومؤامرات ضد الإسلام، كما أنه يتصنع دور الصديق في الوقت الذي يقوم فيه بدور العدو، وتحريض الأطراف من خلف الستار؛ ليناوئ كل طرف الطرف الآخر؛ فالغرب يغذي الصراعات كلها ويساند القاتل والمقتول، ويقوي كلا منهما للحصول على أكبر الخسائر، ويكمن ذلك في كرهه للإسلام.

صورة مغلوطة

■ ما توصيف علاقة الغرب بالإسلام، والإسلام بالغرب.. كيف تصف هذه العلاقة الآن، لاسيما في اضطراباتها الأخيرة؟

هناك فهم ملتبس من الناحيتين، الغرب منذ القدم لديه صورة مغلوطة، وسيئة عن الإسلام، ونحن منذ أيام الاستعمار لدينا صورة سيئة عن الغرب، والغرب ليس هو الحكام فقط، فهؤلاء متغيرون، ويتبدلون، فيما أن البشر هناك في غالبيتهم طيبون، ولو فهموا الإسلام جيدا ربما أصبحوا كلهم مسلمين، لكن هناك من يعبث لجعل الصورة بذلك السوء؛ لترويج كل ما هو سيئ؛ ليصب في النهاية لصالحه، فلا يجوز لنا أن نتهم شعوب العالم الغربي أجمع بكراهية الإسلام، فهي تأخذ خلفياتها من وسائل الإعلام المسيطر عليها من قبل جهات لا تخفى على أحد، ومن مصلحتها تشويه صورة الإسلام، والمسلمين في عيون الغرب، والغربيين حتى تظل لها السيادة والريادة والكلمة العليا المسموعة.

■ هل ترى أن حالة الكراهية والاحتقان التي نشهدها ضد المسلمين من الممكن أن تتغير؟

لاشك في ذلك، فالاحتقان في العالم الغربي ليس شعبيا، وإنما احتقان حكام، فحكام أوروبا هم من يخلقون الكراهية، عن طريق وسائل الإعلام، ومن الملاحظ أن الحقيقة عند الأوروبي مجهولة، وأنه على استعداد أن يعتنق الإسلام لو علم حقيقته، لكن من المؤسف أن الإسلام يصله مشوها بعد وصفه بالإرهاب، وكثير من الصفات غير الصحيحة، والتي تتنافى تماما مع تعاليم الإسلام، وبالرغم من ذلك، لدينا المقدرة على تغيير هذه الصورة إذا استطعنا الوصول إلى تلك الشعوب مباشرة، ونشر كتيبات تتضمن حقيقة تعاليم الإسلام الصحيح، عن طريق التوظيف الجيد للمراكز الثقافية الإسلامية، مع مساندة السفارات الإسلامية في الغرب، بجانب مهمتها الأساسية ورعاية المصالح السياسية.

■ كمفكر إسلامي.. لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟

أنا أعزو هذه الظاهرة إلى سوء النظم وضعف التعليم والاكتفاء بالقشور، وعدم الاهتمام بالكفاءات، ووضع الرجل غير المناسب في المكان غير المناسب، أيضا نجد المسلمين أغلقوا الأبواب على أنفسهم، وانعزلوا عن العالم، في حين أن الإسلام في مرحلته الحضارية الزاهية فتح الباب على مصراعيه لمختلف العقائد، حتى المخالفة له.

آليات النهضة الإسلامية

■ ما الآليات اللازم توافرها لقيام نهضة إسلامية؟

علينا الاهتمام بالفكر والعلم ومراعاة ضمائرنا في العمل، والسعي وراء

العدل والابتعاد عن الأفكار الهدامة.

■ كونك عميدا سابقا لكلية اللغة العربية.. كيف ترى وضع لغة الضاد في الوقت الحالي؟

الوضع لا يرضي أحدا لتخلي العرب عن لغتهم، فالإنسان تبقى حياته ومقدراته إذا كان يؤمن بنفسه ورسالته وعقيدته، وعقيدتنا أن اللغة العربية هي لغة الإسلام والقرآن، لكننا وجدنا تحولا في المجتمع الإسلامي إلى صورة المجتمعات الغربية، ووجدنا العربي يفرط في مقدراته ولغته بحجة أنه يتعلم اللغة الأجنبية لكونها لغة العلم.

وأنا لا أرى ما يمنع أن تكون العربية لغة العلم، فقد كانت كذلك مع أول إنشاء جامعة مصرية عام ١٩٠٨م، فكان الطب يُدرس باللغة العربية بجامعة القاهرة، وكان مثمرا حينذاك، ومن المؤسف أن نجد كثيرا من العرب يجعلون العربية لغتهم الثانية بعد اللغة الإنجليزية التي يسمونها باللغة الحية، وقد كانت كلية اللغة العربية تسمى طب الأزهر لكثرة الإقبال عليها وعدم وجود كليات للطب بالأزهر، عكس ما نمر به الآن، لا يدخلها إلا ذو المجموع البسيط في الثانوية، ونجد الخريجين في وقتنا هذا لا يجيدون لغتهم، ولا التحدث بها؛ لعدم وجود الأهلية النفسية لتعلمها، وضعف نظرتنا الاجتماعية لها.

■ كما تعلم أن اللغة إحدى المكونات الحضارية المهمة لأي أمة.. فكيف نحيي لغتنا لتكون مكونا حضاريا للنهوض؟

نريد من أمة الإسلام أن تتكاتف وتتعاون وتتلاحم للحفاظ على مقدراتها

لابد من أن نعود إلى ثقافتنا العربية والإسلامية وأن نُعطي الاهتمام الأكبر للغة العربية، وإنشاء مؤسسات للترجمة والنشر في الجامعات، كما كان قديما، وترجمة علوم الآخرين إلى لغتنا، والاعتماد عليها في دراساتنا وعلومنا في جميع التخصصات، وعدم الاقتصار على اللغات الأجنبية، حتى لا نفصل الدارس عن بيئته.. علما بأننا نجد إسرائيل تستخدم لغتها العبرية في علومها، بالرغم من موتها منذ آلاف السنين، فهم يحيونها بالطريقة الأوروبية، ومع ذلك يُصرون على التحدث والتعامل بها، فنحن نريد أن نعود متمسكين بلغتنا لتعود العربية إلى قوتها، بتوظيف الإمكانات لها لتنطلق.

■ هل نحن بحاجة إلى ثورة معرفية وثقافية؟

بالطبع، فنحن الآن بحاجة إلى ثورة؛ لإرجاع الناس إلى الحق وتبصيرهم بالصواب، في ظل الوضع السيئ الذي نمر به، وكثرة الفتاوى والآراء التي تصدر من غير المتخصصين، بحجة أن الإسلام لا يعرف الرهبنة ولا يوجد رجل دين؛ ويقتضي على الدول أن تدعم المؤسسات الإسلامية التي تدرس الإسلام بالفكر والعلم والوعي ونشر الثقافة على المستوى المجتمعي، وليس لبضع طلاب فقط؛ للقضاء على الأفكار المتحجرة التي تجعل الفاسد يطغى على الصالح.

المرأة المسلمة

■ يرى البعض أن المرأة المسلمة تعيش حالة من الإحجام على عكس ما تمتعت به في صدر الإسلام.. ما سبب ذلك؟

يكمن ذلك في أن بعض المتطرفين يحكمون عليها أحكامًا زائفة،

ويوجهونها إلى أشياء تجعلها تتقوقع في منزلها، بالرغم من أن الإسلام يُعطي المرأة كل المكانة، كما أن الرسول ﷺ كان يُراعي حقوق النساء، وأفرد لهن جزءا من خطبته في حجة الوداع، فقال ﷺ: «إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهنّ حق ألّا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيتكم إلا بإذنكم» إذن الإسلام لا يُهدر حق المرأة وإنما يجعل لها كيانا بحقوق كاملة.

■ ما السبب وراء تنامي الإسلاموفوبيا؟

الغرب يستغل وجود كثير من الأفكار غير الصحيحة المتشددة في مجتمعنا، خاصة الصادرة من المتطرفين لتشويه الإسلام، فكثير من المسلمين يؤذون الإسلام بأفكارهم المتشددة والمتطرفة.

■ ما السبب وراء ظهور الإلحاد؟

الأمية الدينية، ولو لم توجد تلك الأمية لوجدنا كل من يسمع فتوى غير صحيحة يردها، وهناك الكثير من يعتمد على الفتاوى غير الصحيحة، ويسلمون بها ويبنون عليها الكثير من الأمور على أسس غير سليمة.

■ ما تقييمك للأزهر عبر التاريخ وفي الآونة الأخيرة؟

الأزهر يقوم بدور المصارع للفكر الهدام منذ نشأته، فيحمل عبء رسالة كبرى؛ من أجل النهضة بالعالم العربي والإسلامي، كما أنه يأخذ بالأيدي المتعثرة، وقد كان قديمًا ذا مكانة عالية، حيث كان يولي الحكام أحيانًا، ثم مر بحالة من التقوقع، ثم بدأ يستعيد دوره في التفاعل مع الشأن العام.

الأزهر يقوم بدور المصارع للفكر الهدام منذ نشأته

السمنة وأمراضها

د. محمد عزيز الرحمن القاسمي
باحث في الطب النبوي

إذا اجتمع الشحم والدهن في بدن الإنسان بكمية كبيرة فإن هذا هو ما يسبب السمنة، ويُخشى أن تؤدي السمنة إلى أن يصاب الإنسان بالفالج في جسمه، كما يمكن أن تتولد منها أمراض أخرى عديدة، مثل ضغط الدم الذي يتسبب في أمراض القلب، مما يؤدي إلى تعقيدات ومشكلات في أي وقت من الأوقات، ولو يصعب العثور على بداية السمنة في المراحل الابتدائية، ولكن حين يزداد وزن الإنسان أكثر من ثلاثين في المئة من وزنه، بالنظر إلى قامته ووزنه، فإنه يعد مصابا بمرض السمنة أو البدانة.

إن السمنة تظهر دائما نتيجة الإكثار من الطعام، فالقوة الموجودة في الطعام إذا كانت أكثر من القوة المستخدمة والمستهلكة كل يوم، فإن الكمية الزائدة تتجمع في صورة الدهن والشحم في البدن، فلو بقيت هذه الحالة لمدة أطول تبتدئ الزيادة، وإن لم يستخدم الشحم والدهن الزائدان الموجودان في الجسم فإن الوزن يزداد أكثر فأكثر.

وقد اتفقت كلمة أطباء العالم أجمعين على أن الوزن الزائد والسمنة، أكثر ضررا للصحة الإنسانية من أي مرض آخر، ونسبة الموت في هذا المرض أكثر من الأموات الكائنة بسبب أمراض أخرى، فإن زاد وزنكم وكنتم تواجهون سمنة وبدانة، ومع ذلك لا تشعرون بضرورة تقليل الوزن وتخفيفه وأهمية ذلك، فأنتم بحاجة لنعرض لكم بعض الحقائق في هذا الصدد.

ووفقا لفحص طبي أجري على خمسة وعشرين رجلا أعمارهم ما بين ٣٠ إلى ٥٥ سنة، تبين أن الذين وزنهم أكثر ٢٠ في المئة حسب أعمارهم يواجهون أنواعا من الأمراض مثل مرض القلب، وإصابة الفالج، ومرض التنفس، والسكر، وأمراض أخرى لا تعد ولا تحصى. فإنكم إذا كنتم تحملون وزنا أكثر من ١٥ إلى ٢٠ في المئة على بدنكم

من الوزن المفروض فإنكم تواجهون سمنة خطرة إلى حد كبير، ويعني ذلك أن وزنكم إذا كان ينبغي أن يكون ١٣٠ أو ١٤٠ باوندا ولكنكم أقرب من ١٥٠ إلى ١٦٠ فأنتم تعدون في مثل هذه الحال من عداد الرجال السمناء الغلاظ، وأنتم على خطر المعاناة من الشؤون الصحية التالية:

١- ضغط الدم العالي.

٢- إمكانية شدة الشرايين في البدن.

٣- وجع المفاصل والسكر.

٤- أمراض القلب وإصابات الفالج.

٥- الإصابة بالحمى والنزلة الشديدة لمدة طويلة.

ووفقا لفحص طبي فإن الرجال السمناء يواجهون كل نوع من المخاطر المضرة بالصحة، لأن السمنة تجعل بدن الإنسان غليظا وتحوله إلى شكل بشع، بحيث إن بنية البدن وأعضاءه تكون غير متزنة وغير متناسبة، لأجل ازدياد الوزن، والقلب يجتهد أكثر من طاقته لإيصال الدم إلى كل جزء من أجزاء الجسم، وهو يضعف وينحل يوما بعد يوم، وأنابيب الدم الكبير الموجودة في بدن الإنسان تحتاج إلى جهود جبارة ومحاولات قوية ونشر أنفاسها ومواجهة صعوبات شديدة ومشقات كبيرة لإيصال كمية الدم إلى الأجزاء الشحيمة واللحيمة والسمينة، الأمر الذي يضر القلب بسببه ويقال لذلك القلب الموسع، ويتأثر بذلك جهاز التنفس أيضا، وتكبر المعدة أضعافا مضاعفة من بنيتها العادية، وينتفخ البطن حتى يصير مثل بالون، وتضطرب المعدة لأجل الثقل على قشرها، مما يؤدي إلى الغشيان والنفخ، وعندما يتوجه هذا الضغط إلى الفوق يفسد عمل القلب، وكذلك تتأثر بذلك الكبد واللبلبة كثيرا، مما يتولد منه مرض السكر والأمراض الأخرى. وعندما تكثرون من أكل الأطعمة الدهنية والشحمية تصل الشحوم المتصلة بها إلى شرايين الدماء بكمية، حيث يكون الدم غليظا وذا شحم كثير، الأمر الذي يسبب ضعف دوران الدم، وتجمد علقة صغيرة من الدم، تتوقف فجأة في مكان ما من الأمكنة التي يصل منها إلى شرايين الدم وأنابيبه، وهذه هي نوبة قلبية تميت الإنسان وتقتله، وهذه العلقة إذا مرت بعرق في الدماغ وتوقفت انشق عرق الدماغ، ويخاف أن ينتج من هذا مرض الفالج أو الغيبوبة الطويلة.

وقد ذكرنا بعض هذه الحقائق المدهشة لكم موجزة ومختصرة لتدرسوها وتفكروا فيها، وتنظروا إذا كان وزنكم أكثر وأزيد فابدأوا عملية تقليل الوزن وتخفيفه، وخلال المعالجة لابد من السيطرة على الغذاء قبل كل شيء، فمثلا تجنبوا من اللحوم، والسمن، وما يحدث الدهن والسكر، أما الرياضة البدنية فاجعلوها من عاداتكم المستمرة الدائمة على مدى الحياة، فإن الرياضة البدنية توصل الدم إلى كل جزء من أجزاء البدن بجانب مساعدتها في تقليل الوزن، وهذا هو مدار الصحة، ويسرع أيض الجسم بسبب الرياضة، وبذلك يتحول كثير من الحرارات إلى الدم الصالح الجيد بدل أن تكون شحما ودهنا.

إذا كانت امرأة تستخدم قوتها لمدة ساعة واحدة لشؤون البيت فإنها تستخدم ٢٤٠ حرارة من جسمها، وبالعكس من ذلك إذا كانت نفس المرأة جالسة تتحدث فإنها تستعمل ٨٤ حرارة فقط، أقلوا النوم واعملوا كثيرا، واصرفوا ٦ إلى ٨ ساعات من ٢٤ ساعة للنوم، فإنكم في النوم لا تستعملون حرارتكم كما تستعملونها إذا كنتم أيقاظا، وكنتم في الأعمال وزحمة الأشغال، ويجب للرجال ٢٨٢٠ إلى ٣٠٠٠ حرارة يوميا، أما النساء فهن بحاجة إلى ٢٠٨٠ إلى ٢٠٩٠ حرارة، وراعوا بعض الأمور في هذا الصدد.

كلوا الطعام على مهل، ويتم الشبع إذا أكلتم الطعام بمضغه جيدا، ولا تقربوا إلى شيء مما يؤكل إلا أن تكونوا جائعين أشد الجوع، وكلوا أقل من الجوع، وألقوا طعاما قليلا في قصعتكم لئلا ترغبوا في الإكثار من الطعام. وعودوا أنفسكم على شرب الماء جيدا قبل أكل الطعام بنصف ساعة، والماء يتوقف في الجسم بسبب الأشياء الأكثر ملحا، ويزداد الوزن، والطعام القليل الملح يقلل من رغبتكم في الطعام، ونتيجة ذلك أنكم تأكلون قليلا، وفي ملعقة صغيرة للشاي تكون ١٧ حرارة، فلو أن رجلا يلقي بمقدار ملعقتين من السكر ويشرب أربعة كؤوس من الشاي كل يوم فإنه يزيد في حرارته ١٤٤ حرارة يوميا، والسكر يفسد جلد الوجه بجانب الزيادة في الوزن، فقللوا من استعمال السكر، وأكثروا من استعمال النباتات العشبية، فإنها تقل فيها الحرارات، وقد علم من التجربة أن كثرة الشحم تزيد من سطح الكوليسترول.

أدوية لتقليل الوزن:

تشربون في الليل ملعقة من عصير التفاح وملعقة من العسل في نصف الكأس من الماء الحار، واسلقوا ٥ غرامات من الزيرة في الماء بمقدار الكأس واستعملوه صباح مساء قبل أكل الطعام.

٥ غرامات من السونف، و٥ غرامات من الأجوائن واغلوهما في الماء بمقدار الكأس، واشربوه بعد الطعام صباح مساء، فإن الشحم يتحلل بذلك، ويقل الوزن، إن شاء الله تعالى.

مسالك تقريب الخطاب الشرعي

د.أمينة مزيغة
باحثة مغربية

لما كان المخاطبون بأحكام الشريعة الإسلامية ليسوا على وزان واحد من حيث الفهم والإدراك، وكان التواصل ضرورة ملحة لتقريب مضامين الشرع الحكيم، والوقوف على موارده الصافية، كان من الضروري اعتبار مجموعة من المسالك تكون خادمة لهذا الهدف ومحققة له، ولعل أول ما ينظر إليه لتحقيق ذلك جملة أمور منها:

- النظر في المكلف وأحواله، باعتباره محور التشريع، والمقصود بالامتثال لأوامره واجتناب نواهيه.

- اعتماد لغة تكون مفهومة وميسرة تحقق قصد الإفهام والتفهيم.

- مراعاة الرفق واللين عند توجيه الخطاب المراد تقريبه.

- اعتبار الواقع ومقتضياته في التقريب.

لا يمكن الحديث عن تقريب مضامين الشريعة من المكلف أو المتلقي، إذا لم يتم مراعاة مجموعة من الاعتبارات فيه، حتى يكون هذا المكلف أولا مدركا ثم فاهما لما يوجه إليه من خطاب، وقادرا على أداء ما تم إدراكه وفهمه على أتم وجه.

وأول ما ينظر إليه عند المخاطبة «العقل» يقول الإمام الغزالي رحمه الله: «المكلف وشرطه أن يكون عاقلا يفهم الخطاب..؛ لأن التكليف مقتضاه الطاعة والامتثال، ولا يمكن ذلك إلا بقصد الامتثال، وشرط القصد العلم بالمقصود، والفهم للتكليف، فكل خطاب متضمن للأمر بالفهم، فمن لا يفهم، كيف يقال له افهم؟ ومن لا يسمع الصوت كيف يُكلم؟ .. ومن يسمع قد يفهم فهما ما، لكنه لا يعقل ولا يثبت كالمجنون وغير المميز، فمخاطبته ممكنة، لكن اقتضاء الامتثال منه.. غير ممكن»(١).

فالقدرة على الفهم هي أساس التكليف، وبها تتحدد إمكانية مخاطبة الشخص أو عدم مخاطبته.

والذي يمكن أخذه مما سلف أن هناك خطابًا، وهناك بعده فهم، ثم تكليف فامتثال، أو بعبارة أخرى، لا امتثال دون تكليف، ولا تكليف دون فهم، ولا فهم دون عقل.

ثم هناك مسألة الاستعداد لتلقي ما يوجه إليه، ذلك أن المكلفين ليسوا على مستوى واحد من حيث القدرة على تطبيق ما تم فهمه؛ لاختلاف أحوال كل منهم حسب الزمان والظروف والقدرات، فليس الشاب كالشيخ، ولا الصحيح كالسقيم، ولا الذكر كالأنثى، فمراعاة الخطاب لأحوال المكلفين ومراتبهم في الفهم والتعقل، كل ذلك مما يُسهم في تقبل الخطاب، وتحقيق التواصل.

اللغة الميسّرة

من جهة أخرى هناك مسألة اللغة، باعتبارها أداة تتعدى وظيفتها التواصلية بين أطراف مختلفة من المجتمع، إلى وظائف أخرى تربوية، وتثقيفية، وعاطفية، وتفهيمية، ولتؤدي اللغة هذه الوظائف لابد أن تكون ميسرة، في متناول كل من يوجه إليهم الكلام، يقول الشاطبي رحمه الله: «إنما يصح- في مسلك الإفهام والفهم- ما يكون عامّا لجميع العرب، فلا يتكلف فيه فوق ما يقدرون عليه بحسب الألفاظ والمعاني، فإن الناس ليسوا على وزان واحد ولا متقارب، إلا أنهم يتقاربون في الأمور الجمهورية وما والاها، وعلى ذلك جرت مصالحهم في الدنيا.. »(٢).

ويمثل لذلك بالتكاليف الاعتقادية التي أكد فيها أنه يجب «أن تكون من القرب للفهم، والسهولة على العقل، بحيث يشترك فيها الجمهور، من كان ثاقب الفهم، أو بليدًا، فإنها لو كانت مما لا يدركه إلا الخواص لم تكن الشريعة عامة..، فلابد أن تكون المعاني المطلوب علمها واعتقادها سهلة المأخذ»(٣).

مراعاة الرفق واللين

إن أي حديث أو كلام لن يلقى آذانا صاغية ولا قلوبا واعية، إذا لم يتم توصيله بطريقة تراعي الرفق واللين، وبكيفية محببة إلى نفوس المخاطبين، حتى لا ينفضوا ويديروا ظهورهم، ليس لعيب في مضمون الخطاب، بل فيمن يقدم هذا الخطاب، والكيفية التي يقدمه بها، ولاشك أن الناظر في كتاب الله- عز وجل- يلاحظ أن آياته لم تنزل للتضييق على الناس أو التشديد عليهم، بل «تنزل لهم بالتقريب والملاطفة والتعليم في نفس المعاملة به، قبل النظر إلى ما حواه من المعارف والخيرات»(٤)، و تبعا لذلك عدد الإمام الشاطبي- رحمه الله- جملة أمور يتميز بها كلام الله- عز وجل- عند مخاطبة عباده، منها:

- الإبلاغ في إقامة الحجة على ما خاطب به الخلق، فإنه تعالى أنزل القرآن برهانا على نفسه على صحة ما فيه.
- ترك الأخذ من أول مرة بالذنب، والحلم عن تعجيل المعاندين بالعذاب، مع تماديهم على الإباية والجحود بعد وضوح البرهان، وإن استعجلوا به.
- تحسين العبارة بالكناية ونحوها في المواطن التي يحتاج فيها إلى ذكر ما يستحيا من ذكره في عادتنا، حتى إذا وضح السبيل في مقطع الحق، وحضر وقت التصريح بما ينبغي التصريح فيه، فلا بد منه، وإليه الإشارة بقوله ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ (الأحزاب: ٥٣).
- التأني في الأمور، والجري على مجرى التثبت، والأخذ بالاحتياط(٥).

على هذا المنوال، وسيرًا على نهج القرآن، حري بكل من رام تقريب مضمون الخطاب أن يكون لين الجانب، معتدلا، واقعيا، منفتحا على ما يعيشه الناس من مشكلات، واحتواء ما يمرون به من أزمات، وإيجاد مخارج لهم في ضوء هدي الشرع الحكيم.

اعتبار الواقع

من المعلوم أنه قبل التفكير في تقريب مضمون أي خطاب، لابد من الإحاطة بواقع الناس، وفهمه بكل مكوناته، والتبصر بالأحوال والظروف المعاشة، وكذلك الإحاطة بمختلف القضايا الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، التي تحيط بالفرد والمجتمع، ذلك أن الواقع «ليس إلا مجموع الوقائع الفردية والجماعية، الخاصة والعامة، ومن ثم فإن فهم ذلك الواقع هو فهم تلك الوقائع، واستيعابها، وتبين طبيعتها، وخصائصها» (٦)، إذ لا معنى لشحذ العقول بما لا علاقة للمتلقي به، وبما يضيق صدره به.

الهوامش

١- المستصفى١/١٥٨.
٢- الموافقات ٢/ ٦٥ .
٣- الموافقات ٢/٦٧.
٤- الموافقات ٣/٢٨٢.
٥- انظر الموافقات ٣/ ٢٨٢- ٢٨٣ .
٦- الاجتهاد المقاصدي، لنور الدين بن مختار الخادمي.

النفاق الاجتماعي وخطره على الأمة

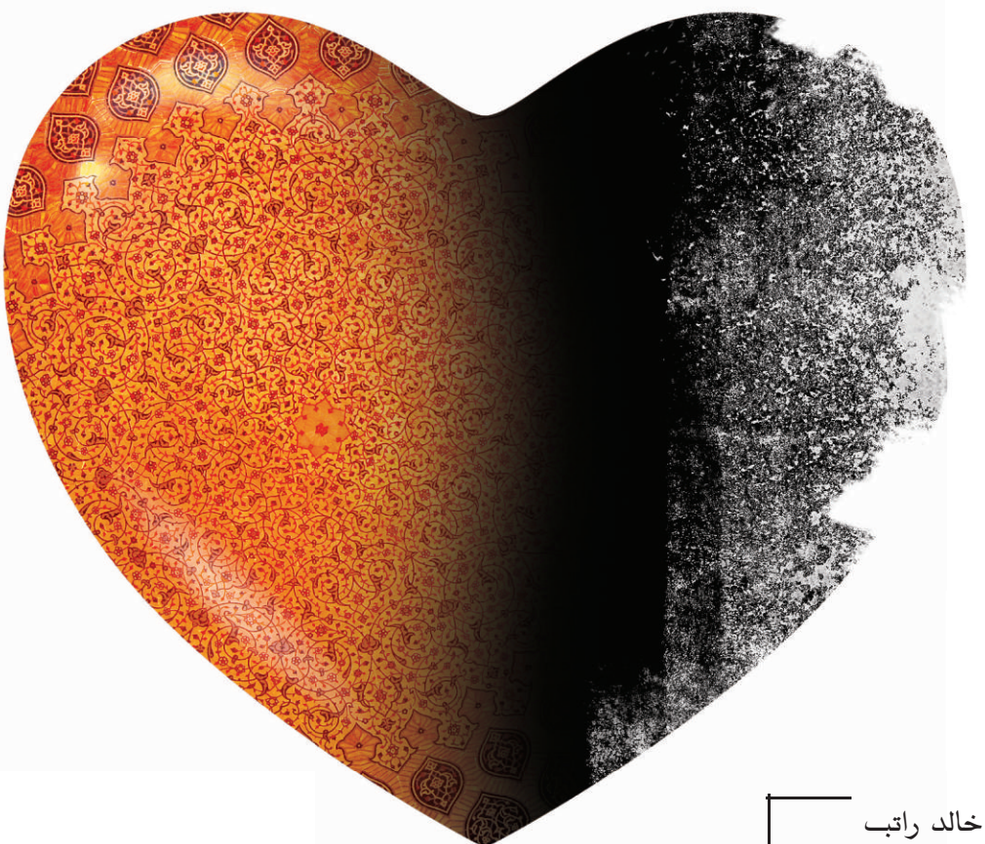

د. خالد راتب
باحث سوري

ظهرت بعض الأمراض الاجتماعية التي تؤثر على مسار الأمة وحضارتها، وتتسبب في انهيار المجتمعات، وإصابتها بالخلل والشلل الذي يعوق تقدم وتطور حياة الناس، ومن أخطر هذه الأمراض الاجتماعية مرض النفاق الاجتماعي، ويظهر خطره في أن النفاق عمومًا مذموم ومنبوذ، والمنافقون مكروهون مزيفون.

وإذا نظرنا في مسيرة التاريخ الإنساني لوجدنا أن النفاق هو العامل الأخطر في تقويض الدولة الإسلامية؛ لأن النفاق يدب في جسد الأمة كما يدب السرطان في جسد الناس، ولا يشعرون به إلا وهم جثة هامدة، انهارت قواهم، وفقدوا مناعتهم، بما أحدثه من نقص في المناعة، وهذا بالضبط ما يحدثه النفاق في وحدة الأمة الإسلامية.. حيث يجعلها جثة هامدة عن طريق إحداث الفتنة والاضطرابات والفرقة، والعمالة مع أعداء الإسلام في هدم الإسلام والمسلمين.

ومن النفاق الاجتماعي التزلف للسلاطين من أجل الوجاهة الاجتماعية والمناصب ومتاع الدنيا الزائلة، ويظهر هذا النفاق الاجتماعي في التساهل في الفتيا بغير مستند شرعي، قال الإمام النووي رحمه الله: «ومن التساهل أن تحمله الأغراض الفاسدة على تتبع الحيل المحرمة أو المكروهة،

والتمسك بالشبه طلبًا للترخيص لمن يروم نفعه، أو التغليظ على من يريد ضره» (آداب الفتوى للنووي، ص: ٣٧).

كما يبرر المتملقون للحكام المنكرات، ويبيحون المحرمات، ويقننون للفساد، تبعًا للأغراض و الشهوات.

قال محدث المغرب أبو الفضل عبدالله ابن الصديق الغماري رحمه الله: «أما الذين يسارعون إلى إباحة بعض المحرمات، ويصدرون فتاوى يرضون بها رؤساء بعض الحكومات، وقد تختلف فتاواهم بالتحليل والتحريم حسب اختلاف الأغراض والشهوات، فهؤلاء مجتهدون في محو الدين، مجدون في تغيير أحكامه، ولن يفلتوا من عقاب الله تعالى، ولا من شديد انتقامه، وما الله بغافل عما يعملون» (خواطر دينية وبحوث غالية لابن الصديق الغماري، ص: ١٦١).

أصبح المتملقون والمنافقون هم أصحاب المكانة القريبة من المسؤولين، وأصبح المخلصون العاملون الجادون، الذين لا يجيدون العزف على وتر النفاق، ولا يحسنون الضرب على أعواد المداهنة.. أصبحوا لا نصيب لهم في المنح بل والوظائف، لأن الأمة تجامل على حساب المصلحة، والنفاق الاجتماعي أصبح أحد المؤهلات الضرورية للوصول إلى المناصب، والتقرب من الرؤساء، ومن لا يجيد هذا النوع من النفاق لا مكان له إلا في ذيل القائمة إذا وجد لها ذيل!!

والتمادي في هذا النوع من النفاق يؤدي إلى خرق السفينة، حيث يتصدر لكع ابن لكع المشهد، والنفاق الاجتماعي علامة من علامات قيام الساعة، قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع (يعني العبيد والسفلة من الناس)» (أخرجه البخاري) ، وتصدر هؤلاء لعظائم الأمور مع إبعاد من هم أحق تضييع للأمانة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال: «أين السائل عن الساعة؟ قال: هأنا يا رسول الله، قال: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» (متفق عليه).

صاحب النفاق الاجتماعي أشر الناس؛ لأنه يتلون حسب الطلب، فيقابل هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه آخر، وقد ذم الإسلام ذا الوجهين، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» (متفق عليه).

إن أهل النفاق الاجتماعي لا يعيرون اهتمامًا لأصحاب الكفاءات، وإنما يعتمدون على من يطاوع نفاقهم، مما يؤدي إلى هجرة الكفاءات.. وهم محملون بالحقد على مجتمعهم الذي تربوا فيه، فتفقد الأجيال ولاءها وانتماءها للأوطان، ويرتمون في أحضان الأوطان التي هاجروا إليها، مما يتسبب في إحداث ازدواجية في الناشئة التي ستخرج من هذه الأجيال المهاجرة، بسبب أن المناصب القيادية في المؤسسات والهيئات لأهل التملق والنفاق، وهذا يؤدي إلى تفاقم الأزمات وظهور الفشل .

واجب الأمة تجاه ظاهرة النفاق الاجتماعي

يجب على الأمة تعرية هؤلاء المنافقين؛ لأنهم يبالغون في مدح الناس بالباطل من أجل المآرب والمصالح الشخصية، وقد يبالغون في المدح إلى حد الإطراء، فيصنع هؤلاء المنافقون فراعين يذلون الناس ويستعبدونهم، كما أنهم يمهدون لغيرهم صناعة الفراعين! فكلما رحل فرعون جاء فرعون جديد، يعتمد على سحرة أهل النفاق، عن طريق لحن القول وتزييف الحقائق، فتنزلق الأمم في الهاوية..

فمن الذي كوى الأمة كلها بنار الفرقة والتشرذم؟ ومن الذي قسم البلاد ووضع الحدود المصطنعة؟ ما حدث ذلك إلا بتمهيد ومباركة من أبناء عبدالله بن أبي بن سلول، المربي الأول لطابور النفاق على مر العصور، وهو الشخصية الحقيقية الرمزية بعد ذلك، والنموذج الذي يسير على دربه أحفاده، إنها ذرية بعضها من بعض، تتجمل وتتصنع بزخرف القول غرورًا، فيجب على الأمة بعد تعريتهم أن يفعلوا معهم فعل الرسول ﷺ حيث وضعهم في مكانتهم التي يستحقونها، وهي الوضاعة والخسة، بدلا من تمجيدهم وإضفاء الألقاب العالية عليهم، يقول ﷺ: «إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب» (رواه مسلم)، أي المبالغون في مدح الناس في وجوههم، والمادحون لهم بالباطل، وبما ليس فيهم .

ومن واجب الأمة كذلك تجاه خطر النفاق الاجتماعي تحذير الأجيال منهم، وتنشئة المجتمع تنشئة اجتماعية سليمة، بعيدة عن التملق والخداع؛ لأنه أسلوب انتهازي رخيص، وليس من أخلاق أهل الإيمان والشرف، فقد روي عنه ﷺ: «ليس من خُلُق المؤمن المَلَقُ». والمَلَقُ هنا هو التملق. (حديث ضعيف)

ويجب على الأمة بيان خطر النفاق عن طريق إظهار خطره في الآخرة، فكما أن هذا اللون من النفاق يدمر صاحبه والمجتمع كذلك، فإنه يعرضه للعقاب الأليم، وذلك لأنه خائن لله ورسوله ﷺ، فقد ورد عند الحاكم وصححه عن ابن عباس- رضي الله عنهما- مرفوعا: «من استعمل رجلا على عصابة، وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين »، وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين».

النساء في الإسلام بين الماضي والحاضر

د. آندي حجازي
باحثة أكاديمية

في القرنين الخامس والسادس الميلادي، وكما تشير المعلومات التاريخية كانت الامبراطوريتان الرومانية والفارسية تحكمان العالم وتتصارعان على السلطة بشتى الطرق والوسائل، وكان مَن يحكم ويسيطر على العالم ويقود تلك الصراعات التي لا تنتهي هو الرجل، فالثقافة الذكورية السلطوية هي السائدة، ولم يكن للمرأة آنذاك شأن يذكر، أو أمل يرجى.. والأمر لم يختلف كثيرا عما كان سائدا في الجزيرة العربية، فالمعاملة واحدة، تُعامل النساء أسوأ أنواع المعاملة.. تُباع المرأة وتُشترى في سوق النخاسة، وتعامل معاملة العبيد، بل الحيوانات أحيانا، تُضرب وتُذل ولا يرتفع لها صوت أو رأي، ولا يُنظر إلى حالها، بل يُعد قدومها للحياة عارًا، فيقرر الوالد- في أحيان كثيرة- التخلص من هذا العار بزجّها في التراب وهي تنبض بالحياة منذ اللحظات الأولى لحياتها قبل أن يراها أحد أو ينظر في وجهها.. فالإناث كنّ في ذلك العالم وتلك الإمبراطوريات بلا حقوق إنسانية كالتعليم وامتلاك المال أو الإرث.. ما عليها سوى خدمة الرجل الذي هو النصف الثاني من العالم، والذي يستخدم قواه الجسدية من أجل سيادته على العالم.. فأي حضارة تلك التي كانت تسود العالم آنذاك؟ وأي ظلم عمّ البشرية لقرون طويلة؟

في ظل تلك الثقافات والأفكار والصور النمطية السلبية والقهرية السائدة حول المرأة ودورها في المجتمع برز فجر الإسلام، فجر دين جديد، حمل في ثناياه كل معاني الحب والتقدير والرفعة والعدالة الاجتماعية للمرأة، أعلى من شأن النساء وأعطاهن حقوقا، فأعاد التوازن للحياة الأسرية، وأول حق اعترف به ونادى به هو إنسانيتها، فليس الذكر وحده الإنسان، بل الأنثى تتشارك معه في ذلك، وليس الرجل وحده المكلف في هذا العالم، بل كلاهما (الرجل والمرأة) له حقوق وعليه واجبات، ومحاسب على أفعاله، قال الله تعالى:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾

(النساء: ١٢٤). وجاء الحديث النبوي الشريف: «النساء شقائق الرجال، ما أكرمهنّ إلا كريم، وما أهانهنّ إلا لئيم» (رواه أحمد والترمذي والبيهقي)، فأعاد الإسلام للمرأة حريتها وكرامتها وإنسانيتها قبل أي شيء، فأصبح لها حرية التصرف وحرية العبادة وحرية اتخاذ القرار، بعد أن كانت تابعة تتحكم بها أهواء الرجال بلا أدنى رحمة أو مشاعر إنسانية.

فأي دين عظيم هذا الذي ربط طاعة الأم بطاعة خالق البشر وأمر بالإحسان إليها؟ وبدون الإحسان للأم وتكريمها فلا دخول لجنة الآخرة، فجعل الجنة تحت أقدامها.. فهل بعد هذا التكريم من تكريم وتقدير لدور المرأة في الحياة؟ وتأمل كيف سمى الله تعالى سورة كاملة باسم «النساء» بالقرآن الكريم ولم يسم سورة الرجال، وذلك تكريما للمرأة ومطالبة للرجل بإعطائها حقوقها، بل ذكر الله تعالى عددا من قصص النساء في القرآن الكريم، كمريم بنت عمران، وآسية زوجة فرعون، وامرأة العزيز.. فلم يعتبر القرآن الكريم اسم المرأة عورة لا يجب أن يذكر على لسان عباده، فالله خالقها وهو أرحم بخلقه.

الدين الإسلامي العظيم جعل المرأة في منزلة رفيعة مقدرة ذات دور عظيم في الحياة، فأعلن:

أولا: تكريم المرأة وأهمية دورها، فهي محضن البشرية ومربية أجيالها وسبب تكاثرها، فلولا وجودها لما استمرت الحياة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء: ١) .

ثانيا: تكليف المرأة ومحاسبتها، فخاطب الذكر والأنثى على حد سواء في الأمور الشرعية، فأوضح الإسلام أن المرأة مكلفة ومحاسبة على أعمالها كما الرجل، ومادة التنافس بينهما لدخول الجنة هي العمل الصالح، وهو معيار التفاضل عند الله تعالى بين بني البشر ذكورا وإناثا، أغنياء وفقراء، مهما اختلفت ألوانهم وأعراقهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات: ١٣). وقال تعالى مؤكدا المساواة في ذلك: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ (الأحزاب: ٣٥).

ثالثا: مشاركة المرأة الرجل في النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل مشاورتها، فقال عز وجل: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ (التوبة: ٧١)، فأي تقدير أعظم من هذا! جعل للمرأة كلمة مسموعة ورأيا ونصيحة، وليس كما يفعل البعض من محاولة إقصائها عن هذا الدور في الحياة.

ونرى موقف أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- في صلح الحديبية عندما أحس المسلمون بأن بنود الصلح بها إجحاف لهم وأنهم لن يعتمروا هذا العام، ولم ينفذوا أمر الرسول ﷺ بأن يتحللوا من الإحرام، فدخل الرسول ﷺ خيمته وهو يقول: «هلك المسلمون، أمرتهم فلم يمتثلوا» فشاورها، فأشارت عليه بأن يبدأ بنفسه، ويتحلل هو من الإحرام، وعندئذ سيفعل الجميع مثله.. فحلت المشكلة برأيها الحصيف!

رابعا: للمرأة حق في التعلم والتعليم، فلم يمنع الإسلام المرأة من حقها في الذهاب لأماكن التعلم ونيل حصتها من العلم، وقد كانت تحرم من ذلك قبل الإسلام، ويؤكد هذا الحق قول رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» (رواه أحمد وأبوداود). فالرسول عليه الصلاة والسلام لم يمنع النساء من القدوم للمسجد لحضور الدروس الدينية أو سماع الخطب في الجمع والأعياد، فكن يلتقين برسول الله ﷺ ويطرحن عليه الأسئلة من أجل التفقه بالدين.. فالإسلام حث على ذلك لأن الجاهل عدو نفسه، فكيف للأم أن تربي أبناءها تربية صالحة إن لم يكن لديها معلومات كافية تزوّد أبناءها بها، ففاقد الشيء لا يعطيه.

ومن أروع الأمثلة على حق المرأة في التعلم والتعليم ودورها في ذلك، هي السيدة عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها- التي كان الصحابة يرجعون إليها لأخذ العلم والأحكام الشرعية عنها، فكان الصحابة يسألونها عما كان يفعل رسول الله ﷺ في بيته، وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام كان كبار الصحابة كعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان.. يسألونها رأيها وما سمعت من رسول الله ﷺ في هذا الشأن أو ذاك، لأنهم يعلمون أنها ذات علم واسع، فلم يتحرجوا من العودة لامرأة، فكانت مصدر علم ليس للنساء فقط، بل للرجال أيضا، فهي من أكثر النساء حفظا للأحاديث النبوية، وهذه حكمة الله باختيارها زوجة لرسول الله ﷺ وهي صغيرة السن لتنقل عن رسول الله ما ترى وما تسمع بكل دقة.

وقد قال هشام بن عروة عن أبيه: «ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة». وقال أبوبردة بن أبي موسى عن أبيه: «ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علما». وقال الزهري: «لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع العالمين المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل» (كتاب: الإصابة في علم الصحابة). فتفكّر في هذه الشهادات، فهل من دِين رفع قدر المرأة كالدين الإسلامي؟

خامسا: حق التملك وامتلاك المال ونيل الإرث، فانظر كيف كانت السيدة خديجة بنت خويلد- رضي الله عنها- صاحبة مال وتجارة ولم ينزع منها الإسلام هذا الحق، بل استمر رسول الله ﷺ بعد الإسلام مُعينا وسندا لها في الاتجار بمالها وفقا لطلبها، وكانت في المقابل تدعمه وتدعم الدعوة الإسلامية بمالها.

وفيما يتعلق بالإرث فإن قال قائل إن الإسلام أعطى المرأة نصف ما أعطى الرجل من الميراث.. فكيف أعطاها حقها؟ فنحن نقول:

١- إنه قبل الإسلام لم تعطَ الإناث أيّ نصيب من المال، فيكفي أن الإسلام جعل لها نصيبا اعترافا بإنسانيتها.

٢- إن المرأة- في الحقيقة- ليست دائما ترث نصف الرجل، بل أحيانا

ترث نصف التركة، وأحيانا ثلثها، وأحيانا الثلثين، وأحيانا الربع، وأحيانا الثمن، وأحيانا السدس... وهكذا، فهناك تفاصيل كثيرة جاءت في القرآن الكريم من لدن حكيم عليم لتجعل نصيبا خاصا من الميراث للمرأة، فلم تكن تأخذ دائما نصف الرجل.

٣- وراثة المرأة في حالات معينة لنصف حصة الرجل هو تكريم لها وليس العكس، فقد جعل الله تعالى الإنفاق عليها وعلى أبنائها واجب الرجل، ولم يكلفها بذلك، فما سترثه هو لها وحدها فقط، بينما ما يرثه الرجل فسيُنفق على زوجته وأمه وأبنائه.. فلذلك كان من الواقعية أن ينال الرجل قسطا أكبر، فهذا من عدل الله تعالى وليس ظلما لها.

سادسا: حق المرأة في التحرر من العبودية والرق، فقد جاءت آيات كثيرة تحث على تحرير الرقاب، وجعل الإسلام الكثير من الكفارات بتحرير الرقاب، ولم تنص الشريعة على أن الرقبة التي ينبغي تحريرها يجب أن تكون من الذكور فقط، بل حث على التحرير بمطلقه للنساء والرجال، فلم تبق النساء تحت ظل العبودية وتحرر الرجال، قال تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ (النساء: ٩٢)، فالشرط للتحرير الإيمان وليس الجنس.

سابعا: دورها الإيجابي في المجتمع والتفاعل مع قضاياه، فلم نكن نسمع عن دور للنساء قبل الإسلام، ولكن بعد انتشار الإسلام سمعنا عن الكثير من النساء وأدوارهن، فمثلا السيدة صفيه بنت عبدالمطلب عمة النبي عليه الصلاة والسلام التي ربت ابنها الزبير بن العوام على الجهاد فكان من العشرة المبشرين بالجنة، كان لها دور كبير في الدفاع عن بيوت المسلمين أثناء غزوة الخندق، فعندما أراد اليهود أن يتسللوا إلى الحصن الذى به بيوت نساء المسلمين في غياب الرجال في المعركة، قتلت بيدها اليهودي الذي تسلل إلى الحصن وألقت به على اليهود فظنوا أن هناك جيشا من الرجال داخل الحصن يحرس النساء، فتراجعوا خوفا.

والصحابية أم هانئ رضي الله عنها ودورها في فتح مكة، عندما أهدر الرسول ﷺ دم أحد الكفار وأمر بقتله استجار بها فأعطته جوارها، فقَبِل النبي ﷺ ذلك وقال: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ»، وكان هذا سببا في إسلام الرجل. فهل كانت تحلم المرأة بهذه المكانة قبل الإسلام، وهي التي كانت تسودُ الوجوه لولادتها جهلا منهم بمكانتها.

والسيدة أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين دورها معروف في هجرة النبي ﷺ مع أبيها أبي بكر.

والسيدة زينب بنت رسول الله ﷺ كان لها دور عظيم في إسلام زوجها أبي العاص عندما استمر على الكفر مدة طويلة، واستمرت تدعوه إلى الإسلام، وعندما هاجرت وتركته ظلت صابرة إلى أن أتى إلى المدينة وظلت تدعوه حتى أسلم. فانظر كيف أصبح للنساء دور في الدعوة ودخول العديد من الرجال في الإسلام، وتأمل كيف احترم الإسلام حقوق المرأة في مشاركتها في كل نواحي الحياة التي ترغب بها ولم ينكر عليها أيا منها.

بين الغرب والشرق

استمرت المرأة المسلمة تأخذ حقوقها كاملة في ظل دول الخلافة الإسلامية المتلاحقة، فمثلا في القرون الوسطى، من الخامس عشر وصولا لنهاية القرن الثامن عشر، وبينما كانت النساء في أوروبا يعانين أشد أنواع الظلم والقهر والعبودية في عصور الظلام التي كانت سائدة في أوروبا آنذاك، كانت نساء المسلمين مكرمات يتمتعن بحقوق لا مثيل لها، تحفظ إنسانيتهنّ وكرامتهن وتعلي قدرهن.

ولكن اليوم، وبعد كل ما نالته النساء في الإسلام من حقوق وتكريم يأتي مناهضو الإسلام ليدّعوا أن الدين الإسلامي لم يعط المرأة حقوقها، والمرأة أحيانا تقتنع بهذا الكلام وترددده، فيزعمون أن المرأة اليوم في مجتمعاتنا الإسلامية لم تأخذ حقها بالتعلم والدراسة في المدارس والجامعات وحقها في العمل.. وفي اختيار لباسها وكشف جسدها كما تشاء، أو قل كما يشاء أعداء الإسلام.

والحقيقة أن المرأة المسلمة في العصر الحالي لم تُمنع من حق من تلك الحقوق، بل إن جل البلدان الإسلامية خصصت لها أماكن للتعلم كالمدارس والجامعات والمعاهد.. ولم يقل حظها في ذلك عن الذكر بل أصبحت تنافسه وتتفوق عليه.. وإن قال قائل إن الكثير من تلك البلدان قد تأخر في ذلك، فإننا نقول إنه حتى البلدان الغربية التي تدّعي التقدم كالولايات المتحدة وأوروبا، تأخرت في السماح للنساء بالتعلم خارج البيت، فلم يسمح إلا للذكور بالذهاب للمدارس والجامعات حتى بدايات القرن الماضي، فلم تأخذ نساؤهن حقهن في ذلك إلا قبل عشرات السنين فقط وبمطالبات مُلحة وبمعاناة الأمريّن لأجل ذلك، وهذا موثق بتاريخهم. فالنساء لاقينَ اضطهادا حتى في الدول المتقدمة فلم يكن للنساء حق في المشاركة بأموالهن في أسواق البورصة العالمية، ولا حق لهن في نشر الكتب، فكن ينشرن بأسماء ذكورية حتى تقبل دور النشر مؤلفاتهن.. وهذا كله في القرن الماضي، وليس قبل قرون طويلة.. فأي حقوق تلك التي يقال إن المرأة حُرمت منها في ظل الإسلام؟

ولكن حقيقة ما ينادي به الغرب اليوم هو محاربة لدور المرأة المسلمة في بناء الأسرة المسلمة المتمسكة بتعاليم دينها، فلم يجد الغرب طريقة لإضعاف الإسلام في النفوس وزعزعة إيمان المسلمين وإبعادهم عن دينهم، غير صرْف المرأة عن دورها الحقيقي في تربية الأبناء وصناعة

الأجيال والحفاظ على استقرار الأسر الإسلامية وامتدادها.. لأنهم يعلمون تماما (من التاريخ) أهمية دور المرأة المسلمة في تنشئة أجيال مبدعة تقود الأمم نحو النهضة والتقدم.

تراجع دور الأمهات

ما نراه اليوم هو تراجع لدور النساء المسلمات في تربية أبنائهن وانشغالهن في أمور خاصة، فليت الأمر يتوقف على خروجهن من أجل التعلم أو العمل، فهذا يُفترض أن به فائدة لها ولأسرتها وهو من حقها، ولكن المشكلة عندما يكون الإهمال مقصودا من الأم ذاتها، بذهابها للأسواق مثلا، وقضاء جل وقتها في التسوق بلا طائل وبلا حاجة، بل لمجرد المتعة والتسلية وتمضية الوقت، أو قيامها بزيارات يومية لجاراتها وصديقاتها وقضاء ساعات كثيرة من وقتها في القيل والقال مع إهمال شؤون بيتها، أو قضاء ساعات وأيام من عمرها في متابعة المسلسلات التلفزيونية المختلفة، والجلوس لساعات طوال على مواقع التواصل الاجتماعي.. مع إهمال لقضايا التربية للأبناء، ودون أدنى اكتراث بها.

فما نرجوه لنسائنا المسلمات المربيات هو قضاء وقت نوعي وليس كمي مع الأبناء، فكم من الأمهات قد يمضين من الساعات الطويلة بجوار أبنائهن ولكن بلا فائدة تذكر، فلا توجيه ولا نصح ولا إرشاد ولا حتى لعب مع الأبناء.

التوازن مطلوب

وفي مقابل الأمثلة السابقة تجد أمهات مشغولات في عملهنّ خارج البيت، وعند عودتهن يتوافر لهن ساعات قليلة فقط لقضائها مع أبنائهن، ولكنها مليئة بالفائدة والمتابعة والحرص على تعليم الأبناء أمور دينهم ودنياهم، وتقويم سلوكاتهم وأخطائهم، وتشجيعهم على أمور ذات فائدة وإنتاج، فهذا هو الدور الحقيقي للأم مع أبنائها، والذي بدأ يقل في هذه الأيام بعد انتشار وسائل الحصول على المعلومات والتي باتت منافسا للوالدين في تقديم التربية للأبناء.

فهناك أمهات محتاجات للعمل، ولا يمكن أن نقول لهن اجلسنَ في البيت وسيأتيكن رزقكن رغدا، ولكن على الأم أن تتقي الله في أبنائها وتحاول الموازنة بين عملها وتربية أبنائها، فجهدها سيكون مضاعفا إن اختارت الذهاب للعمل، حيث عليها الموازنة والمساواة بين متطلبات عملها ومتطلبات أبنائها وتربيتهم، والذي من المفترض أن تكون تنشئتهم خير تنشئة من أولى أولياتها كما كان السلف الصالح، وهنا يدخل ما يسمى بـ«فقه الأولويات»، فكل أم هي حالة خاصة عليها أن تقدّر بنفسها أولوياتها وتعمل على مراعاة كل منها، فإن كانت قادرة على الموازنة بين حقوقها وواجباتها فإنها سترفد المجتمعات بأعظم الأفراد.

فالإسلام لا يمنع المرأة من الخروج للدراسة أو العمل، ولكن شريطة أن تقوم بدورها في رعاية أبنائها وتنشئتهم تنشئة صالحة، وهو الدور الذي اصطفاها الله تعالى له وكرمها به، فلا تترك أمور التربية لأبنائها على عاتق الخادمة التي غالبا لا تفقه شيئا من تعاليم ديننا وأساليب التربية، ولا تترك أبناءها لرفاق السوء يأخذون بأفكارهم يمنة ويسرة، ولا تتكل على الوسائل التكنولوجية كالهواتف النقالة والإنترنت والأجهزة المحمولة في الحصول على التربية اللازمة، فلا يكون مرجوعهم لمعلومات غير موثقة أو منحرفة أخلاقيا وسلوكيا نتيجة لانشغال الأم في أمورها الخاصة كما يحدث اليوم.

وأختم بهذه القصة التي وردت في موقع ويكيبيديا: في عام (٢٠٠٠) زار مؤتمر العالم الإسلامي بجدة وفد نسائي أمريكي برئاسة السيدة جينا أبر كرومبي (مستشارة الرئيس السابق بيل كلينتون، ومسؤولة في مجلس الأمن القومي الأميركي آنذاك)، وكان الوفد مهتما بمسألتين: (المرأة والديموقراطية)، فقالت جينا: «لقد حاولنا بأنفسنا التعرف على وضع المرأة في الإسلام فلم نستطع، واستعنا بأصدقائنا من العرب والمسلمين، فجاءت المعلومات ضعيفة.. فقررنا أن نأتي مباشرة إلى بلاد المسلمين، فماذا عندكم؟ وكان الرد: «إن المرأة أمّ المجتمع، ومصدر استقراره، وحارسة أمنه.. والأسرة: هي الوحدة الأساس من وحدات بناء المجتمع المدني السليم، بل هي المؤسسة المركزية الأولى بين مؤسسات المجتمع الحضاري الآمن، وإن الفرق بيننا وبينكم بشأن المرأة بدأ يوم أن قررتم- على نقيض منهج أجدادكم وعظمائكم- أن تلغوا دور الأسرة كمؤسسة من مؤسسات المجتمع، واستبدلتموه بالإباحية الاجتماعية، وأقمتم على هذا القرار فكرة تحرير المرأة من البيت، أي من ثقافة الأسرة إلى ثقافة اللا أسرة، أو ثقافة تعدد وتنوع الأسرة، وما يتعلق بذلك من سلوكات معروفة لدى الوفد الكريم.. أما نحن فلا نزال نصر على تمسكنا بمبدأ أن الأسرة التي عمادها المرأة والقائمة على الزواج الشرعي والقانوني هي الوحدة الأساس والمؤسسة المركزية بين مؤسسات المجتمع المدني المتحضر والآمن». فسألت جينا: «وهل تريدون أن أهجر عملي في مجلس الأمن القومي لبلدي وأعود للأسرة؟» وكان الرد: «لا.. ولكن عليك وعلى كل رجل وامرأة في أي مجتمع أن تقوم على العلاقة المتوازنة بين واجبات كل فرد في مؤسسة الأسرة وبين متطلبات المجتمع، وعلينا جميعا أن نؤمن بأن مؤسسة الأمن القومي الأولى لكل أمة هي الأسرة، وما يأتي بعدها من مؤسسات وأسباب ينبغي أن يكون امتدادا لها وليس إلغاءً لوجودها، ومسخا لرسالتها المقدسة».

هي.. قضية الشخصية الإسلامية بكل أبعادها

كثف القرآن الكريم من استخدام ألفاظ وتوظيف تسميات يعبر من خلالها عن المرأة؛ وضعا ووظيفة وما يمت إليها من قضايا وتقلبات، باعتبارها كائنا مستقلا من حيث الشخصية، يشكل مع الشق الآخر «الإنسان»، فنجد «النساء» و«نساء»، و«نسوة»، و«النسوة»، و«امرأة»، و«أنثى»...

د.محمد سعيد باه
أستاذ جامعي - السنغال

وفي أتون ملابسات خاصة كانت تتطلب تخليص العقول من بقية المفاهيم المتعفنة التي كانت الجاهلية الجهلاء تسور بها على المرأة حسا ومعنى، عقلا وروحا، جاء حديث رسول الله ﷺ:

«إنما النساء شقائق الرجال»(١).

لكننا قلبنا المعادلة، حين زاغ بصرنا عن النهج السديد الذي كان الإسلام قد اختطه لنا لنسير به على هدى من ربنا، فجعلنا منها مجرد تابع ذليل لأتفه الرجال ولو كان لا يصلح أن يكون قيم نفسه، بل ممن يحجر عليه، حتى بلغ بنا الحنق على المرأة أن تجادلنا عن حكم صوتها هل هو عورة أم لا؟ مع أننا لا نملك قطمير شبهة تبرر هذا التساؤل الأخرق لو أننا استفتينا النصوص ما جعل الشيخ الغزالي يستشيط غضبا ويرد بعنف عنه: «بل هو ثورة».

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٧١).

بعد قراءة هذه الآية التي تؤصل لمبدأ التكامل بين شقي الإنسان، يُنفى الاصطراع بقدر من التمعن، والتي تتناسق مع عشرات الآيات تتناثر عبر كتاب الله(٢)، يجب أن نعيد النظر في التصور الجانح الذي نحمّله الإسلام عن المرأة، وهو التصور الذي جعل خصومنا يصنفون فقهنا وفكرنا وثقافتنا بأنه كله ذكوري، أي إنه يقوم على المحاباة والتمييز السلبي ضد المرأة وقضاياها.

وبهذا، يخيل إلي أن بعض من يتعاطى قضية المرأة بالمعالجة من المنظور الإسلامي، يفترض أن المرأة عنصر إضافي للجنس البشري يمكن الاستفادة منه كما يمكن الاستغناء عنه ثم تستوي الحياة على مسارها، بخلاف الرؤية الإسلامية التي تتأسس على دعامة أن الإنسان مكون من شقيه الأنثى والذكر، ما يؤكد استحالة استمرارية الوجود وفق السنن الإلهية الحاكمة للجنس البشري في هذه الأرض دون أحدهما، بحيث يعني غياب أحد الشقين توقف الآخر عن الوجود بصورة تلقائية(٣).

وظف القرآن الكريم مصطلحات محددة للحديث عن المرأة -وفي ظل ذلك نلحظ التفريق بين قضيتين أدى الخلط بينهما إلى انحراف الزاوية التي ننظر إلى قضية المرأة من خلالها- ومن أهم ما يلفت النظر في هذا الحديث التفريق الواضح بين الوضع وبين الوظيفة(٤).

أخوف ما أخافه، إذا استمر وضع التيه الفكري الذي نضرب في بيدائه، أن

يأتي علينا حين آخر من الدهر نطرح فيه على المستوى ذاته من الحماس، قضية الرجل على بساط النقاش بعد أن نعتقد بأننا قد حسمنا مسألة المرأة، في الوقت الذي كنا فيه في الوقع نَجهد على خلق قضية لها لم تكن موجودة إلا في بعض الأدمغة المريضة التي تعاني من انفصام الرؤية، وتعجز دائما عن استيعاب كافة أبعاد الصورة.

من العلل المكبلة التي عانينا منها، حين يتعلق الأمر بمعالجة القضايا التي لها ارتباط بالمرأة، أن نسارع إلى استدعاء نص فرعي أو فتوى فردية تم إنتاجه في ظروف غير مواتية، قد تكون حالة أزمة حادة لا تتيح تطبيق مبدأ إنضاج التفكير والمعالجة بمنهجية معمقة توصل إلى رؤية كلية مستندة إلى تحقيق الحد الأعلى من المصلحة العامة، وفق ما يتوق إليه الشرع في جوامعه التي تتعامل مع كل الحالات والمتعلقات بما يضمن حالة من التوازن والانسجام في حركية المجتمع، والاستقرار في علاقاته الداخلية.

من الطبيعي أن تكون النتيجة هذه الثلمة الفكرية التي أفرزت الثغرة الضخمة التي تسلل عبرها من يحاولون النيل من الإسلام، حين وجدوا أن وضع المرأة عندنا في غاية التشوش فكريا، والهشاشة اجتماعيا، وأما على الصعيد العام فكانت قد فقدت كل المكتسبات الحضارية التي نتغنى بها حين نعدد مآثر الإسلام، ونورد النقلة الهائلة التي حظيت بها المرأة في ظل الإسلام، ويسر هذا الزوغان في الرؤية والتطبيق في كل قضايا المرأة للخصم تحويلنا إلى حالة الدفاع والتبرير إذا لم يكن التشكي والاجترار.

واجهت القيادات الإسلامية الفكرية التي برزت في مسارح الإصلاح عبر العالم الإسلامي هذه الحالة بصلابة، وحاولت طرح تصورات مجددة تستمد أصالتها من القدرة على استنطاق النصوص المؤسسة للفكر الإسلامي الأصولي، لكن العامل الأساس الذي عرقل هذه الجهود المخلصة حتى الآن، والتي كانت مرشحة لتخليص المرأة من براثن الردة الثقافية التي رانت على العالم الإسلامي، تمثل أساسا في سدنة الجمود الفكري الذين كانوا لا يزالون التيار المسيطر في الشارع العام الذي استقووا به لصد جهود الإصلاحيين(٥).

يتطلب منا وضع المرأة اليوم في العالم الإسلامي، بناء مشروع جديد لإعادة دمجها ضمن المنظومة الكلية للحياة في ظل المنهج الإسلامي، وليس التعاطي معها عن طريق الاجتزاء، ولتحقيق هذه الغاية لا مندوحة من أن يرتكز هذا المشروع على دعامات أساسية منها:

الكف عن معالجة ملف كل ما يتعلق بالمرأة وكأنها عنصر إضافي يمكن التخلص منه، وهذا المأخذ هو الذي يتجلى لنا حين نمعن النظر في كثير من الطروحات الفكرية التي نلقاها مثل الحديث عن أهمية المرأة، وعن دور المرأة، وموقف الإسلام من المرأة، ومشكلة المرأة، وهي في الحقيقة عناوين نعبر بها عن وجود أزمة فكرية أعمق تؤثر فينا بصورة سلبية، حتى ونحن بصدد معالجة الأزمة ومظاهرها، وبالأخص في الشق المتعلق بالمرأة.

التخلص من ضغط ثقل الواقع الاجتماعي الذي ظل لقرون يؤثر بصورة سلبية في كثير من المواقف التي نصدر عنها في كل مرة يطرح فيها موضوع المرأة على بساط النقاش، ما يجعل الموقف الذي نتبناه بقدر من الحساسية، بفعل الموروث الثقافي أو الاجتماعي، أكثر من كونها مواقف مؤصلة تعبر عن روح الإسلام في صلابته وشموليته اللتين يتعاطى بهما القضايا المحورية لحياة من يعيشون في ظل تشريعاته وتوجيهاته.

إيجاد حد فاصل بين تلك الموروثات الاجتماعية التي كبلت المرأة وعرقلتها، بل وسلبتها الحرية والقدرة على ممارسة حياتها في ظل الإسلام، وبين المفاهيم الكلية التي نجدها في مصادر الإسلام مع القدرة على إعادة قراءتها بعيدا عن معكرات التراث الفقهي الذي انتهت صلاحيته، لكن البعض يصر على النفخ فيه باستمرار ويستميت في جعله محور حياة المرأة باسم الإسلام.

من غير المنطقي أن نظل نثير جدلا عريضا حول قضايا تتعلق بالمرأة وحقوقها التي لا تقبل المساس بها، بينما قد اعتبرها القرآن من المسلمات المحسومة، ويمكن أن نطرح حشدا من الأمثلة تجلي هذه الحقيقة المرة التي كبدتنا خسائر ضخمة في كل مرة أردنا فيها تسويق نموذجنا الحضاري وفق قانون المقايسة التي تتفاضل بها المعروضات الحضارية.

الخلاصة

في الواقع ليست القضية قضية المرأة، رغم العويل الحاد الذي ظل يصك أسماعنا طيلة العقود المنصرمة، بل القضية هي قضية الشخصية الإسلامية بكل أبعادها، وهي التي نحتاج اليوم إلى إعادة بنائها بعد أن غامت ملامحها وتشوهت معالم تميزها بين الشخصيات الأخرى بفعل ما تعرضت له من خدوش شديدة.

الهوامش:

١- أوردته جماعة من الثقاة بمن فيهم أحمد والبيهقي والدار قطني وأبويعلى عن طريق أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها).

٢- مع التنبه بأن الإعجاز القرآني بلغ حد التفريق بين المرأة وبين الأنثى، وميز الرجل عن الذكر، كما نستشف معاني أخرى محورية حين نستنطق آي القرآن الكريم.

٣- كثيرا ما أضرب لطلابي هذا المثل البدائي ترسيخا لهذه الفكرة: لو ملأنا مدينة بأحد الشقين فقط، وزودناهم بكل ما يلزم لقوام الحياة، وعدنا إليهم بعد قرن لوجدنا أن يد الانقراض قد حصدتهم حصدا فقط لأن الشق الآخر غائب.

٤- لاحظ بعض دارسي القرآن الكريم بأنه تناول قضية الشق الثاني للعنصر البشري ضمن هذه الرؤية الوضعية والوظيفية، في الحالة الأولى استعمل «امرأة» بينما وظف مصطلح «زوج» حين تناوله من المنظور الوظيفي البيولوجي الذي غالبا ما حبسنا وضع ووظيفة المرأة في إطاره.

٥- حين وضع الشيخ أبوشقة (رحمه الله) مؤلفه الرائع «تحرير المرأة في عصر الرسالة» نهشته أقلام، عاد بعضها اليوم ليسطر في الاتجاه نفسه كلاما ما أنزل الله به من سلطان.

المرأة بين الإسلام والغرب
(تجارب من قلب المعاناة)

السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحفي

من المؤكد أن التعرف على الدوافع التي كانت وراء إسلام من أسلم من الغربيين، يمنحنا رؤية ثاقبة بحقائق ديننا، وعوامل تميّزه وتفرّده التي قد نجهلها -نحن الذين وُلدنا مسلمين- لطول الألفة والعشرة بها!

كما أن معرفة هذه الدوافع تقف بنا من ناحية أخرى، على عمق الأزمة التي أوصلت إليه الحضارةُ الغربية الإنسانَ المعاصر، وعلى النتائج الكارثية لهذه الحضارة المادية الإباحية، لأنها تجاهلت المعاني والغايات والقيم، واكتفت بالمادة وبريقها الزائف.

كثيرة تلك الأسباب التي تقف من وراء إسلام الغربيين.

● فقد تكون هذه الأسباب راجعة إلى صفاء العقيدة الإسلامية، ووضوحها، وخلوّها من الغموض والتعقيد اللذين يكتنفان العقائد الأخرى، كتلك التي تُطالب الإنسان بأن يعتقد وهو أعمى، لا عقل له، ولا تمييز لديه.

● وقد ترجع إلى قدرة الإسلام على إشباع حاجات الإنسان الروحية والجسدية معًا، والسمو به إلى درجات عليا من الصفاء النفسي، والألق الروحي.. ولا غرو، فالإسلام يلبي أشواق الروح ويعلو بها، دونما افتئات على قواعد العقل، وحقوق الجسد، ومقررات الفطرة السليمة، بعكس ما تدعو إليه الفلسفات والمذاهب التي تزعم أنها ترتقي بالروح، بينما هي في الحقيقة ترتكس بها إلى أسفل الدركات، حين تجعلها تهيم في عالم ليس له منطق، ولا تفكير يحكمه، إنما هي تُرّهات ومحض تهويمات!

● وقد تتمثل في عبقرية النظام الإسلامي وتفرده، سواء الاجتماعي منه أو الاقتصادي، فالإسلام في كليهما -كما في غيرهما- يراعي في اتزان ووسطية حقوق الفرد وحقوق المجتمع، سواء بسواء، فلا يبخس الفرد حقه، ولا يعطي المجتمع فوق ما يستحق، إنما يربط الفرد بالمجتمع في علاقة تكاملية، بحيث يعرف كل منهما ما له من حقوق وما عليه من واجبات.

غير أن ما نريد أن نلفت النظر إليه في هذا المقام، هو أنه برغم الواقع المتدهور الذي يحيط بالمرأة في عالمنا العربي والإسلامي، بفعل عوامل كثيرة -قطعا- ليس من بينها الإسلام، وإنما هو سوء الفهم عن الإسلام!.. فإن رؤية الإسلام الناصعة للمرأة ولدورها في المجتمع، كانت من أهم العوامل التي دفعت الغربيين -والكثير منهم من النساء- لاعتناق الإسلام، وإعلان الولاء له، وجعلتهم يرون فيه المُنقِذَ من الضلال، والهادي وسط الظلمات الحالكة.. وتلك مفارقة تستحق أن نقف معها وقفات!

تكامل الأدوار

إن الإسلام ينطلق في رؤيته للمرأة ودورها من كونها جزءًا أصيلا من المجتمع، فهي نصفه، وفي الوقت نفسه تلد النصف الآخر، وتقوم على تربيته.. فكيف يمكن إذن أن يتجاهل دورها المحوري والأساسي؟!

هو ابتداء يقرر وحدة الأصل للرجل والمرأة، لأنهما خُلقا من نفس واحدة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾(النساء: ١).

كما يقرر في وضوح أن النساء شقائق الرجال(١)، وأن المرأة مكلفة ومأمورة مثل الرجل، ولا تقل عنه في الحقوق والواجبات، وإنْ كان لكل منهما المجال الذي يتحرك فيه، مما يتناسب مع طبيعته النفسية والجسدية، ومع وظيفته الاجتماعية، فهما يتكاملان في الأدوار ولا يتناقضان في الأهداف والغايات، أما الاختلاف بينهما فيقع في الوسيلة التي يسلكها -أو ينبغي أن يسلكها- كل طرف منهما لأداء دوره المنوط به في تحقيق الاستخلاف وعمارة الأرض.

وقد جاءت النصوص في ذلك متواترة ومتضافرة، تقطع كلّ شك، وتزيل كلّ سوء تفسير وتأويل، ويكفي للدلالة على هذا قول الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾(آل عمران: ١٩٥)

وقوله سبحانه أيضا: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾(التوبة: ٧١).

أما في الغرب فإنهم كانوا يختلفون إلى وقت قريب في كون المرأة إنسانا، أو شيطانا، أو حيوانا؟! وهل لها روح مثل الرجل أم لا؟! ثم انتهوا بعد مناقشات ومجادلات إلى أن المرأة إنسان خُلق لخدمة الرجل، وليحصل منها التناسل فقط!

ولذلك ينبغي ألا نندهش كثيرا حين نرى المرأة في الغرب قد تحولت -أو بالأدق: حُولتْ- إلى سلعة تُباع وتُشترى، شأنها شأن أي سلعة مادية لا روح فيها، فامتُهن جسدها، واستُخِفّ بعقلها، واستُغلّت أسوأ استغلال تحت ستار خادع من الشعارات البّراقة الزائفة!

تكريم معنوي ومادي

إن مطالعة شهادات الغربيين الذين أسلموا، أبلغ في الدلالة على رؤية الإسلام للمرأة، ولدورها الحضاري في نهضة الأمة، لأن شهادات هؤلاء الغربيين تجارب لها مصداقيتها ووزنها، باعتبار أنها وُلدت من «رَحِم المعاناة»، وتشكّلت من خلال معايشة الواقع الأليم ومصارعته، بجانب القراءات المستفيضة عن الإسلام وأيضا في الإسلام.. وهي بذلك شهادات جديرة بالاهتمام والرّصد والتحليل.

من هذه الشهادات شهادة السيدة الإنجليزية «أليسون محمود»، التي تتحدث عن تجربتها ورحلتها مع الإسلام فتقول: «كان أعظم ما عرفتُ، وضع المرأة في الإسلام، والمكانة الرفيعة التي تتمتع بها، وهي المكانة التي لم تَرْقَ إليها المرأة الغربية بعد، بلا أية مبالغة، يكفي أن نعلم أن للمرأة في الإسلام شخصية لها تقديرها، لقد سميت سورة باسمها وهي سورة «النساء»، وفيها ما يخص المرأة في الزواج، والإرث، والطلاق، وكيف يرعى الإسلام حقوق المرأة، التي هي شريكة للرجل في رحلة كفاحه»(٢).

وبالإضافة إلى التكريم «المعنوي» الذي قرره الإسلام للمرأة، وأعاد به إليها شخصيتها المُلغاة، فإنه كرّمها أيضا «ماديا»، فاعترف لها بذمتها المالية المستقلة، وأكدّ حقها في التملك، وممارسة البيع والشراء وسائر العقود المالية، بالرغم من أنه أوجب نفقتها في جميع حالاتها -سواء أكانت أما أم أختا أم زوجة أم بنتا- على الرجل -أبا كان أم أخا أم زوجا أم ابنا- وبالرغم أيضا من أنه جعل عمارة الأرض، بما تتطلبه من كدح وتعب ونصب، منوطة بالرجل وحده.. فكانت خِلْقَةُ الرجل -من قوة البدن، والقدرة على تحمّل المشاق، وغلبة العقل على العاطفة- مناسبة ومتماشية مع المهمة التي كُلّف بها، وأُنيطَتْ به دون المرأة.

ولذلك خاطب الله أبا البشرية آدم حين أخرجه مع أمّنا حواء من الجنة، مُعْلِما إياه أنه وحده الذي تقع عليه مسؤولية التعب والشقاء، فقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ١١٦ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾(طه: ١١٦- ١١٧).

ويؤكد المفكر الفرنسي «رجاء جارودي» تميزَ الإسلام في إعطاء المرأة حقوقها المالية، مقارنة بالغرب، فيقول: «إن القرآن منح المرأة حق امتلاك الأموال دون قيد أو شرط، بينما لم تنل هذا الحق في أغلب تشريعات الغرب إلا في القرنين التاسع عشر والعشرين»(٣).

ولما سُئل الكولونيل «دونالدز روكويل» عما أعجبه في الإسلام ذكر أسبابا عدة، منها: «الإقرار الرائد بتقرير حق الملكية للمرأة»(٤).

ثمة شهادة أخرى مهمة في هذا الصدد، لأنها تُبدد بكلماتها الموجزة أوهاما، لطالما ألصقت زورا وبهتانا بالإسلام والمسلمين، وثار حولها منذ زمن بعيد لغطٌ كثير لم ينته بعد، بل نراه يتجدد من حين لآخر، بمناسبة وبدون مناسبة! مثل: حق القوامة للرجل، وفريضة الحجاب على المرأة، ونصيب المرأة من التعليم، والمشاركة بفاعلية في الحياة بصفة عامة!

تقول الفتاة الفلبينية «أوليفا أبرازادور»: «لقد عرفتُ منهن (أي من

اختلاطها بالمسلمات) أن الإسلام قد كرّم المرأة، وأعطاها من الحقوق ما لم تحصل عليه المرأة في المجتمعات التي تدين بديانات أخرى، وأدركت تماما أن «القوامة» لا تعني انتقاص المرأة، بل هي تقدير لظروف أنوثتها وضعفها، لأنها تفرض على الرجل أعباء قد تعجز المرأة عن تحملها بحكم تكوينها الغريزي الأنثوي. كما أدركت أن «الحجاب» هو صون وعفاف للمرأة، وارتقاء بها وبروحها من أن تكون مجرد جسد تنهشه الذئاب البشرية.. وإنني أتذكر أن الطبيبة التي عالجتني حين مرضت، كانت امرأة مسلمة ومحجبة، ولم يمنعها الحجاب من دراسة الطب والتفوق فيه»(٥).

نقد الحضارة الغربية

ومما هو جدير بالتقدير فيما يتصل بشهادات الغربيين الذين أسلموا، أنها شهادات لم تقف عند بيان عظمة الإسلام والإشادة به، بل تعدّت ذلك إلى نقد الحضارة الغربية المعاصرة، وبيان زيفها وتهافتها، خاصة فيما يتصل بالمرأة والأسرة، تقول السيدة «حرفية بال حليم»: «ما حدث في الغرب هو أن تيار الأنوثة (تقصد: حركة تحرير المرأة) قد سلب المرأة حقوقها كامرأة، فقد أجبرها على الذهاب إلى العمل، وقلّ عدد الزيجات تدريجيا، وهذا أمر يقوم الإسلام بتوفير الحماية منه. وأشعر الآن بأنني أكثر حرية، فقد أصابني الاضطراب بشأن القيم التي يتمسك بها مجتمعنا، فهو يتوقع أن تكون المرأة رجلا وامرأة! وأن تكون مُغْرية وفاضلة! وأن تكون جميلة وذكية وأيّ شيء آخر!»(٦).

كما تؤكد السيدة البريطانية «ميشيل» -التي أسلمت وتسمت بـ«جميلة»- هذا المعنى، وتنصح المرأة المسلمة قائلة: «يجب أن تعرف المرأة المسلمة أن حرية المرأة في أوروبا ليست حرية حقيقية، فليس لها حقوق متساوية في الأجر والعمل مثل الرجل.. كما أن الرجل هنا لا ينظر إلى المرأة نظرة تقدير واحترام.. هو فقط ينظر إلى جمالها وفتنتها، ولا يفكر فيها إلا كشريكة في الفراش!»(٧).

فأين الذين ينادون في عالمنا العربي والإسلامي بحرية المرأة -وهم لا يريدون إلا حرية منفلتة من أية ضوابط- ويتخذون من الغرب قدوة لهم.. أين هم من هذه الحقائق، التي تُطْلعنا بصدق وعمق على الواقع المرير الذي تحياه المرأة في الغرب؟!

الإسلام غيرُ المسلمين

على أنه يجب في هذا الصدد تأكيد أن واقع المرأة المتدهور في عالمنا العربي والإسلامي، هو أمر لا علاقة له بالإسلام وتعاليمه وحقائقه، لأنه -كما رأينا توا- ليس ثمة دين أنصف المرأة مثل الإسلام، وإنما يرجع هذا الواقع البئيس إلى الفهم المغلوط للإسلام، وإلى التطبيق الخاطئ لما شرع الله من أحكام وتوجيهات.. ولذلك يجب التفريق بين الإسلام كدين سماوي متكامل في أهدافه وتشريعاته، ومُنَزّه عن الخطأ والتحيز لجنس أو نوع، وبين واقع المسلمين كسلوك بشري قد يقترب أو يبعد قليلا أو كثيرا عن المبادئ والقيم التي يدعو إليها.

ثم إن تقدم وضع المرأة أو تراجعه إنما يرتبط ارتباطا وثيقا برقي المجتمع كله أو بتخلفه، إذ من غير المعقول أن تنال فئة واحدة حقوقها دون تقدم المجتمع بفئاته المتعددة، لأن المجتمع في المحصلة هو نسيج واحد تنتظم فيه جميع الفئات، وتسير في خطوط متوازية، يأخذ بعضها بأيدي بعض.

ويشير إلى هذه الحقيقة المستشرق المنصف «هستون سميث» بقوله: «أما حقوق المرأة المدنيّة في العلم والانتخاب والعمل، فالقرآن يفتح لها أبواب المساواة، التي تنالها كلما تقدمت الأمم الإسلامية في عاداتها ومعاملاتها، فإذا كانت المرأة المسلمة لم تنل تلك الحقوق بعد قرن أو بضعة قرون كما نالتها المرأة الأوروبية، فهذه أيضا -أي المرأة الأوروبية- لم تنل حقا منها قبل عصر الصناعة الحديثة، وإنما نالت هذه الحقوق من الديمقراطية لا من الدين فلم يَجُزْ -كما يقول المسلم- أن يكون الإسلام مسؤولا عن هذه الحال»(٨).

** ** **

أدري أن قضايا المرأة وإشكالياتها في عالمنا العربي والإسلامي، تدور في حلقة مُفْرغة، بفعل الدسائس والمكائد التي يجتمع عليها أعداءُ الداخل من العلمانيين والمغرضين، وأعداءُ الخارج من المتربصين، خاصة المنظمات الدولية ذات الدور المشبوه، ولذا ما يكاد ينتهي الجدل حول إحدى هذه القضايا حتى يتجدد وبسرعة حول قضية أخرى! وهكذا دواليك!

ولكني أردت أن أضع أمام المتغرّبين من بني جلدتنا، هذه الشهادات الناصعة للغربيين الذين أسلموا -التي كما ذكرتُ وُلدت من «رَحِم المعاناة»- لعلّ أن يكون في صدقها وواقعيتها وعمقها، ما يرشد الحائر، ويهدي الضّال، ويدل على الصواب.. ويقيم الحجّة على المعاندين.

الهوامش:

١- أخرج أحمد وأبوداود والترمذي عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «إن النساء شقائق الرجال».

٢- الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، محمد كامل عبدالصمد، ج ٣، ص١٠٣، الدار المصرية اللبنانية، ط ١، ١٩٩٥م.

٣- من كتابه «مبشرات الإسلام» نقلا عن مجلة «الأمة» القطرية، عدد (٢٤) ذي الحجة ١٤٠٢هـ، ص٢١.

٤- في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين، المستشار محمد عزت الطهطاوي، ص ٢٠٠، دار التراث ط ١، ١٩٧٩م.

٥- الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، ج ٣، ص١٢١.

٦- صحيفة «الصنداي تليجراف» البريطانية نقلا عن مجلة «الرسالة» المصرية، عدد ٢، ص ٧٦، ذي الحجة ١٤٢٢هـ.

٧- الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، ج ٣، ص٧٠.

٨- نقلا عن «الإسلام دعوة عالمية» للأستاذ عباس محمود العقاد، ص١١٢، ط مكتبة الأسرة ١٩٩٩م.

التجارة بالمرأة في الغرب

التحرير

يتغنى العالم الغربي بحقوق الإنسان، متخيرا حقوق المرأة خاصة ليرفع راية المظلومية التي لحقت بها، متناسيا أنه من حولها إلى سلعة في إعلاناته التجارية، وجعلها طعما مغريا يمده إلى أفواه المستهلكين؛ ليتجهوا إلى بضاعته..

يتناسى العالم الغربي أنه رمى بها إلى أتون العمل الشاق، بما لا يناسب طبيعة تكوينها الجسماني أو النفسي، والمدهش أن المرأة الغربية التي ابتلعت طعم التحرر والمساواة، هي التي تريد الآن العودة إلى ما نادى به الإسلام، من صيانة للمرأة في بيتها أو في عملها الذي يناسبها.

ويحدثنا مركز دراسات اللاجئين بجامعة أكسفورد في تقريره عن مكافحة تجارة الجنس، المعنون بـ«الاتجار بالنساء والأطفال»، طبعة مكتبة الإسكندرية ٢٠٠٦م، يحدثنا عن أن ما بين ١١٣ إلى ٢٠٠ مليون امرأة في عداد «المفقودات»، حسب تقديرات الأمم المتحدة، وهؤلاء إما من ضحايا عمليات قتل المواليد «حيث يفضل البنون على البنات»، أو لأنهن لم يتلقين نفس مقدار الطعام والاهتمام الطبي المقدم للذكور من الإخوة والآباء والأزواج.

ويذكر المركز أن عدد النساء اللاتي يتم إجبارهن على الدعارة، أو يتم بيعهن في أسواقها يتراوح بين ٧٠٠,٠٠٠ و٤,٠٠٠,٠٠٠ في السنة على مستوى العالم، ومن بين هؤلاء الضحايا يتم بيع من ١٢٠,٠٠٠ إلى ٥٠٠,٠٠٠ للقوادين وبيوت الدعارة في أوروبا، ومن بينهن تم بيع ضحايا يتراوح عددهن ما بين ٢,٠٠٠ و٣,٠٠٠ إلى بيوت الدعارة في سويسرا، وتقدر الأرباح الناتجة عن الاسترقاق لأغراض الجنس بما يتراوح بين سبعة واثني عشر مليونا من الدولارات الأميركية في السنة.

وبشكل عام، نجد النساء بين الخامسة عشرة والرابعة والأربعين يتعرضن للإصابة بالتشوه أو الموت لأسباب تتعلق بالعنف الذكوري أكثر من تعرضهن لنفس الإصابات بسبب السرطان والملاريا وحوادث المرور والحروب مجتمعة.

ويؤكد المركز أنه مازال العنف المنزلي ضد النساء منتشرا في الغرب، ففي سويسرا وحدها سعى ما يقرب من ٣,٠٠٠ امرأة في عام ٢٠٠٢م للجوء إلى بيوت حماية النساء، والمقدر أن شريحة ضئيلة فقط من الضحايا الإناث قمن بهذه الخطوة، وتقدر التكلفة الواقعة على الاقتصاد السويسري نتيجة للعنف المنزلي بما يزيد عن ٤٠٠ مليون فرنك سويسري في السنة حسب أقل التقديرات.

أما في النمسا، فإن ٥٠٪ من قضايا الطلاق ترجع لأسباب تتعلق بالعنف ضد النساء، هذا بينما أقرت ٢٢٪ من النساء الفنلنديات بتعرضهن للعنف من قبل شركائهن!! ومازال الاغتصاب الزوجي أكثر الجرائم شيوعا على المستوى العالمي.

يستخدم الاغتصاب المنظم كسلاح للإرهاب في كثير من الصراعات العالمية..

فكل امرأة يتم قتلها بيد بشر يقابلها عشرات ممن أصبن بجراح جسدية أو نفسية، ناهيك عن التشويه، هناك ما بين ٢ إلى ٣ ملايين حالة من حالات تشويه الأعضاء الجنسية فقط للإناث كل عام.

الخلاصة

إن المرأة قد جار عليها المجتمع قديما، وسلب منها كل شيء حتى إنسانيتها، فلما جاء الإسلام رد لها كل شيء، وارتفع بها حتى جعلها مساوية للرجل في جميع الحقوق والواجبات، إلا نزرا يسيرا رفعه عن كاهلها، لأن طبيعتها تأبى عليها تحمله.. فلها الغنم في كل حال.

والعدالة الإلهية فيصل في ذلك، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

زينب.. زوجة الأمراء

محمد إلهامي
باحث في التاريخ الإسلامي

اختزنت صفحات التاريخ الإسلامي كثيرا من المواقف الماجدة والمتألقة لإسهام النساء في الحضارة الإسلامية، حتى إن للمرأة في تاريخ الإسلام ما ليس مثله لا قبله ولا بعده، دليل ذلك أنه حين «انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى كان تعداد الأمة التي دخلت الدين الجديد وانخرطت في رعية الدولة الوليدة ١٢٤,٠٠٠ من المسلمين والمسلمات.. وعندما رصد علماء التراجم والطبقات أسماء الأعلام والصفوة والنخبة التي تربّت في مدرسة النبوة وتميز عطاؤها في مختلف ميادين العطاء، رصدوا أسماء نحو ثمانية آلاف من صفوة الصفوة، فكان من بينهم أكثر من ألف من النساء. أي إن التحرير الإسلامي للمرأة قد دفع إلى مراكز الريادة والقيادة أكثر من واحدة من بين كل ثمانية من الصفوة والنخبة إبان التحرير الإسلامي في أقل من ربع قرن من الزمان، وهي أعلى نسبة للريادات النسائية في أي ثورة من ثورات التحرير، أو نهضة من النهضات»(١).

ومنذ نشأت دولة الإسلام في المدينة اكتسبت المرأة منزلة جديدة، فبعدما تفاجأ عمر رضي الله عنه من أن زوجته تراجعه في الكلام، اندهش حين أخبرته بأن نساء النبي يراجِعْنَه أيضا، وقد تغاضبه الواحدة منهن اليوم كله، فكان مما قال: «كنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار» (٢).

ثم لم يُقبض رسول الله ﷺ إلا وكانت المرأة تشير في السياسة، وتقاتل في الحرب وتعَلم الدين، ومنذ أخذ النبي ﷺ بقول أم سلمة يوم الحديبية لم يعد مستغربا أن نرى للمرأة مكانا في تاريخ الملوك والخلفاء، بل لم يعد يُستَنْكَر أن يقال على الرجل العظيم «غلبت عليه امرأته»، ولم تكن هذه سبة في حقه إلا أن يكون من المخذولين أمام العدو، أو ممن يرهق الرعية، أو ممن يقدم رضاها على مصلحة الأمة.

لذلك اشتهرت كثير من نساء الخلفاء، مثل الخيزران جارية المهدي، وزبيدة زوجة الرشيد، وصبح البشكنسية جارية الحكم المستنصر الأموي، وتركان خاتون زوجة ملكشاه السلجوقي، وعصمت الدين خاتون زوجة نور الدين زنكي ثم صلاح الدين الأيوبي، والزرقاء زوجة عبد المؤمن بن علي الموحدي، وشجرة الدر زوجة نجم الدين أيوب، والرميكية زوجة المعتمد بن عباد.. وهذا الأخير هو الذي كثر الطعن فيه لأجل حبه لزوجته، وما ذلك إلا لما جناه في ملكه على الأمة من ضعف وذلة أمام العدو، واستبداد واستكبار على الرعية وعلى المسلمين، فكان الطعن فيه طعنا في ضعفه، وسوء تدبيره على الحقيقة.. لا طعنًا في حبه.

وقد اخترنا من بين تلك الطبقة من النساء امرأة غير مشتهرة، لا سيما بين المشارقة، تلك هي زينب النفزاوية.. زوجة الأمراء والملوك، وزوجة الرجلين العظيمين: أبي بكر بن عمر اللمتوني ويوسف بن تاشفين، والتي لُقِّبت بـ «الساحرة»؛ لشدة ذكائها وحسن رأيها وتدبيرها ومشورتها.

في القرن الخامس الهجري كانت مناطق جنوب المغرب الأقصى تعيش جهالة كبرى، كأنما لم يصلها الإسلام قط، حتى ظهر فيهم متنبئون وضعوا لهم أديانا وتعاليم غريبة، وتوزعوا طوائف متفرقة متناحرة، وكان الرجل يتزوج النساء بلا عدد، وكانوا لا ينكرون زنا المحارم ولا ينكرون الزنا بالمتزوجة، حتى خرج رجل منهم إلى الحجّ فمرّ في طريقه بفقيه مغربي فأدرك ما عليه قومه من الجهالة، فعاد إلى قومه بطالب علم شاب اسمه عبد الله بن ياسين.

لكن عبد الله بن ياسين لم يفلح في دعوة القوم، الذين تحزبوا ضده حتى آذوه وطردوه ورفضوا ما جاء به، فسار جنوبا حتى نزل جزيرة يرجح أنها بالقرب من تنبكتو (في مالي) مع نفر قليل ممن استجاب له، وما زالوا يكثرون ويقومون بالدعوة حتى كانوا نواة الدولة المغربية العظيمة.. دولة المرابطين.

نمت دولة المرابطين، وبدأت رحلة توحيد بلاد المغرب تحت سلطانها، فكان من ضمن البلاد التي حاربتهم «تادلا» التي كان يحكمها لقوط بن يوسف المغراوي، فقُتِل في معاركه مع المرابطين، وكانت زينب النفزاوية هي زوجته.. وقد صارت الآن أرملته!

قبل زواجها بلقوط كانت زينب متزوجة من شيخ قبيلة «وريكة» لكن قومها هُزموا في المعارك القبلية أمام جيش لقوط، وبعد مقتل لقوط تزوجها أمير المرابطين: أبو بكر بن عمر اللمتوني، غير أن زواجها لم يدم إلا ثلاثة أشهر فقط؛ إذ جاءت الأخبار إلى أبي بكر بأن اضطرابات تجتاح الدولة في الجنوب حيث الصحراء- وأصل الدولة- فاضطر أبو بكر أن يخرج إلى هناك بنفسه، دون أن يستكمل توحيد المغرب، وقال لزوجته: «يا زينب، إني ذاهب إلى الصحراء وأنت امرأة جميلة بضة لا طاقة لك على حرارتها وإني مطلقك، فإذا انقضت عدتك فانكحي ابن عمي يوسف ابن تاشفين فهو خليفتي على بلاد المغرب»، وهو ما كان.

ولما تولى يوسف بن تاشفين بلاد المغرب أظهر من السياسة والقوة والحكمة ما جعله المؤسس الثاني والشخصية الأهم في دولة المرابطين، فاتسع ملكه واشتدت دولته، وتوحدت المغرب تحت سلطانه، بل ولجأت إليه الأندلس- التي كانت تئن تحت حكم ملوك الطوائف- بعدما سقطت طليطلة (أحصن مدن الأندلس) وتهددت إشبيلية (أكبر وأقوى مملكة أندلسية آنذاك)، فخرج بجيشه وخاض المعركة الخالدة «الزلاقة» التي أنقذ بها الإسلام في الأندلس لمائة عام على الأقل، ثم حين عاد ملوك الطوائف للتقاتل والتحالف مع الصليبيين ضد بعضهم، خاض معركته معهم، فتوحدت تحت سلطانه المغرب والأندلس معا، واستعاد المسلمون بذلك عزة غابت عنهم لنحو قرن من الزمان.

كانت زينب النفزاوية حاضرة طوال هذه المسيرة المجيدة، ويشهد المؤرخون بأنها «حازمة لبيبة ذات عقل رصين، ورأي متين ومعرفة بإدارة الأمور»، بل ينسبون مجد يوسف بن تاشفين وتوحيده بلاد المغرب إليها، فيقول ابن الأثير: «كانت من أحسن النساء، ولها الحكم في بلاده»، حتى كان العاقل ليتمنى الزواج بها، ويقول ابن خلدون: «كان لها رياسة أمره وسلطانه»، ويقول السلاوي: «كانت عنوان سعده، والقائمة بملكه، والمدبرة لأمره، والفاتحة عليه -بحسن سياستها- لأكثر بلاد المغرب»(٣)، وقد بالغ بعض أهل الأدب والتظرف فذكروا عنها ما لا يُصَدّق(٤).

وقد لا يعجب المرء من الخبرة السياسية لزينب، وهي التي تنقلت بين أربعة أزواج بفعل أعاصير السياسة والحروب.. ولذلك فقد استطاعت إنقاذ الدولة في لحظة عصيبة بمشورتها، كان ذلك حين رجع عمر بن أبي بكر إلى المغرب بعد أن استقر له أمر الصحراء، وكان ابن تاشفين قد أثمر إنجازات كبرى ما كان لابن عمه أن يفعلها، وكان من البديهي أن عودة أبي بكر تعني عودته أميرا وحاكما للدولة، وهو ما يهدد بزوال الثمرة التي أوشكت على الاكتمال، وكاد يوسف ابن تاشفين يجد حرجا، إذ إن تمسكه ببقائه حاكما يوحي بانقلابه وغدره ونكثه لعهده مع ابن عمه، مع احتمال نشوب حرب- أو انقسام شديد على الأقل- إن تمسك أبو بكر بحقه كأمير للدولة، بينما تنازله لابن عمه يهدد اكتمال إنجاز يوشك على التمام.

لكن زينب التي لم تعش مع أبي بكر سوى ثلاثة أشهر أشارت عليه بأن يتمسك ببقائه أميرا، ورغم أنها لم تعش مع أبي بكر إلا ثلاثة أشهر إلا أنها عرفت من طباعه الورع وحب الوحدة وخشية سفك الدماء، وأشارت عليه بأن يستقبل أبا بكر خارج المغرب لتجنب أية انشقاقات داخلية، وبأن يكلمه من موقع الندّ لا التابع، وأن يكون خروجه في جيش كبير، ومعه الهدايا الكثيرة التي يهديها لابن عمه «ليستعين بها على أمر الصحراء»، وقد كان ما أشارت به، وفهم أبو بكر المراد، وكان يستطيع أن يرجع بهدوء، لكنه- من شدة ورعه- كتب ليوسف بن تاشفين عهد تجديد واستمرار لولايته على المغرب، واستكمل هو طريق الدعوة وإكمال بناء الفرع الثاني من الدولة في الصحراء.

ولقد صحت رؤية زينب، فما أنجزه أبو بكر في الجنوب لا يكاد يُذكر بجانب الإنجاز الضخم ليوسف بن تاشفين في المغرب والأندلس، بل لم تعش دولة أبي بكر كثيرا، بينما ازدهرت دولة المرابطين وأنقذت الأندلس ووحدتها مع المغرب وأنزلت بالصليبيين هزيمة خالدة..

كما صحت رؤيتها في الطريقة التي اتبعتها لتوصيل الرسالة وإنهاء الأمر في هدوء، وبعيدا عن أعين الناس الذين قد يتسبب ظهور أبي بكر في انقسام بينهم يهدد وحدة الدولة، وصحت رؤيتها في فهم طباع أبي بكر وفي التعامل معه ومع رجاله بالرغبة (الهدايا) والرهبة (الجيش الكبير).

روى ابن الأثير أن ثلاثة اجتمعوا فتمنى الأول ألف دينار، وتمنى الثاني عملا يتولاه للمسلمين، وتمنى الثالث زوجة ابن تاشفين، فوصل خبرهم إلى ابن تاشفين فأعطى الأول ألف دينار والثاني بعض الأعمال، وأما الثالث فقال له: يا جاهل، ما حملك على تمني ما لا تصل إليه؟ ثم أرسله محبوسا، فأوصت زينب بأن يُطعم كل يوم من طعام واحد لثلاثة أيام، ثم أحضرته وقالت له: ما أكلت هذه الأيام؟ قال: طعاما واحدا، فقالت: فكل النساء شيء واحد، وأمرت له بمال وكسوة وأطلقته.

وهنا نرى امرأة ذات تواضع، وذات حكمة.

الهوامش

١- د. محمد عمارة: التحرير الإسلامي للمرأة ص٢٠.
٢- البخاري (٢٣٣٦)، ومسلم (١٤٧٩).
٣- ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٩٩/٩، وابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ٦٢/٧، والسلاوي: الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ٢٠/٢، ٢٣.
٤- النويري: نهاية الأرب ٢٦٥/٢٤، ٢٦٦.

المرأة والعمل•

هل للمرأة أن تشارك الرجل في الأعمال العامة؟
هل لها أن تعمل في منصب وزير أو رئيس للوزارة؟
أو تكون عضوا في المجالس النيابية؟
هل لها أن تتقلد الإفتاء أو القضاء؟
هل لها أن تزرع وتصنع وتتاجر؟
هل لها أن تعمل في المناجم والمحاجر، وفي الجيش والشرطة؟

هذه الأسئلة كلها مطروحة في كتاب «نظم العمل في الإسلام» لـ جمال الدين عيار الذي اخترنا كلماته العميقة كي نضمنها في ملف العدد..

يقول المؤلف: من غير شك قضية المرأة في هذا العصر، هي المحور الذي تدور عليه الحركات النسائية المعاصرة.. غير أن هذه الحركات إنما تنظر لهذه القضية في ضوء الغرب وتقاليده، تريد أن تقلده في كل شيء، ولو خالف المنطق والعقل السليم!

أما هذا الكتاب فإنما ينظر لهذه القضية في ضوء ساطع وهّاج، لا يترك من خبايا الأمر شيئًا إلا كشف عنه؛ ليقينا كل شر، ويصد عنا كل مكروه، هذا الضوء الحبيب لم يصنعه بشر يخطئ ويصيب.. إنما صنعه الله رب البشر الذي أحكم كل شيء صنعًا، إنما ينظر هذا الكتاب لقضية المرأة والعمل في ضوء الإسلام الحنيف.

وقد يبدو لبعض من سلطوا هذا الضوء الحبيب على قضية المرأة من قبل أني مخالفهم في شيء قل أو كثر.. وليس من شك في أن القارئ الكريم هو الحكم الفصل، فليقس الحجة بالحجة، والقول بالقول، ثم ليختر لنفسه من الرأي ما شاء.

قضية المرأة والعمل، قضية فرعية ليست من الأصول العامة أو القواعد الكلية.. فعلى ضوء هذه الأصول ينبغي أن نبحث الفرعيات، وفي حدود الكليات ينبغي أن نبحث الجزئيات.

فإذا استطعنا أن نوفق بين هذه الأصول وبين عمل من الأعمال أبحناه للمرأة، فإذا تعارض العمل مع الأصل العام أو تعارض الأصل العام مع العمل حرمناه على المرأة.. وإلا هدمنا الدين من أساسه، لنبني على أنقاضه!

ويقول: الأصول العامة التي نبحث في ضوئها قضية المرأة هي:

أولا: ضعفها.

ثانيا: وظيفتها الطبيعية.

ثالثا: الآداب التي فرضها الله عليها.

أما ضعفها، فإنه يحول بينها وبين العمل المرهق في المناجم والمحاجر مثلا، ولا يحول بينها وبين كثير من أعمال الرجال التي قامت بها المرأة الأوروبية في العصر الحديث دون أن تشكو إرهاقا.. فعندما نحرم اشتغال المرأة بالأعمال الشاقة، ونبيح لها من غير العمل الشاق ما يتفق مع وظيفتها الطبيعية والآداب التي فرض الله عليها، فإنا لا نخطئ!

وأما وظيفتها الطبيعية، فليست أكثر من أن تحمل وتلد وترضع.

أما تربية الولد فإنها من عمل الوالد كذلك، وليس نصيبه منها أقل من نصيب زوجه.. ومع ذلك فلم نسمع يومًا من يقول: إن اشتغال الوالد يعوقه عن تربية ولده.

ويوضح «عيار»:

وأما تدبير شؤون المنزل فإن أمره موكول في هذه الأيام إلى غير الزوجة، وليس على الزوجة من هذا الأمر إلا الإشراف والتنظيم.. وهو عمل لا يعوقها عن العمل الخارجي.. إن الخادمة هي التي تنظف المنزل وتنظمه، والغسل والكي وحياكة الملابس وغير ذلك من شؤون المنزل لا تقوم به الزوجة في غالب الأمر.. وكذلك طهي الطعام يستطيع أن يقوم به الطاهي أو الطاهية في المنزل أو المطعم ويعفي الزوجة من أعبائه.

كيف نفرض على النساء جميعًا هذه المهن البسيطة التي لا تفيد الوطن مثلما تفيده المهن الكبيرة التي تقوم على دراسات علمية منظمة؟ ألا نطمع أن ينبغ من نساء أمتنا امرأة واحدة تدفع بالإنسانية إلى الأمام؟ وكم نجني على البشرية عندما نقصر عمل النساء على الغسل والكي والطهي وتنظيف المنزل، ونقول إنها شؤون المنزل.. إنها وظيفة المرأة الطبيعية! فلنحرم إذن على الرجل أن يقوم بهذه الأعمال.. ولنقل إنها وظيفة المرأة الطبيعية!

فتدبير شؤون المنزل ليس وظيفة طبيعية للمرأة يتحتم القيام بها على النساء كافة، وبإمكانها أن تكلها لغيرها، وتتفرغ لما هو خير لها ولوطنها من العمل الخارجي.

• المقال منشور في كتاب: نظم العمل في الإسلام – جمال الدين عيار

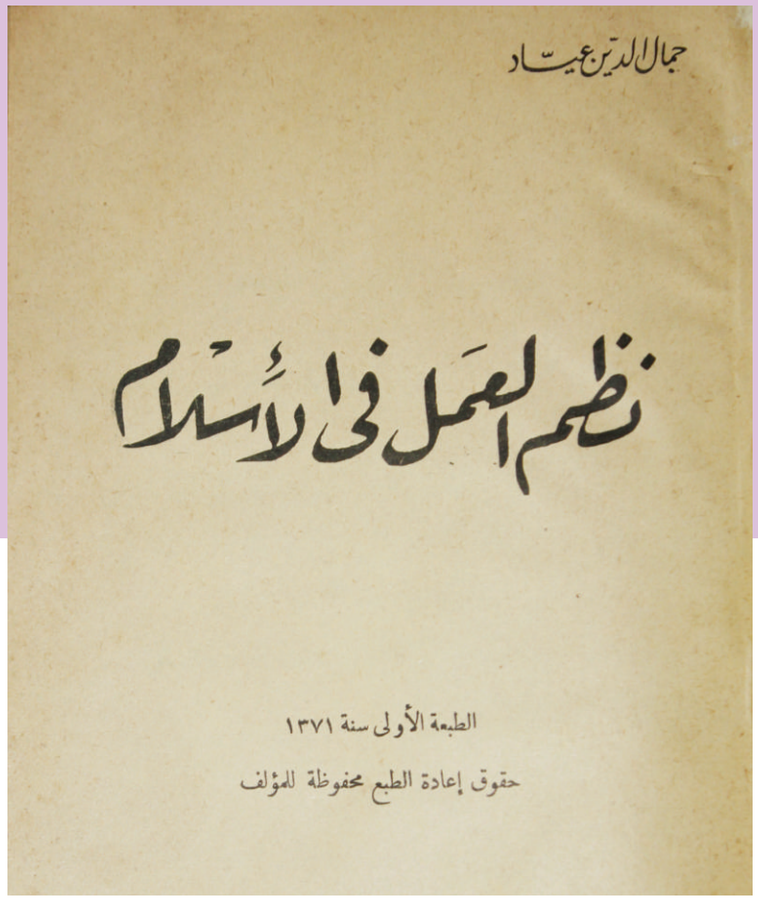

وتربية الولد، وإن كانت من وظيفتها الطبيعية، لا تعوقها عن العمل الخارجي كما قدمنا، وإلا لعاقت الرجل!

ويضيف المؤلف:

كما أن المدارس والمعاهد تستطيع أن تكفي حاجة الولد من التربية والتعليم. يبقى الحمل والوضع والإرضاع.. وهي أمور استطاعت الدول الحديثة أن توفق بينها وبين العمل توفيقا لا يضر بصحة الأم أو صحة الطفل.

وأما الآداب التي فرضها الله تعالى على المرأة، فالقصد منها قطع أسباب الفساد الجنسي، فاختلاط المرأة بالرجل، وإبداء زينتها لمن لا يحل لها، وسفرها من غير محرم، وخلوتها بالأجنبي، وخضوعها بالقول، وكشفها لما أمر الله به أن يستر.. كل ذلك حرام حرام..

ويقول: وكل ما يجلب الحرام فهو حرام أيضًا.. فالإسلام لا يقر المرأة على عمل يدفعها إلى شيء من المحرمات.

هذه هي الأسس الثلاثة التي نبحث في ضوئها قضية المرأة والعمل في الإسلام ولنبدأ بالولاية العامة كالخلافة والوزارة..

إن الخلافة والوزارة في النظام الإسلامي يفرضان على الراعي، خليفة كان أو وزيرا، أن يختلط بالرعية ويزاحمهم، ويجتمع بالسفراء ويخلو بهم، ويجوب البلاد من أقصاها إلى أقصاها.

إن مسؤولية الراعي شاقة مرهقة، أشق مما أعفينا منه المرأة من العمل في المحاجر والمناجم مثلا. لقد كان عمر- مع قوته ونشاطه- يئن من الولاية العامة، ويخشى تبعاتها الجسام.. فكيف نكل للمرأة أشق المهام وأكثر الأعمال إرهاقا؟

بل كيف نبيح للمرأة أن تخالط الرجال من رعيتها وتخلو بالسفراء وتجوب البلاد ذهابا وجيئة؟

وإن قيل فإن السيدة عائشة- رضي الله عنها- كانت تخرج إبان الفتن السياسية، فكيف نمنع نساءنا الخروج إلى المعارك الانتخابية؟ إن قيل ذلك فإنا نرد بما هو آت:

١- لم تكن السيدة عائشة فتاة يافعة يومذاك يطمع فيها الرجال أو يخشى منها الفتنة، وإنما كانت امرأة تخطو نحو الخمسين.

٢- السيدة عائشة ليست كأحد من النساء، إنها زوج الرسول الكريم، وهي أمّ للمؤمنين ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب: ٦)، وما يجوز للأم لا يجوز لغيرها من النساء.

٣- وهي لم تكن تقود معركة سياسية، وإنما كانت تصلح بين الناس. ومن هم الناس؟ إنهم أبناؤها بنص القرآن الكريم، ولقد رأت من واجبها الروحي للمؤمنين أن تقوم بهذا العمل.

٤- ولقد كانت تطوف محجبة في هودجها، فهي لم تختلط بالرجال، إنما اختلط جملها بالرجال، ولعلك معي في أن الإسلام لا يحرم اختلاط الرجال بالجمال!

٥- ولقد أثبتت أنها تقصد الإصلاح حقا، إذ لما أنشب حكيم بن جبلة القتال مع جيش عائشة، واضطر هؤلاء أن يقاتلوا دفاعا عن أنفسهم كان مناديها ينادي في الناس أن كفوا عن القتال.

٦- ولئن كانت تفهم أن الخروج في الناس لإصلاح ذات البين واجب على الأنثى وجوبه على الذكر، لقد أدركت من بعد خطأها في هذا الرأي الذي أقدمت عليه، فلقد كانت إذا قرأت قوله تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (الأحزاب: ٣٣) تبكي بكاء مرا، كانت تبكي بسبب سفرها أيام الجهل كما يقول الفقهاء، ولقد روي أن عمارا قال لها: «إن الله قد أمرك أن تقري في منزلك!» فقالت: «مازلت قوّالا بالحق» فقال: «الحمد لله الذي جعلني كذلك على لسانك».

ويلفت المؤلف إلى أن شغل المرأة بالقضاء ليس كاشتغالها بالولاية العامة أو سعيها لعضوية المجالس النيابية، إنها لن تزاحم الناس أو تخالطهم أو تخلو بهم أو تلين لهم القول أو تجوب البلاد.. فإن عملها لا يزيد عن سماع القضايا والنطق بالحكم وهي تستطيع أن تفعل ذلك وهي بعيدة عن المتقاضين، لا تخالطهم أو تزاحمهم، وإن كانت تَسمعهم وتُسمعهم، كما كانت المرأة تَسمع رسول الله وخلفاءه في المسجد، وتُسمعهم ما يعنّ لها من قول، وهي جالسة في مؤخرة المسجد لا تخالط

الرجال ولا يخالطونها.

والإسلام يبيح للمرأة الإفتاء، لأن طبيعة علم المفتي لا تعارض الأصول الثلاثة التي نبحث في ضوئها قضايا المرأة، فهي ليست شاقة حتى يمنعها الضعف، وهي لا تحول بين المرأة وبين وظيفتها الطبيعية، كما لا يحول أي عمل آخر بينها وبين هذه الوظيفة مما قدمنا القول عنه، فإن الحكومة تستطيع أن توفق بين وظيفة الإفتاء ووظيفة الحمل والوضع والإرضاع.

أما اشتغال المرأة بحماية الأمن ومطاردة اللصوص فإنه لا يتفق وضعفها، ولا يلائم الآداب التي فرض الله عليها، بما يدفعها إليه من مزاحمة الرجال والاختلاط بهم.

ويضيف المؤلف:

وأما اشتغالها بتعليم النساء فليس مباحًا فحسب، وإنما هو ضرورة لا غنى عنها لمجتمع إسلامي.

١- فأزواج الرسول ﷺ كن معلمات لبنات جنسهن.

٢- والشفاء بنت عبدالله المهاجرة القرشية عملت مدرسة، وعلمت حفصة بنت عمر أم المؤمنين الكتابة والقراءة.

٣- وهناك من أبواب العلم ما يفضّل الدين أن تتصدى المرأة لتعليمه، حفاظا على حياء الرجل إذا علّمها.. وعلى حياء المرأة إذا تعلمت منه، كدراسة أعضاء المرأة، وأمراضها، وغير ذلك مما يؤهل لطب النساء.. فالرسول ﷺ استحى أن يعلم امرأة كيف تتطهر من الحيض! استحى أن يقول لها تتبعي أثر الدم! ووكل ذلك إلى زوجه عائشة.. أفلا يمنع الحياء أستاذ الطب أن يعلم تلميذاته طبيعة جسم الأنثى؟ أفلا يحق للمرأة أن تعلم بنات جنسها مثل هذه العلوم كما كانت تعلم عائشة بنات جنسها أحكام الطهارة!

٤- ثم كيف نأمن الرجال على البنات يعلمونهن، وقد يضطرهم العلم إلى الخلوة بالأستاذ في حجرته يسألنه ما أشكل عليهن.. ومازالت تطن في آذاننا أخبار الفضائح الجنسية التي جاءت ثمرة اختلاط الأستاذ بتلميذاته وخلوته بهن. أليس خيرا للنساء أن يأخذن العلم على بنات جنسهن، واشتغال المرأة بطب النساء كاشتغالها بالتعليم تماما.. ليس مباحا لها فحسب وإنما هو ضرورة لا غنى عنها لمجتمع إسلامي.

١- فنساء الصحابة كن يداوين الجرحى ويضمدن الجراح.

٢- والرسول ﷺ الذي يكل لامرأته تعليم النساء يكل للمرأة من غير شك طب النساء.. فليس يحل للرجل أن ينظر إلى عورة امرأة يداويها مادامت هناك طبيبات.. إنما أبحنا للرجال طب النساء لما نجد من فقر إلى الطبيبات. فاشتغال الرجل بطب النساء محظور وإباحته ضرورة، كمثل لحم الخنزير يباح أكله عند خشية الهلاك من الجوع. فإذا كان ثمة لحم حلال في مكان ما، فهل يقعد الإنسان في مكانه ويأكل اللحم الحرام، أم يسعى إلى اللحم الحلال ويقطع السبيل إليه، كذلك طب النساء، يحرم اشتغال الرجال به، وتحله ضرورة الحاجة إليهم.. فإذا كان في الإمكان إعداد الطبيبات، وليس هذا بعسير، فهل نقعد عن هذه الغاية ونكل طب النساء إلى الرجال.

وثم عمل أبيحه للمرأة بل أراه ضرورة للمجتمع الإسلامي السليم وأرجو الله ألا ينتفض القارئ الكريم حين يسمع هذا العمل، فمن حقي عليه ألا ينتفض حين يقرأ حجتي فيما أقول: إن من الأعمال التي أراها ضرورة للمرأة في المجتمع الإسلامي عمل «كمساري» الترام!!

ويقول المؤلف:

وأكاد أشعر أن القارئ الكريم قد انتفض من مجلسه رغم ما أخذت عليه من عهد، ولكني واثق أنه لن يسمع حجتي فيما أقول حتى يعود إلى مجلسه هادئا، كأن شيئا لم يكن!

إن مجتمعا إسلاميا يقوم، إنما يقوم على أساس التفرقة بين الجنسين في كل شيء.. فإذا جعلنا للنساء قطارًا مستقلا أو سيارات خاصة لا يخالطهن فيها الرجال.. فكيف نأذن لرجل أن يزاحمهن ليجمع منهن النقود، أليس أحرى بالمرأة أن تقوم بهذا العمل في مجتمع إسلامي صحيح؟ إن قضية المرأة والعمل واضحة أيها القارئ الكريم..

وفي الختام يوضح المؤلف:

إنها قضية فرعية، كما قلت في أول الحديث، ليست من الأصول العامة أو القواعد الكلية.. فإذا استطعنا أن نوفق بين الأصول العامة التي وضعها الدين للمرأة وبين عمل من الأعمال أبحناه للمرأة.

وإذا تعارض العمل مع الأصول العامة حرمناه على المرأة.. وإلا هدمنا الدين من أساسه، لنبني على أنقاضه!

وإن ثمة من يعترض على اشتغال المرأة بصفة عامة.. ونحن ذاكرون هنا أهم ما يوجه من قول، وخير ما نراه من رد.

أولا: أثر اشتغال المرأة في عطل الرجال، فمن الناس من يقول إن اشتغالها مدعاة لهذا العطل.. والواقع غير ذلك.. فلقد قدمنا القول في أسباب البطالة وعلاجها، ووجدنا الإعراض عن فتح آفاق العمل أمام الجميع أهم أسبابها.

ثانيا: أثر اشتغال المرأة في تدهور الأخلاق، فقد اعترف كُتاب أوروبا أنفسهم، ودل الإحصاء الدقيق على أن المرأة كلما عملت ازدادت الأخلاق سوءا، وعمت الإباحية المجتمع، وتهدمت الأسر بكثرة الطلاق. ولكن هذا القول- مع صحته- مردود.. لأن الذي دفع إلى هذا الفساد ليس اشتغال المرأة، وإنما هو سفورها أثناء العمل، واختلاطها بالرجال، وخلوتها معهم، وكشفها عن مفاتنها وما يثير في الرجال غرائز الجنس، ويوقعهم في أحابيل الشيطان.. ولقد قدمنا القول في حرمة كل عمل يضطر المرأة إلى السفور والخلوة والاختلاط.. فقطعنا بذلك أسباب الفساد.

الاغتصاب جريمة أعجمية المنشأ

عبدالعزيز بن صالح العسكر
كاتب سعودي

بداية ليس في ديننا الإسلامي لفظ أو مصطلح «الاغتصاب» بمعناه واستعماله الموجود في قوانين الدول اليوم؛ وإنما الموجود هو لفظ «الزنى» فقط. وقد ورد في القرآن الكريم خمس عشرة مرة بألفاظ: يزنون ويزنين والزنى والزاني والزانية، وكل الألفاظ الخمسة عشر في سورة النور ماعدا ثلاثة؛ يزنون في سورة الفرقان، ويزنين في سورة الممتحنة والزنى في سورة الإسراء.

إن اللقاء الجنسي الممنوع بين رجل وامرأة لا يعرف له الإسلام إلا اسمًا واحدًا وهو «الزنى»، وهو محرم لأنه يخالف الشرع والعقل والذوق والشرف، ورتب عليه الإسلام حدودًا وعقوبات شرعية أثبتتها كتب الفقه، وطبقها ولاة أمور المسلمين على مر العصور، وبناء على ذلك فجماع الرجل لامرأة إما أن يكون حلالاً يعد عملًا صالحًا يثاب عليه الرجل والمرأة، وهو ما كان بزواج شرعي، أو حرامًا بأي اسم كان؛ وهو حرام وفاحشة سواء سمي: اغتصابًا أو متعة أو صداقة أو غيرها. وسواء تم باتفاق الطرفين أو بعدمه، وهو زنى وافقت عليه المرأة أو «غصبت» فهو جريمة وقذارة وخروج على الشرع، سواء حصل باتفاق أو بغيره.

ولم تعرف البلاد الإسلامية مصطلحًا آخر غير الزنى بالمرأة واللواط بالرجل. حتى جاء العصر الحديث، وأخذت قوانين بعض البلاد العربية من القوانين الشرقية والغربية، وجاءت معها تسميات الجرائم التي تعاقب عليها الدول، فوجدنا جريمة «الاغتصاب»، فلماذا وضع الشرقيون والغربيون لفظ «الاغتصاب» بدل لفظ «الزنى»؟! وما أثر تطبيقه في بلاد المسلمين؟

هذا ما أحاول الإجابة عليه بعون الله تعالى وتوفيقه.

لقد جاء لفظ «الاغتصاب» مأخوذًا من القوانين البشرية عند غير المسلمين ليحل محل الزنا عند المسلمين، فالعلاقة بين الرجل والمرأة تجيزها قوانين تلك الدول؛ كما تجيز كل ما يترتب على تلك العلاقة من حب وصداقة ولقاء وسفر وما يصل إلى الإنجاب، وكل ذلك سائغ مقبول ولا يحق لأحد أن يعترض عليه؛ فليس من حق الأب أن يعترض على علاقة ابنته بأي شخص تريد بأي شكل من أشكال العلاقة وزمانها ومكانها، كما لا يحق للزوج أن يعترض على علاقة زوجته بأصدقائها، كما أنه من حقه ألا تعترض عليه أن يصادق من يريد من النساء، غير أن قوانينهم تسمح بالصداقة فقط، ولا تسمح بالمعاشرة الجنسية للمتزوج.

كما لا تمنع العلاقة بين الرجل والمرأة، إلا ما كان أسلوبه الإكراه والإلزام والخطف فهو الممنوع فقط؛ ولذلك جاء منع الاغتصاب في أي زمان أو مكان حصل. والمنع هنا تنظيمي أمني فقط، هدفه البعد عن الخلافات والشقاق وإشغال المؤسسات الأمنية.

وكما أنه ليس بعد الكفر ذنب، فلا يمكن أن يسأل واضعو تلك القوانين عن سبب إباحة العلاقات بين الرجل والمرأة وتحريم تعدد الزوجات.

ولكن المؤسف والمحزن أن نجد بعض البلاد الإسلامية تطبق تلك القوانين الشرقية والغربية التي تخالف الإسلام؛ وتجعل لفظ «الاغتصاب» مكان لفظ «الزنا» فتحرم وتمنع الثاني وتبيح وتشجع على الأول، وتختفي عقوبات الزنا في الشريعة الإسلامية من واقع كثير من قوانين الدول الإسلامية، مما نتج عنه: تمرد النساء على الرجال وكثرة حالات الطلاق والخلع، بل والقتل، لأن بعض الرجال لا ترضى شيمته وخلقه أن يرى إحدى محارمه مع رجل آخر، مهما كان المكان والزمان والغرض، ولا تسل عما يحصل من ذلك الرجل الغيور من ضرب وقتل وهجر وغيرها، ونحن هنا لا ننكر أن الأمر يختلف شرعًا بين أن تكون المرأة راضية بفعل الحرام أو مكرهة بالقوة، ويقدر القاضي هذا الأمر بالاعتراف والشهود وقرائن الحال، وبناء عليه يكون مقدار العقوبة وتغليظها.

ولكن المقصود هنا أن الزنا جريمة وفاحشة ومنكر يعاقب عليه، حتى وإن حصل بتراضي الطرفين؛ فالتراضي لا يسقط العقوبة ولا يخففها، والتراضي في الواقع يأتي باحتيال وتعاون على الفحشاء والمنكر، وهذا ما يقتضي تغليظ العقوبة، لأن الفاحشة تصبح أمرًا مستساغًا تضيع بسببه الأعراض، وتنتهك الحرمات.

حمى الله بلادنا وأهلها وبلاد المسلمين من كل سوء وفاحشة ومصيبة إنه هو السميع العليم.

«الوعى الإسلامي» ترصد

«كواليس مطاردة شبح الطلاق والعنوسة»

تحقيق : بسمة رمضان
القاهرة

drawing from: Javad Alizadeh

هذه ليست قصصا من صنع الخيال، وإنما واقع نعيش فيه، خلف جدران منازلنا.. هذا التحقيق جميعنا مشاركون فيه.. بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ولا أحد يخلو منزله من هذه المشاكل التي تشغلنا جميعا في كل صور حياتنا، ولا أحد ينكر أن ما نحن فيه الآن إنما هو بسبب ابتعادنا عن الله سبحانه وتعالى وانشغالنا بالحياة الدنيا..

وإن نظرة عابرة على الكتب والجرائد والمجلات والبرامج التلفزيونية والخبراء ودكاترة الطب النفسي ومواقع الإنترنت وجميع من يشرح أو يفسر الحياة الزوجية وكيفية تحقيق السعادة ستجعلك تشعر أن الشعوب العربية تعيش في حلم وردي.

لكن حينما نرى أخبار الحوادث والقضايا وحالات الطلاق الكثيرة التي تجاوزت جميع الحدود، والخيانة الزوجية وقضايا دعاوى النسب

الشباب: «الأهالي يكونون أحيانا السبب في الانفصال عن شريكة الحياة»

والخلافات الموجودة داخل كل منزل، والتي أصبح أغلبيتها ينتهي بقتل الزوج على يد صديقه، نعلم أن هناك شيئا غريبا يحدث داخل كل أسرة.

كل ذلك ووسائل الإعلام تبث على المستوى الدولي والإقليمي والمحلي العديد من القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، مهملة تماما ظاهرة الطلاق، التي لا تقل أهمية عن تلك القضايا، وهي الظاهرة التي باتت تهدد كيان المجتمعات الإنسانية بسبب معدلاتها المرتفعة.

لذلك قررت أن أقوم بجولة ميدانية أتحدث فيها مع بعض الأزواج والزوجات داخل هذا المجتمع لأتحاور معه حول رأيه في الأسباب المؤدية للطلاق والارتفاع المهول لنسبة العنوسة، ليس في مصر فقط، بل في الوطن العربي بأكمله.

بالإضافة إلى عزوف العديد من الشباب والفتيات عن الزواج لأسباب مجهولة، لا يعلمها سوى من يدخل إلى عالمهم المجهول الذي لا آخر له.

لذلك قررت أن أجعل مسبار «الوعي الإسلامي» يخترق عالم هؤلاء الشباب ليتعرف على مشاكلهم، وكيف ينظرون إلى مستقبلهم القادم.

في البداية نتحدث عن أبغض الحلال عند الله «الطلاق»

يقع حين تصبح الحياة مستحيلة بين الزوجين بوجود أو عدم وجود أطفال، وتصبح عملية الاستمرار أيضا غير مجدية من جميع النواحي، سواء كانت نفسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو جسدية.

وتحدث النزاعات الأسرية التي تصل إلى حد فقدان الشعور بالأمان، وفقدان الثقة بل وفقدان الاحترام بين الطرفين، والذي هو أهم عنصر من عناصر استمرار الحياة الزوجية.

بالإضافة إلى الشجار المستمر الذي ارتفعت حدته حتى بلغ الذروة، ومشاهد البكاء وصراخ الأطفال والضرب والإهانة.. كل ذلك ينتهي بترك الزوج للمنزل وطلب الزوجة للطلاق الذي تحول إلى عبارة عادية وربما يومية في مجتمعنا، دون أن يلتفت أحد إلى الأسباب المؤدية لذلك.

وبحسب دراسة صادرة عن مركز معلومات دعم واتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء في بداية هذا العام، ارتفعت معدلات الطلاق خلال الخمسين عاما الماضية من ٧٪ إلى ٤٠٪ مما يعني وقوع حوالي ٢٤٠ حالة طلاق، ووصل عدد المطلقات في مصر تقريبا حوالي (٢,٥) مليون مطلقة.

وهي الإحصائية التي جاءت صادمة لتحطم هيكل الحياة الزوجية والأسرية المستقرة التي عرفتها مصر قديما، واختفت اليوم في ظل مجموعة كبيرة من المشكلات الاجتماعية التي انعكست على العلاقات بين الزوجين، خاصة من الشباب في السنة الأولى التي لا تكتمل في معظم الأحوال، وفي النهاية تنتهي بتدخل المأذون حتى يُتم عملية الطلاق.

والجدير بالذكر أيضا أن العالم العربي يشهد حاليا عدة متغيرات حديثة أحدثت تغيرا هائلا في المفاهيم الاجتماعية الشرقية، بما تتميز به من ثبات وأصالة نابعة من شرعنا الإسلامي وتقاليد المجتمع العربي، وبما لها من خصوصية، فبعد أن كانت كلمة الطلاق أبعد ما تكون عن البيوت أصبحت الأسهل والأقرب بين الشباب حديثي الزواج، وكأنه الموضة الجديدة التي يتبعونها في وقتهم الحاضر.

وأشارت الدراسات أيضا إلى أن تنامي معدلات الطلاق بين حديثي الزواج في كثير من الدول العربية، ومنها مصر والسعودية والكويت والأردن واليمن والسودان وغيرها، حيث تصل نسبة المطلقات خلال العام الأول للزواج إلى أكثر من ٧٠ ٪، وترتب على ذلك ظواهر اجتماعية أخرى مثل تأخر سن الزواج والعنوسة وكثرة أعداد المطلقات وأبناء الطلاق.

لذلك قررنا رصد بعض من أسباب ظاهرة الطلاق المبكر في الوطن العربي وآثارها السلبية، وكيفية الحد من انتشارها للحفاظ على تماسك المجتمع.

حالات معينة

يقول الشيخ محمد البسطويسي نقيب الأئمة بالأزهر الشريف: إن الطلاق أبغض الحلال عند الله تعالى، لهذا شرعه الله في حالات بعينها، وحث الزوجين على استمرار الحياة، وتخطي الصعاب والصبر عليها بشتى الطرق، ونصح كلا من الزوج والزوجة بحسن الاختيار وعدم التسرع، مذكرا بحديث المصطفى ﷺ أهل الفتاة بقبول صاحب الدين والخلق: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه» وقال للشباب: «فاظفر بذات الدين تربت يداك» وهذا يدل على مدى أهمية الوازع الديني الذي يبني الحياة الزوجية على أساس سليم.

وأضاف: هذا الزمان كثرت فيه الفتن واختلت معايير الاختيار، فأصبح قائما على أساس الإعجاب الشكلي والإمكانات المادية والمستوى الاجتماعي، في الوقت الذي أهمل فيه الآباء تربية أبنائهم على القيم الأخلاقية السليمة، كالقناعة والتفكير العقلاني السليم والقدرة على تحمل المسؤولية، ومن ثم غاب عنهم المعنى الحقيقي للزواج، وظهرت حالات الطلاق بعد شهور، وربما أيام قليلة من ارتباط الزوجين.

الفتيات: «لا نريد رجلا مستبدا في طبعه بل حبا بصدق»

وأكد البسطويسي على أن سيطرة النمط الغربي من خلال وسائل الإعلام على الممارسات الحياتية للشباب جعل البعض منهم يتجاهل احترام الكيان الأسري عند الاختيار، بالإضافة إلى تفشي الاختلاط والانفتاح بين الشباب والفتيات من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، وأماكن الدراسة والعمل، وزيادة تحررهم من رقابة وسيطرة الأسرة، كل ذلك ساهم في وجود هذه الظاهرة، نظرا لتعدد المؤثرات عليهم.

ولذلك فإن الزيادة الواضحة في حالات الطلاق في وقتنا هذا ترجع لأسباب كثيرة، منها حالات الفقر الشديدة التي تلقي بظلالها على بيوتنا المصرية، وهذا سبب أساسي من أسباب زيادة نسبة الطلاق في مجتمعنا.

لذلك لابد من تدارك هذا الخطر لأنه يحدث خللا في المجتمع المصري، ويتسبب بتدهور وتفكك الأسر المصرية، وكل هذا يعود على الأسرة بالضرر.

ومن وجهة نظري أرى أن المسؤولين يجب أن يضعوا خطة محكمة للحد من زيادة النسبة بهذه الطريقة، عن طريق التوعية المستمرة، وتكوين مجموعات للتدخل وحل المشكلات الصعبة التي تواجه الأسر المصرية، وتبادر بحلها بدلا من تفاقم المشكلة للحد الذي يصل بها للطلاق.

ومن جانبه قال حسام المصري البالغ من العمر ٢٠ عاما: البنت طول حياتها تحلم بالزواج وحينما يتحقق هذا الحلم تهمل زوجها كثيرا، مما قد يدفع الزوج للخيانة، ويتم الطلاق على هذا الأساس.

٣ أسباب

لكن هشام صابر٢٢ عاما أوضح أن أسباب الطلاق تتلخص في الآتي: أولا، عدم التوعية الاجتماعية الجيدة. ثانيا، الجهل عند معظم الناس. ثالثا، خيانة الزوجات التي أصبحت في مجتمعنا هذا موضة.. كل ذلك يساعد على زيادة حالات الطلاق داخل مجتمعنا.

من جانبه قال محمد طارق ٢٨ عاما: إن مصر من أكثر الدول التي تنتشر بها حالات الطلاق بين الأزواج، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب، أبرزها: ضعف العائد المادي والاقتصادي لدى رب الأسرة المصرية، خاصة في ظل تردي الأوضاع الاقتصادية، بالإضافة إلى ارتفاع أسعار معظم المواد الأساسية، لافتا إلى أن المصريين غير قادرين على مواجهة ظروف الحياة اليومية والمعيشية، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى حدوث حالات الانفصال والطلاق.

وأضاف طارق أن هناك معضلة تتعلق بالجانب الجنسي والتعامل الأمثل معه تسبب كثيرا من حالات الطلاق، خاصة أن المصريين ملتزمون إلى حد ما ببعض العادات والتقاليد التي ترى أن مجرد الحديث في هذه الأمور شيء معيب ولا يجوز.

وأشار إلى أنه من ضمن الأسباب عدم التكافؤ بين الزوجين في كثير من الأحيان، ويتمثل ذلك في الاختلاف الفكري والثقافي والاجتماعي.

وفيما يتعلق بمشاكل الشباب أكد طارق أن السبب الرئيسي لمشاكل معظم الشباب هو البطالة، وصعوبة إيجاد فرصة عمل مناسبة تساعدهم على توفير نفقات الحياة اليومية ومتطلباتها، لافتا إلى أن الشباب المصري فاض به الكيل لما يمر به من ظروف اقتصادية غاية في الصعوبة، في ظل وضع اقتصادي سيئ، الأمر الذي يدفع معظم الشباب إلى البحث عن أي عمل، حتى لو لم يناسب مؤهله أو تخصصه للتغلب على مشاكله المالية.

الأزهر الشريف: «هذا الزمان كثرت فيه الفتن واختلت معايير الاختيار»

ويقول محمد محمود البالغ من العمر ٣٠ عاما: إن أسباب الطلاق تتلخص في عدم التوافق بين الزوجين ويشمل ذلك التوافق الفكري وتوافق الشخصية والطباع والانسجام الروحي والعاطفي.

الإصرار على الرأي

وعلى نفس المنوال أكدت صابرين البالغة من العمر ٣٨ عاما على أن مشكلات التفاهم بين الأزواج وصعوبته هي من الأسباب المؤدية للطلاق.

وأضافت، صعوبات التفاهم هذه تكون في بعض الاتجاهات الشخصية، مثل العناد والإصرار على الرأي، وأيضا النزعة التنافسية الشديدة وحب السيطرة والاندفاعية والتسرع في القرارات، وفي ردود الفعل العصبية، مستشهدة بأن الإنسان يغضب وتستثار أعصابه بسرعة، مما يولد شحنات كبيرة من الكراهية التي يعبر عنها بشكل مباشر، من خلال الصياح والسباب والعنف، أو بشكل غير مباشر من خلال السلبية والتكشير والصمت وعدم المشاركة وغير ذلك.

كل ذلك يساهم في صعوبة التفاهم وحل المشكلات اليومية العادية، مما يجعل الطرفين يبتعد كل منهما عن الآخر في سلوكه وعواطفه وأفكاره.

وأكدت صابرين أيضا على أنه في هذه الحالات يمكن للكلمة الطيبة أن تكون دواء فعالا يراجع الإنسان من خلالها نفسه، ويعيد النظر في أساليبه، كما يمكن تعلم أساليب الحوار الناجحة وأساليب ضبط النفس التي تعدل من تكرار المشكلات، وتساعد على حلها بالطرق السلمية بعيدا عن الطلاق.

ويمكن أيضا لتدخل الآخرين وأهل الزوج أو أهل الزوجة وأمه وأمها أن دورا في الطلاق، وهذا ما يجب التنبه إليه وتحديد الفواصل والحدود بين علاقة الزواج وامتداداتها العائلية.

والتأكيد على أن الأهل دور الرعاية والدعم والتشجيع لأزواج أبنائهم

وبناتهم من خلال تقديم العون والمساعدة، وأن يقولوا خيرا أو يصمتوا إذا أرادوا خيرا.

وفي النهاية قالت صابرين: مع الأسف، ما يحدث في الوقت الراهن من قبل الرجل أو المرأة أصبح لا يعقل نهائيا، فمشاكلهم أصبحت لا تنتهي.

الشك الزائد

وعلى نفس المنوال قالت زينب السيد التي انفصلت عن زوجها بعد زواج استمر ثلاثة أشهر فقط: إن السبب الرئيسي وراء تركها لزوجها وانفصالها عنه يرجع إلى شكه الزائد في كل شيء، بالإضافة إلى غيرته التي لم ترها من قبل، ودائما كان يتهمها بخيانته، مع العلم أنه خلال الثلاثة أشهر هذه لم تخرج من البيت إلا وهي معه، لذلك رفعت دعوى قضائية ضده، وطلبت أن تنفصل منه نهائيا.

وأكدت على أنها أصبحت لا تريد أن تدخل في تجربة زواج مرة أخرى بسبب فشل الأولى، وما رأته في تلك التجربة جعلها تكره الزواج نهائيا، مع العلم أنها جامعية.

وأضافت زينب: لو كنت أعلم أن الرجل الذي أحببته سيتغير معي بتلك الطريقة البشعة لابتعدت نهائيا عن الحب والزواج.. أنا فعلا لم أفعل أي شيء له سوى أني كنت أحبه كثيرا، لكن مع الأسف هو الآن جعلني أكره كل شيء في حياتي، لذلك أنصح كل فتاة أن تختار شريك حياتها بشكل صحيح، في كل شيء، حتى لا تقع في غلطتي ويطلق عليها اسم مطلقة، والمجتمع ينظر إليها نظرة وكأنها الجانية، لكن ربنا وحده هو الذي يعلم أن تلك المطلقة مجني عليها وليست الجانية، كما يعتقد البعض.

والتقينا أيضا بمحمد علي الذي انفصل عن زوجته بعد زواج استمر عاما كاملا، وحب استمر ٧ سنوات، حيث قال: كنت أنا وزوجتي متحابين مخلصين، لكن تدخل الأهل الزائد في كل شيء هو ما أوصلنا إلى ما نحن فيه الآن، مع العلم أننا كنا نحاول تجنبهم بكل الطرق، لكن مع الأسف زوجتي كانت تسمع كلام والدتها كثيرا، لدرجة أنها عصّتها علي، وجعلتنا ننفصل، علما أن مشاكلنا كان من الممكن حلها، لنعيش أسعد زوجين، لكن الأهل هم السبب فيما نحن فيه الآن.

وأضاف محمد: لا أنكر أننا أنا وطليقتي كنا السبب الرئيسي في الطلاق.. لكن للحقيقة لقد بذلت الكثير لإرضاء أهلها، غير أن كل ذلك ذهب سدى ووصلنا للطلاق.

بعد أن رصدنا بعضا من الأسباب الرئيسية التي تسببت في انفصال الأزواج والزوجات عن بعضهم، بالرغم من الحب الشديد الذي كان بينهم.

بقي أن نرصد من خلال هذا التحقيق آراء بعض طلاب الجامعات الرافضين للزواج نهائيا، مع العلم أن الزواج هو اكتمال نصف الدين.

في البداية قالت بسمة: نحن في مجتمع لا يقدر معنى الحب نهائيا، ونحن في مجتمع لا يقدر أيضا أن المرأة يجب أن يكون لها دور في المجتمع، ويكون لها بصمة في كل مكان تعمل فيه، وحينما تكون المرأة مميزة داخل عملها يكره الرجل تلك الميزة ويبدأ بالغيرة، ليس عليها، لكن منها.

ويبدأ بالشجار معها حتى تختنق وتتركه نهائيا، ومع الأسف هناك العديد من الرجال لا يقدرون تميز المرأة نهائيا، ويبدأون بمقارنة أعمالهم بعمل المرأة، ومن هنا تنتهي قصص الحب بفشل كبير.

في النهاية يترك الرجل المرأة ويبحث عن غيرها، لذلك أنا كرهت الرجال لأنهم مزيفون في كل شيء، حتى في مشاعرهم مزيفون.

وأكدت بسمة على أنه ليس كل الرجال مزيفين، لكن الأغلبية العظمى منهم كذلك..

تقول: أنا أتمنى أن أعثر على شخص يحبني بجد، ويتمنى لي الخير في كل شيء، ويجب أن يمتلك الثقة في نفسه كثيرا، حتى يعلم جيدا أني امرأة وكيان في هذا المجتمع، ولست مهمشة كما يريد بعض الرجال فعله في النساء، وهو التهميش نهائيا، واقتصارها على تربية الأولاد.

ومن ناحية انتشار العنوسة في مصر تحديدا لخصها الشاب محمود في التالي: وهي الأوضاع الاقتصادية وعدم توفر السكن والبطالة والفقر وقلة الدخل وارتفاع الأسعار...الخ

وهناك أيضا أسباب أخرى اجتماعية، منها العادات والتقاليد المتعصبة، أما الأسباب الدينية فهذه هي المصيبة الكبرى، لأن الفتيان والفتيات الآن تركوا الدين نهائيا، وبدأوا يفكرون في أشياء أخرى مثل المظهر والنقود ونسوا الآخرة.. لذلك نحن أصبحنا بعيدين عن ربنا كثيرا.. وهذا الذي نحن فيه عقاب منه سبحانه.

وقال أستاذ الاجتماع بجامعة القاهرة دكتور حسن المرشد: إن الفتاة كلما تقدمت في السن تتنازل في شروطها لتصل إلى ٥٠ ٪، وهناك فتيات يتنازلن بدافع الأمومة أو الرغبة في التخلص من ضغوطات الأسرة، إلاّ أن الفتيات غالبا ما يبحثن عن الزوج الذي يحترم المرأة ويعطيها حقوقها، ويحترم الأسرة، ومن أهم أسباب العنوسة المغالاة في المهور، وهناك رجال عقلاء وحكماء يرفضون ذلك، ويبحثون لبناتهم عن رجال ذوي دين وخلق، وعلى قدر من المسؤولية.

ومن هنا قالت سلوى سليمان دكتورة علم النفس بجامعة عين شمس: إن الفتاة «العانس» عادة ما تشعر بالوحدة، بالرغم من كثرة الناس حولها، حيث تعاني من الغربة والإحساس بالفراغ النفسي.. وللحرمان العاطفي من دفء الأسرة والأمومة دور كبير في أن تكون الفتاة عرضة للقلق والاكتئاب، وربما يصل إلى الاضطرابات الجسدية، بسبب الكبت النفسي والانفعالات الزائدة.

شابة برتبة عانس!!!

منى السعيد الشريف
باحثة تربوية

كانت كل الأحاديث حولي عن تفوقي الدراسي وهمتي الفريدة في مساعدة والدتي في شؤون المنزل ومهارتي في الطبخ، حتى إن أمي كانت تتباهى بي في كل محفل وعند كل وليمة نعدها بالمنزل للضيوف من الأقارب والأحباب، واتسمت من بواكير شبابي بسداد الرأي، فكان كل من بالبيت والعائلة يحرص دومًا على مشورتي في مجريات الأحداث وتلمس رأيي الشخصي، بل أذكر أن والدي لما كبرت صار يعمل لي ألف حساب عندما ينشب الشجار بينه وبين والدتي تقديرًا لشخصي واحترامًا لمشاعري، فهو يحاول أن يجذبني لصفه، ولا يصعد المشكلة لو تحاملت عليه ولمته على انفعاله، فلقد كنت ابنته الوحيدة وموضع فخره واعتزازه، وتوطدت الصداقة بيننا لما نجحت في الثانوية العامة، ودخلت كلية من كليات القمة التي تقاصرت قامات كثير من شباب العائلة والجيران عن الالتحاق بها، وفاتهم ما ظفرت أنا به بسبب درجة أو درجتين لا أكثر ولا أقل، وكان حتمًا عليهم لتدارك ما فات أن يدخلوا الجامعات الخاصة بلهيب أسعارها الذي يثقل كاهل أغنى الأسر.

كانت الدنيا كلها ملكي، وكنت أعيش بمعادلة واحدة «من جد وجد ومن زرع حصد» لكن مع دخولي في سن الزواج بدأت الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن.. حتى الآن لم يتقدم أحد لخطبتي، رغم أن رفيقاتي وقريباتي بدأن في دخول القفص الذهبي الواحدة تلو الأخرى، وانتبهت لأمور لم تخطر على بالي يومًا.. إني سمراء في مجتمع يعشق شبابه الشقراوات! والمجتمع يعاني من أزمة بطالة استعصت معها أمور الزواج وتكاليفه من شقة ووظيفة ومهر وميزانية تثقل كاهل أي شاب حديث العهد بمسؤوليات الحياة.

جرت السنون سراعًا، ودخلت على أعتاب الثلاثين، وبدأت كلمة «عانس» ترن في أذني وترد مرارًا على خاطري.. معقولة أنا عانس!.. يا إلهي.. بأي ذنب وجريرة؟

وليت الأمر اقتصر على ذلك، بل أجدني فريسة مستباحة في المجتمع لأني بدون رجل، ووصل الأمر إلى تخوف بعض المتزوجات مني على أزواجهن! إن الأرض تكاد تمور من تحت قدمي، وأوشك أن أفقد توازني واستقراري النفسي الذي كنت أتمتع به.

لقد بدأت المعادلة التي كنت أعيش

بها تهتز، وأيقنت مع تجارب الأيام أنه ليس بحتم أن كل من جد وجد وليس كل من زرع حصد! وكم في السجن من مظاليم، وكم في الحياة من مساكين بلا جريرة تذكر، ولا خطيئة تؤثر، ولكنها الأقدار.

كانت مناسبات الزواج السعيدة من حولي أشبه بمأتم شخصي يذكرني بزوجي وفقيدي الذي لم يأت، وكانت تهنئة «عقبالك» كسكين يغرز في قلبي ووجداني، وأتمنى ساعتها لو انشقت الأرض وابتلعتني من شدة الإحراج الذي أحاول أن أدفعه بكل ما أوتيت من إرادة وعزيمة كي لا يبدو على قسمات وجهي.

كنت أحس بالغربة عندما أرى زوجة قد تعلقت بيد زوجها في الطريق وأمامهما طفلين جميلين أشبه بالعصفورين، وكنت كالصماء بين السيدات اللاتي يتحدثن عن أزواجهن وغيرتهم أو غضبهم أو حنانهم.

إن العنوسة عالم غريب دخلته رغمًا عن أنفي، وأغرب ما فيها أنني ما تصورتها بحياتي يومًا، ولا تخيلت أنني سأعيش كالمتهمة تلاحقني نظرات الشفقة حينًا، ونظرات التهمة حينًا آخر.

ولقد دفعني الفضول لأن أغوص في هذا العالم، وأتعرف على مكنوناته وأسراره، فوجدت أن المختصين قالوا: إن العانس قد تعاني من بعض السلوكات النفسية الغريبة كالانطوائية، أو الميل للعدوانية نحو النساء المتزوجات كنوع من التعبير عن الحقد عليهن، أو التعلق الزائد بالوالد (عقدة الكترا) لإرواء الحاجة بوجود رجل في حياتها، أو السخط على المجتمع عامة وأفراد الأسرة خاصة، وبالذات لو كان قرار الأب أو الأم عائقًا في تزويجها كغلاء المهر أو الانتماء القبلي أو تزويج الكبرى أولًا، أو غيرها من الآفات الاجتماعية التي توقع البنت المسكينة في شراك العنوسة بلا ذنب ولا جريرة.

وقالوا أيضًا: إن العانس تكون غارقة

المؤمن يعيش بين قضاء وقدر ومخطوط قلم سبق

في أحلام اليقظة عن فتى الأحلام الذي تصبو نفسها إليه، مع النزعة التشاؤمية وفقدان المعنى من الحياة.

أما الفقهاء المسلمون فتناولوا الآفات الاجتماعية التي تعرقل الزيجات بما يعرف باسم «العضل»، حيث يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ (النساء آية ١٩).

والطامة الكبرى «الطفولة» التي حرمت منها، ولفظة «أمي» التي طالما حلمت بها.. إن حبي للأطفال لا يصفه وصف ولا يحده حد، وكم كنت أتمنى أن يكون لي طفل أحتضنه وأشمه وأقبله وألاعبه، وأملأ به دنياي، لكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه.

لكني اليوم ومع طول خبرة في أيام العنوسة أدركت أنني كنت خاطئة بهذه المشاعر المبالغ فيها، إنني اليوم أكثر نضجًا مما مضى، وأكثر تفهمًا لطبيعة الحياة، فبعد استيعاب الصدمة وهدوء المشاعر والتفكير بواقعية وعقلانية أكثر تبين لي أن العنوسة لا تعدو كونها قدرًا وابتلاء ومحنة كسائر المحن، ومن منا استقامت له الحياة دومًا على دروب السعادة والهناء، إن لكل منا أزمته ومحنته مع اختلاف الصور والأشكال لا أكثر ولا أقل.

فكم من معاق أغلى أمانيه أن يرد الله له صحته، وكم من فقير تمنى أن يسد الله فاقته، وكم من سجين تمنى أن يفك الله حبسه، وكم من خائف تمنى أن يؤمن الله روعته، وكم من غريب تمنى أن ينهي الله غربته، وكم من مدين وتعيس وجاهل ومكروب ومأزوم.. والقائمة تطول.

وهل كل من تزوج سعيد؟! حتى لو اختار الزوجة الجميلة وعنده الطفل البريء والمسكن الهنيء.. كلا وألف كلا، فأين الزوج البخيل والشكاك وضعيف الشخصية والفاشل والمدمن والسلبي والحقود والغيور؟ وأين الزوجة الثرثارة وغير النظيفة والمتهورة والغبية والخائنة؟ أليست كلها مشكلات تعشش في القفص الذهبي؟ أليس من الأزواج من يتحسر على أيام الشباب والانطلاق، ويسخط على أيام زواجه وعظيم مسؤولياته؟ أليس من الزوجات من تصبح كل يوم على أمل أن يقبض الله روح زوجها لتستريح من ضربه المبرح أو إدمانه أو نزواته أو ألفاظه الجارحة وتصرفاته الخشنة؟!

إن المؤمن يعيش بين قضاء وقدر ووفق مخطوط قلم سبق، ومن العباد من إن أغناه الله فسد حاله، ومنهم من إن أفقره الله صلح حاله، ورسالة الإنسان الجوهرية ليست في الزواج وحسب، بل إن رسالته في أن يقيم العبودية، والصبر على الأقدار أحد مقاماتها، بل من أشرفها على الإطلاق، وهذا ما يميز المؤمن عن غيره، حتى صار مضرب المثل ومكمن العجب، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، فسبحان من يبتلي عباده ليكرمهم ويعظم أجرهم، فتلمس عوض الجليل والنعيم المقيم يهون كل بلاء وييسر كل عسير، ومن يرد الله به خيرًا يصب منه، ويبتلى المرء على قدر دينه.

أستاذة علم النفس في جامعة الكويت نورية الخرافي:

مطلوب مقرر تربوي لمواجهة الطلاق

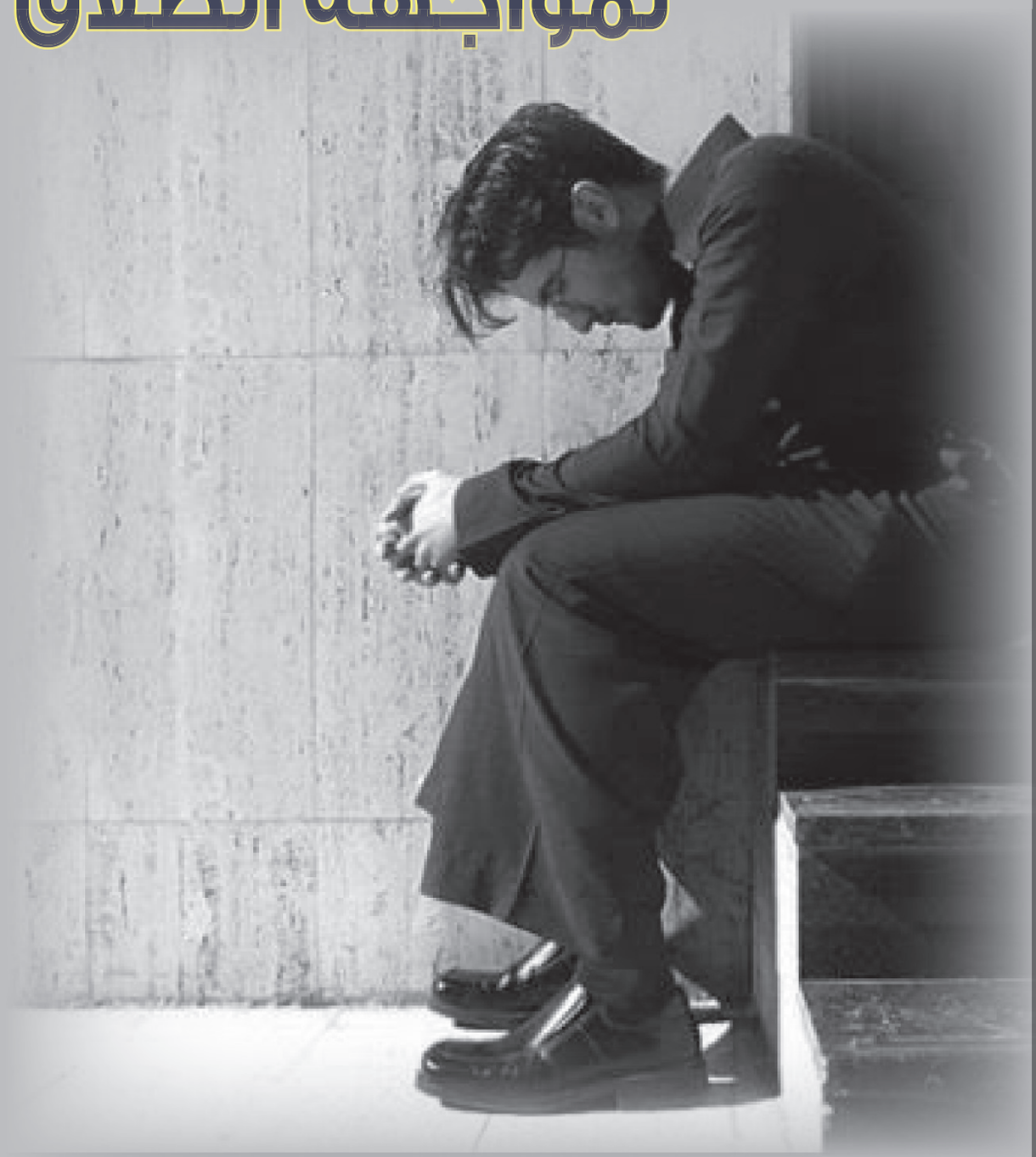

● الحوار منشور في جريدة القبس الكويتية

أكدت د.نورية الخرافي الأستاذ المساعد في قسم علم النفس التربوي بكلية التربية في جامعة الكويت أن أسبابا عديدة وراء زيادة معدلات الطلاق في المجتمع الكويتي، ومن أبرز تلك الأسباب التي عزت إليها هذا الارتفاع غياب الوعي بالواجبات ومعرفة حقوق الطرف الآخر، ناهيك عن الجهل الديني في أمور الطلاق العديدة.

وأضافت الخرافي في لقاء مع «صحيفة القبس الكويتية» أن هناك العديد من الشباب لا يفضلون التقيد بسبب الزواج، بل يفضلون السفر على الزواج أحيانا، وقالت إن بعض الشباب يرسمون تصورات معينة للزواج ثم يصدمون بأنها لا تتحقق فيلجأون إلى الطلاق، ناهيك عن جعل الزواج وسيلة أو تقليدا مما يتسبب في فشله.

وطالبت الخرافي وزارة العدل بضرورة إدخال المقبلين على الزواج في دورات تدريبية تثقيفية لمعرفة جميع الحقوق والواجبات، بالإضافة إلى إدخال التربية الأسرية في مناهج التربية، ابتداء من رياض الأطفال، لغرس الثقافة الزوجية ومعرفة جميع الأساليب التي تؤدي لحياة زوجية ناجحة.

وشددت الخرافي على أن تدخل الأهل في حياة الزوجين يعتبر هادما للعلاقة أحيانا، وعلى الزوجين حل خلافاتهما بينهما عندما يكون تدخل الأهل سلبيا، إضافة إلى عدم انحياز الأهل لأبنائهم حتى إن كانوا على خطأ.

وفيما يلي نص اللقاء:

● برأيك ما سبب تزايد حالات الطلاق في البلاد؟

ـ الأسباب كثيرة ومتعددة.. فعلى حين أن المرء يتزوج بهدف تكوين أسرة للعيش والاستقرار، فإن الناس قبل الزواج ينقسمون إلى فئات، فئة تتسرع في الزواج وتتخذ القرار بلا دراسة، مع أنه مشروع حياة، ويفترض أن أي مشروع في الدنيا يخضع لدراسة جدوى، وهناك من يتزوجون وفي بالهم توقعات لا تتحقق فيصدمون بسببها، لأن الزواج لا يسير بحسب توقعاتهم، وفي حالة كهذه إما أن يتأقلم الزوجان بالزواج أو العكس، وخاصة في السنة الأولى.. وعليه فإنه ينبغي أن يكون هناك شفافية ووضوح قبل الزواج ليأتي الزواج على بصيرة من الأمر، وهناك فئة لا تعتبر الزواج هدفا بحد ذاته، بل هو في نظرها نوع من التقاليد أو المحاكاة المجتمعية، أو التخلص من بعض المشكلات، فيصبح الزواج وسيلة لشيء آخر وليس هدفا بحد ذاته، مما يتسبب في فشله.

● هل أدى تغير الحياة ونمط الزواج إلى زيادة عدد حالات الطلاق؟

ـ الزواج في السابق كان يتم بين عائلتين ولايزال كذلك لدى البعض، لكن في الوقت الحالي، كثير ممن يقبلون على الزواج لهم رأي مؤثر، فقد تفرض البنت أو يفرض الشاب شريكه على أسرته فرضا دون أدنى قناعة، فتولد من هذه النقطة الكثير من المشاكل، فضلا عن اقتحام وسائل التكنولوجيا لحياتنا وإساءة استخدامها، كما هو الحال مع المواقع الاجتماعية مثل فيسبوك وتويتر التي خلقت الكثير من الإشكالات وسط الأسر، حيث أصبحت هذه الوسائل مصدرا للتعاسة للعديد من المتزوجين، كذلك فإن البقاء على علاقات قديمة أيضا يعتبر سببا في ظهور المشاكل بين الزوجين.

● باعتقادك هل تؤدي الجهات المعنية دورها في الحد من ظاهرة الطلاق؟

ـ الطلاق تقع مسؤوليته على الزوجين بالدرجة الأولى، وعلى تفاعلهما فيما بينهما، وعلى مدى النضج الذي وصلا إليه، لأنه من الممكن أن يحول أي خلاف من خلاف هادم إلى خلاف بناء، فالتثقيف في المهارات السلوكية مطلب ضروري لتقوية العلاقات.. والوسائل موجودة، ومن المفترض أن يتثقف الزوجان لتنمية علاقة كل منهما مع الطرف الآخر، بما في ذلك التثقيف الجنسي، والإعداد النفسي للحياة الزوجية للجنسين، ومعرفة الصح والخطأ والواقع، ولا يختلف اثنان على أن للمؤسسات دورا لابد منه، ونتمنى أن نرى دورات تثقيفية قبل الزواج، ناهيك عن تضمين منهج العلاقات الأسرية من رياض الأطفال لتعليم الأطفال منذ الصغر احترام الآخر، ويكون إلزاميا على جميع المراحل، ناهيك عن اشتمال مقرر التربية الإسلامية على حسن العشرة والمعاملة الزوجية، بالإضافة إلى وجود مقرر إجباري في الجامعة لتوعيتهم بعكس المقرر الموجود الذي يعتبر اختياريا، فالزواج إن كان ناجحا تنتعش صحة الإنسان، فلابد أن نرى تعاونا من الجهات المعنية، والتربية أقرت مقررا في السابق على الإناث فقط، وكأن الذكور ليس لديهم ثقافة أسرية، علما بأن هذا المقرر جرى إلغاؤه، ونطالب أن نرى منهجا شاملا للجنسين لكي نخرج بجيل واع بواجباته الأسرية.

● هل لديكم دراسات أو توصيات لتوعية الشباب ومواجهة ظاهرة الطلاق؟

ـ هناك دراسات عديدة توصي بضرورة تثقيف الشباب المقبلين على الزواج، وإقرار دورة تدريبية من قبل وزارة العدل تعتبر كالفحص قبل الزواج، ويقدم كل مقبل على الزواج من الجنسين شهادة بهذه الدورات، لمعرفة حقوق وواجبات الزوجين تجاه بعضهما البعض، لتخريج أجيال متماسكة ومتفاهمة، كما أن هذه الدورات يجب أن تشمل حتى العلاقات بعد الطلاق، والواجبات وغيرها، ومستويات وأشكال الزواج، والحقوق المترتبة بعد الطلاق.

● هل الأجيال الشابة أكثر استهتارا بالكيان الأسري ومن ثم تستسهل الطلاق؟

ـ يوجد شباب كثيرون زواجهم ناجح، لكنّ المطلقين هم الظاهرون على سطح اهتماماتنا دائما، ولدينا شباب ناجح ولديه القدرة على تحمل المسؤولية، وهناك شباب ينعمون بزيجات كثيرة ناجحة.

● الزواج المبكر.. هل له علاقة بارتفاع معدلات الطلاق؟

ـ الزواج المبكر من سن ١٧ للولد و١٥ للبنت، والعمر العقلي أهم من العمر الزمني، والبنت الواعية والمهتمة بالمسؤولية ستنعم بعلاقة زوجية ناجحة، وكلما كان الإنسان ناضجا كان ناجحا في زواجه، وكلما كان طفلا في تفكيره سيفشل في زواجه، وأي إنسان عندما يكون مدركا لواجبات وحقوق الزواج ستكون علاقاته ناجحة بعيدة عن الفشل.

الأسرة القدوة

رشيد ناجي الحسن
باحث في وزارة الأوقاف الكويتية

الأولاد ثمار القلوب وعماد الخطوب، طفل يملأ العين قرة والقلب مسرة، محروس من العيون أن تصيبه، ومصون من الألسن أن تعيبه.

ونحن الآباءَ والمربين كثيرا ما نغفل عن هذا، بل ونجهل أهمية القدوة في حياة الفرد والمجتمع، فلا نراقب أفعالنا، ولا تصرفاتنا، ولا ننظم سلوكياتنا، وخاصة أمام من نقوم بتربيتهم، وإعدادهم، فلرب تصرف عابر غير مسؤول يودي بالعملية التربوية برمتها إلى الهاوية ... ويكون الثمن باهظا في أغلب الأحايين، ولات حين مناص.

لذا يتوجب على كل أب وأم أن يعلما بأن جميع التصرفات الصادرة عنهما تنعكس كالمرآة في طفلهما الصغير.

وبشكل خاص فإن الطفلة دائمًا ما تكون متتبعة لكل تحركات وتصرفات أمها، وتبدأ فعلا بتقليدها في حركاتها، وحتى في أسلوب تعاملها مع الآخرين، وكذلك فإن الابن يقلد والده في كل صغيرة وكبيرة.

وبما أن شخصية الطفل تكتمل وتتبلور عند سنته الثالثة، فيجب أن يمد الأبوان طفلهما في هذه المرحلة بالذات بكل ما هو جيد من القيم والأخلاق.

وبحسب ما أكدته الأبحاث العلمية من أن سلوك الأبوين يؤثر في أبنائهما أكثر من كلامهما، فيجب أن يفكر الأبوان أكثر فيما يفعلانه لأطفالهما، من خلال سلوكياتهما وتصرفاتهما.

فالطفل منذ الولادة يبدأ في الملاحظة والتعلم والاكتساب من والديه، وغالبا لا يؤثر كلام الأبوين كثيرا في سلوك الطفل وتصرفاته، إن لم يكن الأبوان يفعلان ما ينصحان به الطفل.

كما أكدت الإحصائيات بأنه عندما يكون الأبوان نموذجا إيجابيا لأطفالهما، فهذا سيساعدهم على

لنكن أكثر جدية في بناء الأجيال ولننظر في مرآة ذواتنا أيها نعمل وأيها نقول

الاختيارات المناسبة في حياتهم، وهم غالبا ما يكونون متفوقين في دراستهم، ويتمتعون بتقديرهم لأنفسهم أكثر من غيرهم.

والجدير بالذكر أن الأم تلعب دورا كبيرا ومهما في تربية الطفل أكثر من الأب، بحكم أنها الأكثر تواجدا واحتكاكا معه، لهذا يتوجب عليها أن تكون نموذجا متحركا في أرجاء المنزل، تترجم كل ما تعلمته من الحياة إلى سلوك مادي يلمسه ويتحسسه طفلها، وأن تعكس حقيقة السلوك الذي تنادي به، لكي لا يقع الطفل في تناقضات خطيرة، فيختلط عليه الأمر، وتلتبس عليه الحقائق والمفاهيم، فلا يستطيع وقتها، بل لن يعود قادرا على التمييز بين الزائف والصحيح.

ولذلك قالوا: ما من مجتمع راق استطاع أن يصل إلى تحقيق المثل العليا إلا اشتركت في تحقيقه ورفع صرحه أم عظيمة)، وقالوا: (أم صالحة خير من مئة أستاذ).

لقد اهتم دين الإسلام بالإنسان صغيره وكبيره، ذكره وأنثاه، حفظ حقوقه، ورعى شؤونه من بدئه إلى منتهاه، اهتم به اهتماما بالغا من أجل إسعاده وإزالة مظاهر الظلم عنه وإبعاد ألوان الشقاء من طريقه.

ولقد امتن الله على عباده بنعمة الذرية، فرزقهم من أصلابهم بنين وحفدة يأتمرون بأمرهم، ويسعون في مرضاتهم، ويشدون بهم ظهورهم، ويحملون ذكرهم من بعدهم. ومن أعظم الدلائل على عظمة نعمة الذرية: حال من حرمها، فجعله الله عقيما لا يولد له فتراه يهرع إلى هنا وإلى هناك، يطلب علاجا، أو رقية لعله يرزق ولدا يحمل عنه بعض أعباء الحياة، ويمد في ذكره بعد الممات.

ومع أن نعمة الذرية نعمة عظيمة، إلا أنها فتنة كبيرة، واختبار عسير، ومسؤولية شاقة ، فكم من أب عقه أولاده فعصوه، وأذاقوه مرارة الحرمان، وعلقم الصبر، حتى يئس من الحياة، وتمنى أنه لم يتزوج، ولم يولد له، وتمنى لو أنه وضع جهد الرعاية والعناية في بهيمة، خير له من ولد لصلبه.

وكم من أب ساقته عواطف الأولاد والزوجة، بعيدا عن مسلك الأبرار، فألحوا عليه بالانحراف، وزينوا له الإنفاق فيما حرم الله، وجلب المال من حلال وحرام، وقعدوا به عن القيام بواجب الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فأصبح الأب يتأثر ولا يؤثر، ويقاد ولا يقود، ويأمر فيُعصى، في حين كان واجبه أن يكون في بيته قائدا لا مقودا، وسيدا لا مسودا؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم: (الرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول)، فكيف يكون دور الأب في بيته؟ وهل هو تنفيذ الأوامر، وإشباع الشهوات، وتحقيق المطالب؟ فكثيرا ما يعتذر الآباء عندما يُنكر عليهم تصرف معين، كأن يُنكر عليهم مثلا شراء شيء حرمه الله، أو أخذ أولادهم وأهلهم إلى مكان محرم، فيقول الأب معتذرا: «ماذا أفعل؟ الأولاد يريدون، وأم الأولاد تريد»، وكأنه لا

سلطان له، ولا كيان، ولا إرادة.
إن المسؤولية الكبرى التي حملها الله الآباء: لا مجال لأن يتفلتوا منها، أو أن يتغافلوا عنها، وقد وصف الله حال المفرطين في مسؤولياتهم تجاه أنفسهم وأهليهم فقال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾.

- وإن المتأمل في أسباب انحراف كثير من الشباب وضياعهم يجد أن أعظم هذه الأسباب وأخطرها: فقدان القدوة الصالحة في الآباء والمربين. إن التربية بالقدوة تعد من أهم وسائل التربية، بل هي أهم وسائلها على الإطلاق، وذلك لوجود تلك الغريزة الملحة في كيان الإنسان، تدفعه نحو التقليد والمحاكاة. والأولاد الصغار أشد تأثرا بالقدوة من الكبار. فهم يجدون في آبائهم المثل الأعلى، والنبراس الذي يهتدون به. فالأطفال الصغار يعتقدون أن كل ما يفعله الكبار، ويمارسونه صحيح فهم لا يدركون - في أول الأمر- الصواب من الخطأ، ولا يميزون بين الخير والشر، إنما هم ينظرون بأعين آبائهم ويحاكون طريقتهم في الحياة.

لهذا تجد في الغالب أن الأولاد الذين لا يصلون نشأوا في بيوت لا تقام فيها الصلاة، وكذلك الأولاد الذين يدخنون، لابد أنهم يقتدون بالمدخنين في البيوت، وهكذا تجد أن النشء ثمارُ تلك البيوت. إن الخطر على النشء من فقدان القدوة في البيت لا يكمن في كونهم ينشأون متلبسين ببعض الانحرافات الأخلاقية، إنما الخطر يحصل إذا كبر هؤلاء الصغار، وعقلوا حقائق الأمور، وعلموا واقع المربين، وأن ما كانوا يسمعونه من عبارات الفضيلة، ونصائح، وأمر بحسن الخلق والبر، إنما هي عبارات جوفاء، لا واقع لها، ولا تطبيق، فإن هذا الصنف من الأطفال في العادة ينحرف انحرافا شديدا، ويرفض المجتمع، وتقاليده، وعاداته، وما فيه من خير وشر، ويحاول أن يبحث في مجتمعات أخرى عن قدوات، ورموز يقتدي بها في حياته الجديدة. وقد ثبت أن الأطفال الذين ينشأون في أسر متناقضة القيم والأخلاق، وتظهر فيها علامات النفاق، ومخالفة الأقوال للأعمال، فإن هذا الصنف من الأطفال يصبحون إذا كبروا من أكثر الناس بعدا عن الالتزام بالآداب والأخلاق الإسلامية، وذلك لعمق الأثر الذي أوجده ذلك التناقض السلوكي في نفوسهم.

إن الناظر في أوضاع المجتمعات الإسلامية اليوم، يجد أن عقيدتنا، وأخلاقنا، وقيمنا تكاد تكون في ناحية، وحياتنا العملية الواقعية في ناحية أخرى، نقيضان لا يلتقيان، فكيف ينشأ مع هذا الوضع أطفال صالحون يرون ويشاهدون المتناقضات في حياة الأمة. إنهم مهما سمعوا من المربين، من عبارات الخير والفضيلة، والأخلاق الحميدة، فإنهم لن يحملوا في داخل أنفسهم إلا الصورة التي يرونها أمامهم، من أنواع وأنماط السلوك، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. وقد أدرك السلف رضوان الله عليهم هذه المعاني الخطيرة، فهذا عمرو بن عتبة، ينصح معلم ولده فيقول له: « ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت ».

كثيرا ما يعتذر الآباء بالفساد الاجتماعي، ويحمّلون المجتمع فساد أولادهم. متخلين بذلك عن دورهم وواجبهم التربوي، إن للمجتمع ومؤسساته المختلفة دورا في التوجيه والتأثير ولا شك في هذا، ولكن ليعلم الآباء، ويوقنوا، أن أثر البيت الصالح، أبلغ وأقوى من كل أثر، فإن ما ينقشه الآباء في نفوس أولادهم من معاني الخير والفضيلة، بالعبارات الصادقة الحارة، والسلوك القويم، مع القدوة الصالحة، له أثره القوي الذي يبقى مع الولد، حتى وإن ظهر على الولد بعض انحراف في أول الأمر، بسبب ضغط المجتمع المنحرف، فإنه غالبا ما يرجع إلى الخير، وتكون عاقبته إلى الصلاح، فما كان الله ليضيع جهد الأب الصادق، الذي جاهد في سبيل إصلاح ولده واستقامته. ولو افترضنا ضياع الولد وانحرافه، مع ما بذله الأب في سبيل إصلاحه فإنه لا لوم على الأب، وقد أخذ بالأسباب، فإن لله في ذلك حكمة هو أعلم بها، وللأب الأجر والمثوبة على صلاح نيته، وبذل جهده.

فلنكن أكثر اهتماما، ولنراقب أنفسنا، ولنحاسبها قبل أن نحاسب. ولنكن أكثر جدية في بناء الأجيال، ولننظر في مرآة ذواتنا، أيها نعمل، وأيها نقول، وأيها نقدم لأولادنا وتلامذتنا ومتعلمينا، فهم الأمانة بين أيدينا، وهم الصفحات التي نخط عليها مستقبل الأمة، وهم الرجال الذين نتطلع إليهم لإعادة مجد الأمة .ولنكن خير قدوة لأبنائنا، يتشرفون بنا ونعتز بهم . فيبنون فوق بنياننا على أسس راسخة، فلا يتداعى البنيان، ولا تموت الأمة، ولا ينقطع الأمل، ولتكن مخافة الله نصب أعيننا وجل مبتغانا، ولنكن القدوة الحسنة، ولنكن منسجمين مع ذواتنا، مؤتلفين بين ما نقول وما نفعل، والله المستعان.

صدرت قبل ٩ سنوات وتناولت كل ما يخص الشأن النسوي في العالم:

موسوعة المرأة عبر العصور

علاء عبدالفتاح

في موسوعة «المرأة عبر العصور» قدمت وزارة الثقافة المصرية -وتحديدا الهيئة العامة للكتاب- عشرة أجزاء من القطع المتوسط، تتضمن كل ما يخطر على البال ويخص المرأة في دول العالم.

كان ذلك قبل ٩ سنوات برئاسة الكاتب أنيس منصور، وتحرير ٢٤ كاتبا وكاتبة، وترجمة ١٥ آخرين.

تناولت الموسوعة في الجزء العاشر منها كشافا لمحتوياتها، ومن هذه المحتويات ما يخص المرأة في الديانات من تعدد الزوجات في الإسلام وتكريم المرأة ومساواتها مع الرجل، ثم تنظيم الإنجاب والحجاب، ثم ما يتعلق بأمهات المؤمنين وراويات الحديث.. وحق المرأة في القضاء وشهادتها، وعملها في الطب والتعليم ومكانتها، ونفس الأمر في الدين المسيحي والديانات الأخرى.

تعرضت الموسوعة أيضًا للعلوم الاجتماعية ودور المرأة فيها من حيث الاتحادات النسائية والبرلمان، ثم تعليم الفتيات في مختلف بلدان العالم، كما تعرضت للتمييز ضد المرأة بين الموروث الثقافي والقيم الإيجابية، ولم يفت القائمين على الموسوعة الحديث عن المرأة في الأمثال الشعبية والحكم والأقوال المأثورة.. إلى آخر الموضوعات.

وتعد موسوعة المرأة عبر العصور التي تقع في نحو ٢٥٠٠ صفحة من الأعمال الرائدة التي لا غنى عنها للباحث في الشأن النسوي، والعجيب أنها تناولت شخصيات نسائية معاصرة عابرة، مثل نوال مصطفى، الصحفية المصرية (مواليد ١٩٥٥)، صعودا إلى حائزات نوبل في مختلف الأفرع، إلى الشخصيات التاريخية مثل نسيبة بنت كعب الأنصاري، إلى الملكة نفرتيتي (١٣٦٩ قبل الميلاد).

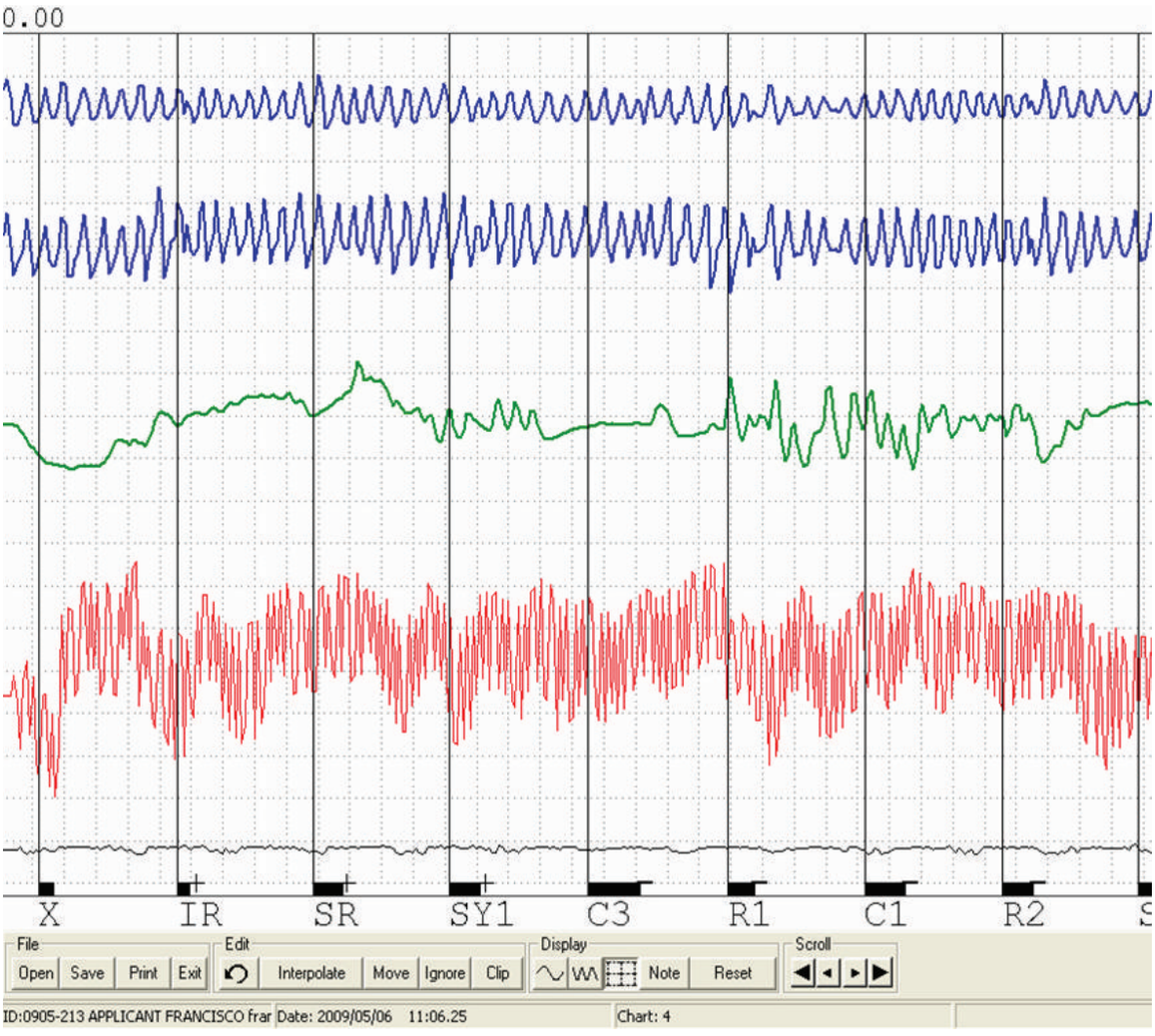

تقنيات كشف الكذب في تشريع الإجراءات الجنائية الإسلامي

د. رضا عبد الحكيم
أستاذ القانون الجنائي

عرفت شريعتنا، إلى جوار نظامها العقابي، نظاما إجرائيا. واللذان يشكلان معا السياسة الجنائية الإسلامية، والنظام العقابي في الشريعة لا يعرف اجتهادا في الحدود الشرعية والقصاص والدية، أما في التعازير فقد شهد الواقع اجتهادات، تطلع بالتجريم والعقاب خارج حدود النصوص الشرعية، استجابة لضرورات الضبط الاجتماعي والجنائي لمواجهة المستجدات الإجرامية، مما أكسب التشريع الجنائي الإسلامي مرونة لا يعرفها ولن يصل إليها أي قانون وضعي لاتيني أو أنجلوسكسوني أو اشتراكي أو شيوعي شرقي أو غربي... أما النظام الإجرائي فقدرت له المرونة المتسعة، سيرا مع حركة التطور الحضاري، التي فرضت تعديلات جمة في الأنظمة القضائية، ذلك أن التنظيم القضائي الذي أسس زمن الرسالة ولحقه التعديل في العهود التالية قد شهد تطويرا في نظم السياسة والحكم والإدارة.

في السياسة الجنائية المعاصرة، ينظم قانون الإجراءات الجنائية التحقيق الجنائي، والأخير يتمثل في مجموعة أعمال تباشر من خلال جهاز معاون لقضاء الحكم، مخول له سلطة جمع الأدلة والقرائن والبراهين، متى وقعت الجريمة. وذلك في حدود ضوابط ينص عليها القانون منعا للافتئات على الحريات الشخصية.

في مواد جمع الأدلة، أدى التطور الحضاري والتقدم العلمي إلى استخدام سلطات التحقيق الجنائي في بعض الدول تقنيات متنوعة عدة، ولعل أشهرها، جهاز كشف الكذب، بغرض استجلاء كذب أو صدق المتهمين أو الشهود، فيما يدلون به من أقوال أثناء التحقيق الجنائي.

والدراسة تناقش مدى شرعية استخدام تقنيات كشف الكذب في التحقيقات الجنائية. ذلك أن التشريع الإجرائي الإسلامي، لا يعتد بالأدلة الناشئة عن استخدام وسائل الإكراه المادية والمعنوية من جانب سلطات التحقيق الجنائية.

تقنيات كشف الكذب

ثمة انفعالات نفسية تصاحب الجاني عند الاشتباه في أمره، فمنذ ٣٠٠ سنة قبل الميلاد، كان أرسطو يجس نبض الشخص عند استجوابه، فإذا بقي نبضه دون تغيير كان صادقا، وإن أسرع دل ذلك على كذبه، وفي الصين منذ آلاف السنين كانوا يطالبون المتهم بأن يلوك في فمه حفنة من الأرز النّيِّئ، ثم يلفظها، فإن وجد الأرز رطبا كان المتهم بريئا، أما إذا كان جافا فهو مذنب. وقد تنوعت الأساليب التي كان يلجأ إليها المحققون في الجرائم، في تلك الأزمنة الغابرة، وكان من ضمن أولئك عرب الجاهلية، الذين كان لهم تجربة في وضع الخبز الناشف (القديد)، لاستجلاء الكذب من الصدق كما فعل الصينيون وشعوب الأمم القديمة...

في العام ١٨٩٥ م توصل العالم لومبروزو إلى وجود علاقة بين ضغط الدم، وتغيير نبض القلب، حينما كان يجري تجاربه على المجرمين، بهدف الكشف عن مدى الكذب والخداع عند استجوابهم.

مع مطلع القرن العشرين، ابتكر عالم النفس والمخترع «مارستون» آلة البوليجراف Polygraph التي تقيس ضغط الدم والنبض والناقلية الكهربائية للجلد وإشارات فيزيولوجية أخرى تستطيع تحديد ما إذا كان الشخص كاذبا. وحاليا أدخلت تطورات عدة تتمثل في ابتداع طرق تصوير للدماغ، تستهدف كشف حالات الذهن التي تعكس سلوكا صادقا. وأحدث التقنيات العاملة في هذا المجال، تقنية تعرف بـ«الرنين المغناطيسي الوظيفي»، حيث تمارس من خلال جهاز الـFMRI، المتخصص في كشف الكذب، باستخدام لوغاريتمية تحليلية معقدة تدعى مصنف الأنماط patterns classifier الباحثة في ذاكرة الإنسان، وتلك من ابتكار الباحثين في جامعة ستانفورد بالولايات المتحدة. كما قام الباحثون في جامعة هارفارد العام ٢٠٠٩م بابتداع أسلوب مسح الدماغ بالحصول على صور توضح نشاط بعض مناطق الدماغ، التي تكشف عن مدى السلوك المخادع، بقياس الانفعال وصداه في قرارات الشخص.

حديثا قبل القضاء الأميركي بولاية تينسي، احتجاج هيئة الدفاع عن أحد المتهمين، والذي قدم تقريرا معتمدا من شركة متخصصة في استخدام جهاز الـFMRI فنظر القضاء في هذا التقرير، واعتبر أن نتيجة التقرير هي مجرد قرينة ولا ترقى إلى مستوى الدليل. وفي العام ٢٠١٠م سمح القضاء بولاية إيلينوي باستخدام الجهازFMRI خلال مرحلة المحاكمة في جناية قتل.. يذكر أن هناك شركتين رئيسيتين متخصصتين في أجهزة كشف الكذب عن طريق التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي، هما شركة No lie mri في كاليفورنيا و«سيفوس» Cephos في ولاية ماساشوستس.

بالنسبة لأسلوب المحقق في كشف الكذب، فإنه يوجه للمتهم عدة أسئلة للإجابة عنها، في الوقت الذي يقوم الجهاز بتسجيل الانفعالات التي تطرأ على المتهم أثناء الإجابة. حيث يعد المحقق بصفة مسبقة قائمة بالأسئلة، ويشترط على المتهم أن تكون إجابته بكلمة «نعم» أو «لا» وتبدأ الأسئلة بتوجيه أسئلة لا علاقة لها بالجريمة. وبذلك تكون الإجابات طبيعية والانفعالات تبعا لذلك طبيعية... ويستمر المحقق في توجيه أسئلته بشكل عادي، ثم ينقلب فجأة بتوجيه سؤال يتصل بالجريمة... ومن بعد يعود إلى أسئلة عادية، ثم التحول إلى سؤال في الموضوع. وهذا ما يطلق عليه Sandwich guestions. ومن خلال سيناريوهات الأسئلة والأجوبة، يكون الجهاز قد سجل الانفعالات، التي يأخذها المحقق بعين الاعتبار في توكيد الكذب أو الصدق.

تقييم نتائج الجهاز

يعتمد المحقق على معيار الانفعال والاضطراب والقلق، عند تقييم مدى كذب الشخص، بيد أن الانفعال في كثير من الأحيان، قد يصيب البريء، الأمر الذي يشكك في الأخذ بنتيجة استخدام الجهاز، ذلك أن هذا البريء قد ينتابه الخوف من الظلم أو من الشبهات أو الخشية من المجهول، مما يؤدي إلى انفعاله، شأنه شأن الكاذب، مما يلقي بظلال من الشك حول الاعتماد على معيار الانفعال، الذي يرصده الجهاز. إذ كيف يمكن التمييز بين انفعال الكذاب المتورط في الجريمة، وانفعال البريء الخائف؟!. إن طبيعة الشخص ذاته، ولأسباب راجعة إليه قد تلعب دورا فاعلا في أحداث الانفعال أو الاضطراب

أو حتى البلادة والبرود، كما في معاناة الشخص من اضطرابات عقلية أو عصبية أو لمرض القلب وارتفاع ضغط الدم، فيحدث الانفعال أو لا يحدث لمجرد هذه الأسباب، وليس لمجرد الموقف المراد تقييم انفعاله فيه. وبالتالي تكون نتائج فحص الجهاز مضللة ولا يمكن الاعتماد عليها.

أضف إلى هذا، أن طبيعة الاستجواب أثناء التحقيقات الطويلة وحتى مع الشخص الصحيح بدنيا ونفسيا وعصبيا تهيئ محركات الانفعال لديه، نتيجة القلق، أو الخوف مثلا من أن يفتضح أمر الشخص، وربما يكون متهما في قضية أخرى، أو على صلة بموقع الجريمة أو الجاني، ولكن لا دخل له في الواقعة الإجرامية مما يجعل من استخدام الجهاز آلية غير حاسمة.

ثم إن هناك أسبابا تجعل الشخص ذاته من النوع الذي لا يستجيب لأي مثير، كما الشخص الذي يستوي لديه انكشاف أمره أو لا، والشخص الذي لديه قدرة على التحكم الشعوري، أو ذلك الشخص الواقع تحت تأثير الصدمة أو تأثير تدفق الأدرنالين، أو ذلك الشخص الذي يرى في الجريمة تبريرا طبيعيا كمن يأخذ بالثأر، فالغبطة تأخذ مكان الانفعال لديه... وهكذا.

الحقوق الشرعية للمتهم

أعطت الشريعة المتهم حقوقا تعد محصلة الموازنة بين صيانة حقوقه الأساسية في سلامة جسده وعصمة دمه وحرماته وأسراره من ناحية، وحق المجتمع الإسلامي في العقاب على كل من يخل بأمن المجتمع وسلامة أفراده في أعراضهم وأموالهم ودمائهم... ولما كان الأصل في الإنسان عصمة الدم والمال، وكانت الجريمة أمرا شاذا في المجتمع، لذا يجب على من يدعي أو يتهم الغير بجريمة ما أن يثبت دعواه بالأدلة اللازمة لإثبات الجريمة.. وقبل إثبات الدعوى يبقى الأمر مجرد اتهام قد يكون قويا إذا اقترنت به قرائن قوية وقد يكون ضعيفا إذا أحاطت به قرائن ضعيفة. وفي هذه المرحلة تثبت للمتهم حقوق، وهي: حفظ الكرامة، وحق الدفاع، وللفقهاء أقوال في مسألة الإكراه على الكلام، منها: وجوب إحاطة المتهم علما بالتهمة الموجهة إليه، والمحافظة على أسرار التحقيق، وعدم أخذ المتهم بالشك، والمساواة بين جميع المتهمين، وتعويض المتهم عن الأضرار التي تحيق به جراء الدعاوى الكاذبة، كما نصت الشريعة على ضوابط معاملة المتهم في القبض أو الحبس، وأصول حمايته ضد الإهانة أو الإيذاء. وهكذا.

عند وقوع الجريمة، يتفق مع قواعد الشريعة، سرعة تدخل سلطات التحقيق لضبط الجريمة وأدلتها والجناة وعرضهم على قضاء الحكم، وهذه من وظائف الشرطة والحسبة، قال تعالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (آل عمران: ١٠٤). وقال ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

وقال: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ۖ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ (آل عمران: ١١٤).

إن سلطات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تمثل إجراءات قسرية، وتلك طبيعتها، التي تتفق مع الشريعة، والتي تستوعب «الضبط في ظل الشرع» قال تعالى ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ (طه: ١١٢- ١١٣).

وقال عز وجل ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الأنبياء: ١٨). وعلى السلطات المختصة بالتحقيق الاحتياط في عدم تجاوز الشرع، واستخدام كل وسائل الكشف عن الحقيقة، بمراعاة أصول الإجراءات الجنائية في الشريعة، قال تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (الحجرات: ٦).

ومن أهم المسائل الشرعية التي تتصل بموضوع تقانة كشف الكذب، من منطلق أن الأخيرة، تلجأ إليها سلطات التحقيق المهيمنة والمشرفة على كافة الإجراءات القسرية مسألة «الإكراه على الكلام»... فما هو حكم الشريعة في هذه المسألة؟

اختلف فقهاء الشريعة في هذه

المسألة، والراجح والله أعلم عدم جواز الإكراه على الكلام(١) خلافا، لما ذهب إليه بعض فقهاء الحنفية(٢)، وابن تيمية وابن القيم(٣)، حيث أجازوا الإكراه على الكلام بشروط.

ذكر أكثر أهل العلم على الإطلاق، أن إكراه المتهم على الإقرار بما اتهم به لا يجوز، وإن حصل منه إقرار فلا يعتد به ولا يكون وسيلة من وسائل الإثبات، وحجتهم في الذي ذهبوا إليه ما يلي:

أن قوما من الكلاعين(٤) سرق لهم متاع فاتهموا أناسا من الحاكة فأتوا النعمان بن بشير فحبسهم أياما ثم خلى سبيلهم، فأتوا النعمان فقالو: خليت سبيلهم بغير ضرب ولا امتحان؟ فقال النعمان: إن شئتم أضربهم، فإن خرج متاعكم فذاك، وإلا أخذت من ظهوركم مثل ما أخذت من ظهورهم، فقالوا: هذا حكمك؟ فقال: هذا حكم الله وحكم رسوله.

قال عمر بن الخطاب(٥): ليس الرجل أمينا على نفسه إذا أجعته أو وثقته أو ضربته.

قال عراك بن مالك(٦): «أقبل رجلان من بني غفار حتى نزلا منزلا بضجنان من مياه المدينة وعندها ناسٌ من غَطفانَ معَهم ظهرٌ لهم فأصبحَ الغطفانيونَ قد أضلُّوا بعيرين من إبلهم فاتَّهموا الغفاريينَ فأقبلوا إلى رسولِ اللهِ ﷺ وذكروا أمرَهم فحبسَ أحدَ الغفاريينَ، وقال للآخرِ: اذهبْ فالتمسْ فلم يكنْ إلا يسرًا حتى جاءَ بهما فقال النبيُّ ﷺ: لأحدِ الغفاريينَ حسبْتُ أنَّهُ المحبوسُ، استغفرْ لي فقال: غفرَ اللهُ لك يا رسولَ اللهِ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: ولكَ وقتلَكَ في سبيلِهِ، قالَ فقُتِلَ يومَ اليمامةِ».

كشف الكذب

إضافة إلى ما ذكر حول الشك في النتائج العملية المتحصلة من إخضاع المتهم لجهاز كشف الكذب، يعد استخدام مثل هذه التقنية ماسا بالحرية الذهنية للمتهم، لما يثيره من «اضطراب انفعالي» يجعل تحكمه في انفعالاته النفسية غير خاضع تماما لإرادته الحرة. والأصل في الإنسان حرية الإرادة وحرية الاختيار، وغير مقبول استخدام أي وسيلة قسرية لإجباره على الكلام، وهذا ما نصت عليه الشريعة قبل أن يحيط بذلك فلاسفة القانون الوضعي، قال تعالى ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾(الشمس: ٧- ١٠).

للمتهم قول ما شاء وللسلطات التحقيق دون استخدام جهاز كشف الكذب

وقال: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾(الإنسان: ٢-٣).

وقال: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥ ﴾(الاسراء: ١٥).

فلا مساس بملكة الاختيار للإنسان، وهناك توجيه صارم في هذه المسألة بنص القرآن، قال تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٢٥ ﴾ (النحل: ١٢٥).

إن سبر غور أعماق الإنسان، هي محاولة مرفوضة، وتعد اعتداء على الحرية الشخصية، والشريعة قد وضعت لها كل الضمانات، ألم يقل ربنا في محكم تنزيله ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩ ﴾(الكهف: ٢٩).

فإذا كان للإنسان حريته في أن يؤمن أو يكفر، فإنه من باب أولى للمتهم أن يقول ما يشاء، وعلى سلطات التحقيق أن تستخدم وسائلها التخصصية، والتي ليس من ضمنها قطعا الوسائل سابرة الذهن البشري، المتخطية حدود مبدأ عدم التدخل في إرادة المتهم، الذي صاغته شريعة الحق بتحريم الإكراه كما نص على ذلك فقهاء الشريعة. من هنا يحظر شرعا استخدام تقنيات كشف الكذب، في مجال التحقيقات الجنائية، هذا والله أعلم.

وصدق ربنا حيث يقول ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٧٢ ﴾.

الهوامش

١- تكملة حاشية ابن عابدين ٨/ ١٠٧، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٣/ ٣٩٧، والمهذب ٢/ ٣٤٤، والمغني ٥/ ١٥١.

٢- حاشية ابن عابدين ٣/ ١٩٥.

٣- الطرق الحكمية/ ١٠٤ لابن القيم تحقيق محمد حامد فقي، دار الوطن.

٤ - سنن أبي داود رقم الحديث/ ٣٨٠٩.

٥ - مصنف ابن أبي شيبه ٩/ ٥٢٠ ومصنف عبدالرزاق ١٠/ ١٩٣.

٦ - مصنف عبدالرزاق ١٠/ ١٧/ ٢.

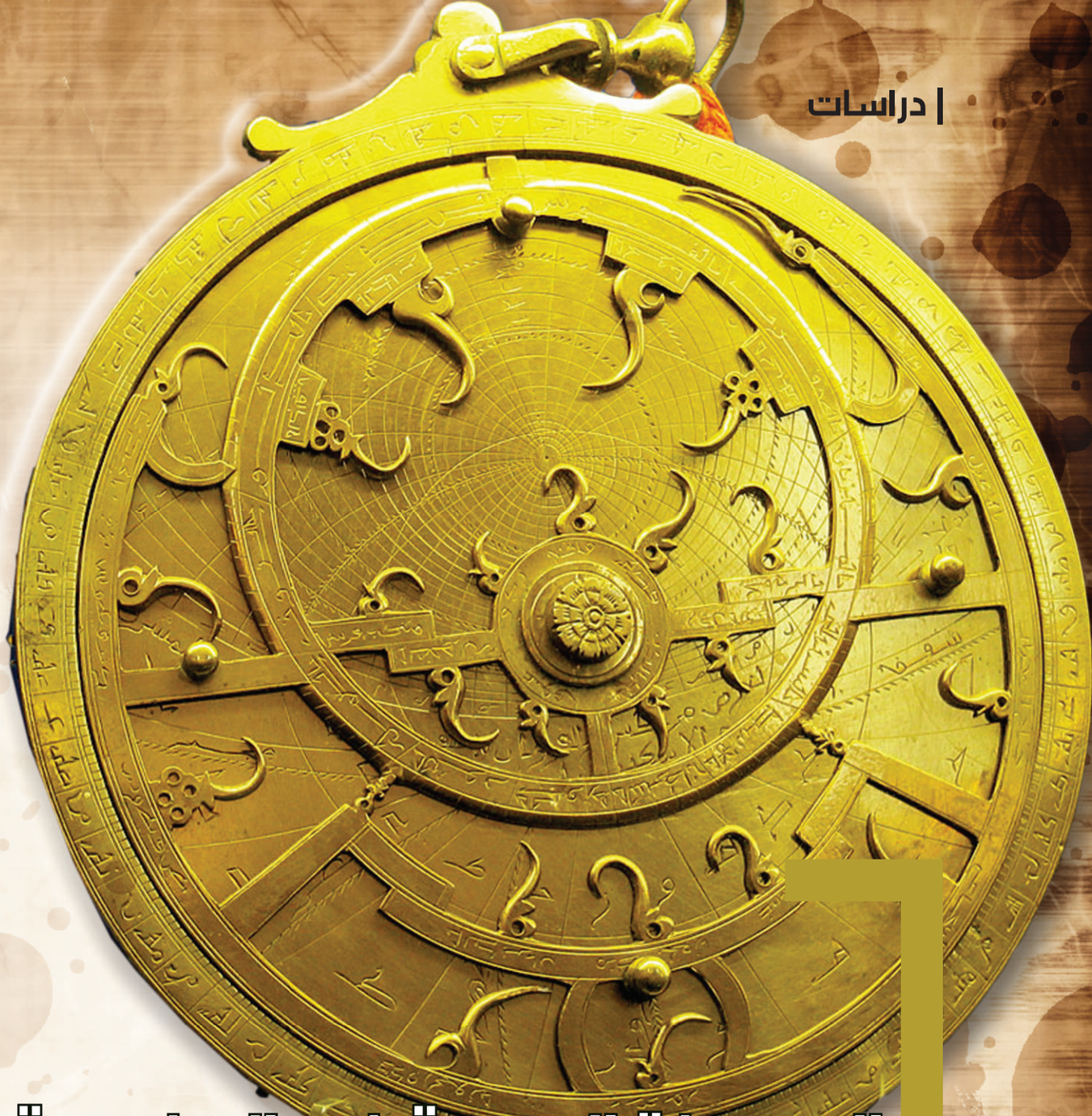

المعجزة العربية في الهندسة

مصطفى يعقوب
كبير باحثين بهيئة المساحة المصرية

من أشهر التعبيرات المتداولة في أدبيات تاريخ العلم «المعجزة اليونانية» التي يفاخر بها الغرب العالم كله شرقه وغربه، وأغلب الظن أن المراد بهذا التعبير هو ترسيخ مفهوم أن العلم غربي المنشأ غربي التطور، وأن العالم كله مدين للحضارة اليونانية بما ينعم به الآن من خيرات العلم، فهي ـ في رأي مؤرخي العلم من الغربيين ـ الحضارة الأم التي ولدت من رحمها سائر الحضارات، وأنها معلّمة العباد التي لم تخلق مثلها في البلاد، وغيرها من تلك التعبيرات التي تتجاوز حدود الفخر بالأجداد إلى آفاق التعصب العرقي والعنصرية.

غير أن لنا ملاحظات ثلاثا حول هذا التعبير:

الملاحظة الأولى: أن الحضارة اليونانية لم تستمر سوى بضعة قرون، بينما استمرت الحضارة المصرية القديمة بضعة آلاف من السنين، فأيهما أجدى بلقب المعجزة.

الملاحظة الثانية: أن المعجزة اليونانية قامت على الفلسفة والمنطق والهندسة، وهي الروافد الرئيسية لها دون أن يكون للعمل اليدوي أو التجارب العملية أدنى نصيب، فقد «عجز الإغريق عن السير في طريق التقدم بعلوم الكيمياء والطبيعة والميكانيكا، لأنهم لم يعيروا أعمال العبيد الفنية أدنى التفات»(١). حتى إن أرشميدس الذي اشتهر باختراعاته «لم يقدر مخترعاته العملية كثيرا، وكان يرى أن الأعمال الميكانيكية أو أي نوع من الفن النفعي، أعمال حقيرة وغير شريفة، وهذا نموذج للتفكير اليوناني»(٢).

الملاحظة الثالثة: إذا كان هناك معجزة ما بالفعل، فهي المعجزة العربية التي أجهد مؤرخو العلم ومن تبعهم من المستشرقين أنفسهم في إسدال ستار من النسيان عليها، واجتهدوا ما وسعهم الاجتهاد في الغض من شأنها، والادعاء . في صيغ شتى . بأن ما بلغته الحضارة العربية الإسلامية من علم إنما هو علم يوناني قد كتب باللغة العربية. ولهؤلاء نقول: هل من المعقول أن حضارة زاهية بكل المقاييس وهي الحضارة العربية الإسلامية التي وسع ملكها قارات العالم القديم من حدود الصين شرقا إلى الأندلس غربا، وامتد زمنها ما يقرب من ثمانية قرون، وهو زمن ليس بالقليل في عمر الحضارات، وفرضت لغتها على بلاد المشرق والمغرب، وهي أمور لم تتحقق في الحضارة اليونانية، فهل من المعقول أن حضارة كهذه تكون عالة على حضارة أقصر عمرا وأقل علما، مع تقديرنا البالغ لما أسداه للبشرية أساطين فلاسفة وعلماء اليونان؟. غير أن الواقع وحقائق التاريخ يقولان أن هناك معجزة عربية بالفعل، لم يتحدث عنها العرب، كما فعل الغرب حيال الحضارة اليونانية، بل تحدث عنها المنصفون من مؤرخي العلم من الأوروبيين أنفسهم.

ولعله من المفيد في هذا الشأن أن نقتطف بعض ما قاله سارتون G. Sarton مؤرخ العلم الشهير في فصل خاص ضمن فصول كتاب «الشرق الأدنى»: «غزا العرب دول البحر المتوسط ودخلوها منتصرين، وفجأة وجد هؤلاء البسطاء من أبناء الصحراء . الذين لم يعرفوا إلا لغة واحدة . أنفسهم وجها لوجه أمام حكم شعوب تختلف تقاليدها وأديانها ولغاتها عن تقاليدهم ودينهم ولغتهم، لذا أدركوا أن هؤلاء الأجانب الذين هُزِموا أمامهم من إغريق وفرس ومصريين وإسبان...الخ، يعرفون من أنواع الفنون ما لا يعرفونه هم أنفسهم، وهكذا احتاج العرب إلى معاونة هؤلاء وعلى أيدي الغرباء من إغريق وفرس وأقباط ومجوس وصابئة ويهود. ولم يمض وقت طويل حتى أدرك العرب أن ما لدى هذه الشعوب من امتياز ثقافي، يرجع في واقع الأمر إلى ما لديهم من علوم وفنون.

ومن هذه النقطة يبدأ ما يمكن أن نسميه بمعجزة العلم العربي. ومرة أخرى نستعمل كلمة «معجزة» لأن ما تحقق على أيدي العرب في ميدان العلوم لا يكاد يصدق، ولم يحدث قط في تاريخ الإنسانية أن تمكن قوم من العلوم هذا التمكن السريع إلا في حالة واحدة أخرى، هي ما حققه عصر موتسوهيتو Mutsuhito لليابان من علم وفن حديث، والحق أن بين هاتين الحالتين من النهضة الإنسانية شبها أساسيا.

لم تبدأ نشأة العلم العربي ونهضته التي لا تكاد تصدق، إلا في النصف الأخير من القرن الثاني للهجرة، وكان أعظم ما أحدثه العرب في الرياضيات والفلك وعلم الحساب الحديث وعلم حساب المثلثات، ومما يلفت النظر أن كلا من هذين العلمين قد بني على أساس من العلم الإغريقي والعلم السنسكريتي، كذلك اقترض العرب من الإغريق والهنود معارفهم في العلوم الطبية. ويقول خصوم الثقافة العربية إن تعدد جهات الاقتراض ليس خيرا من الاقتراض من جهة واحدة، فليس في أي الحالين ما يدل على ذاتية علمية. وهذا النوع من الجدل مغالطة صريحة، خاصة فيما يتعلق بعلوم الرياضيات، فلم يقف دور الرياضيين العرب عند نقل التراث الإغريقي أو السنسكريتي، ولكنهم جمعوا هذا إلى ذاك ولقّحوا التفكير الإغريقي بالتفكير الهندي، وإذا لم يسم مثل هذا العمل ابتكارا علميا، فليس هناك ابتكار في أي علم، فما الابتكار العلمي إلا نسج الخيوط المختلفة وربط بعضها ببعض، أما الابتكار من العدم فلا وجود له»(٣).

بين اليونان والعرب

تعدّ الهندسة واحدة من مفاخر اليونان وركنا أصيلا من أركان شهرتها، وقد حفظ لنا التاريخ أسماء لامعة في هذا المجال، مثل فيثاغورس وأبولونيوس وإقليدس، وغيرهم ممن حفلت بهم الحضارة اليونانية، وسطروا بحروف من نور أسماءهم في تاريخ العلم. تلك حقيقة من الحقائق التي لا يماري فيها أحد، فاليونانيون محقّون في تلك المفاخرة، ولكنهم

غير محقين في أن فخرهم هذا يأتي على حساب من سبقهم أو من لحقهم من الأمم. والحقيقة أن الرياضيات في الحضارة الإغريقية قد استمدت روافدها من الحضارة المصرية القديمة، وكذلك الحضارة البابلية التي ازدهرت في بلاد ما بين النهرين، باعتراف الكثير من مؤرخي العلم. وعلى سبيل المثال فإن إقليدس وهو درة التاج اليوناني في الهندسة قضى شطرا من حياته في مصر أسوة بالكثير من أساطين العلم اليوناني مثل أرشميدس الذي «أمضى بعض الوقت في مصر، فقد كانت الإسكندرية إذ ذاك مركز العالم العلمي»(٤). وكذلك أبولونيوس الذي «أرسل في وقت مبكر للدراسة في الإسكندرية»(٥). أما إقليدس فيقول عنه سارتون: «يعتبر إقليدس من أقدم رجال العلم وأعظمهم الذين ارتبطوا بالإسكندرية، إننا ندعوه بإقليدس السكندري لأن الإسكندرية هي المدينة الوحيدة التي يمكننا أن نربطه بها»(٦)، أي إن الحضارة المصرية القديمة قد ألقت بظلالها على مؤلفات اليونان في الهندسة، مع فارق جوهري وملموس، وهو أن الهندسة في الحضارة المصرية القديمة قد استخدمت في البناء والتشييد، فالأهرامات والمسلات والمعابد وحتى النقوش الجدارية تمثل النموذج الأمثل في تطبيقات النظريات الهندسية المختلفة، بينما كانت الهندسة في الحضارة اليونانية نوعا من الترف الذهني والرياضة العقلية المجردة التي غالبا ما تكون وليدة التأمل والتفكير، أسوة بالفلسفة والمنطق، وهما من الأمور التي اشتهرت بها الإغريق دون غيرهم من الأمم. وكعادة جمهرة كبيرة من المستشرقين ومؤرخي العلم في التقليل من شأن العرب في مجال العلوم نجد مؤرخا مثل كراوذر Krawther يقول: «ولم يحدث أي تقدم في الهندسة في الإسلام، وقد يكون هذا أهم تعليل لعدم تقدم الطبيعة»(٧). وأغلب الظن هنا أنه يقصد الهندسة التي جاءت على نهج إقليدس وفيثاغورس وأضرابهما من رياضيي اليونان والتي . بالطبع . يعتبرها أنها المثل الأعلى في علم الهندسة. وقد فند عدد من المستشرقين الذين اطلعوا على نتاج العرب العلمي في الرياضيات بوجه عام وفي الهندسة بوجه خاص ذلك الادعاء جملة وتفصيلا، وبيّنوا دور العلماء العرب في الارتقاء بالهندسة في شتى المناحي العملية.

يقول Sediolet: «وزُعِم أن العرب لم يصنعوا غير استنساخ مؤلفات اليونان، ولا يؤيد مثل هذا الزعم في الوقت الحاضر غير جاهل ضال، فالعرب قد أدخلوا التماس على الحساب واستبدلوا بالطرق القديمة حلولا أكثر بساطة حين وضعوا بضع قضايا تعد أساسا لعلم المثلثات في الوقت الحاضر»(٨). كما أن العرب قد طبقوا الجبر على الهندسة، فقد حلّت معادلات الدرجة الثالثة حلا هندسيا(٩). ويؤيده في هذا المستشرق جاك ريسلر J. Ressler في كتابه الحضارة العربية بقوله: «كان البيروني الذي أنشأ بحق حساب المثلثات الحديث، قد أحل محل التحليلات المربعة الزوايا لبطليموس، التحليلات المثلثة الزوايا وأدخل خطوط التماس، وأسس النسب الحسابية المثلثة الهامة في الشكل الذي نستخدمها اليوم، لذا يمكن أن نثق في مؤرخي العلوم الذين يثبتون أن العرب هم الذين كانوا أساتذة الرياضيات في عصر حضارتنا، لا اليونانيين»(١٠).

وللدلالة على أن الهندسة قد تحولت على أيدي العرب من مجرد نظريات هندسية مجردة إلى تطبيقات عملية مفيدة في شتى المجالات، فإن العلامة المحقق أحمد تيمور باشا يشرح لنا كيف تحولت الهندسة من مجرد خطوط ودوائر ومثلثات على الورق يدرسها طلاب المدارس الإعدادية والثانوية، إلى علم مفيد للبشرية حيث يقول: إن ما يزعمه من أعمت الشعوبية بصائرهم من قصور العرب في غير الشرعيات واللسانيات من العلوم، واستدلالهم على قصورهم في الهندسة باستعانة الوليد بن عبدالملك في أبنيته بصناع الروم لهو زعم لا نصيب له من الصحة، لأن العرب في صدر دولتهم كانوا قوما متبدّين، شغلهم الفتح عن الالتفات إلى وسائل التحضر، فما يروى عن استعانتهم بمعاصريهم في بعض الفنّيّات، لم يكن إلا عن تلك الحالة الملازمة بالضرورة لكل قوم حديثي الانتقال من البداوة، ولكنهم لمّا ألقوا عصا التسيار واطمأنت بهم الدار نشطوا للفتح الثاني؛ وهو الفتح العلمي، فأتوا في الفتحين على قصر المدة بما لم يسبق له في الأمم السالفة، وكان من ذلك أنهم ملكوا ناصية العلم كما ملكوا ناصية العالم، وأحدثوا لهم مدنية خاصة صبغوها بصبغتهم في كل مظهر من مظاهرها، فكان للهندسة من هذا الأثر تجليها في فرع البناء بذلك الطراز العربي البديع، وكآيات الصناعة المدهشة الباقية إلى اليوم في قصر الحمراء بغرناطة، وهو الذي شهد به الإفرنج أنفسهم، ونقوشه مبتدع على غير مثال سابق. كما حفظت لنا التواريخ طائفة صالحة من أعمالهم كشقّ الأنهار وبناء القناطر وإجراء الماء إلى المدن من المسافات الشاسعة. بل إن أهل بلنسية بالأندلس مازال معولهم إلى اليوم في أنهارهم على ما وضعه العرب من النظام المحكم لتوزيع الماء حتى قال بعض

منصفيهم: «لولا ما أقام لنا العرب من القناطر والجسور لمتنا وماتت أراضينا ظمأً»(١١).

ليس هذا فحسب، بل تبلغ العبقرية العربية أقصى مراتبها عندما تحيل تلك الأشكال الصماء الجرداء من خطوط ومثلثات ودوائر هي كما هو معروف بأنها أركان الهندسة الإغريقية، إلى لوحات فنية جميلة قد غزت العالم كله من شرقه إلى غربه، دالة على معجزة عربية تمثلت في تحويل علم هو أبعد ما يكون عن الفن والجمال إلى لوحات تتضح بالفن والجمال. فمن المصطلحات الأجنبية في لغات العالم الدالة على العربية، مصطلح «الأرابيسك» Arabesque، الذي يعني فن الزخرفة العربية، وهو مصطلح قد يبدو لأول وهلة أبعد ما يكون عن المصطلحات المنتمية لعلم الرياضيات والتي نحن بصدد الحديث عنها، بل هو أقرب ما يكون إلى المصطلحات الفنية.

وإذا تأملنا في حقيقة هذا المصطلح أي، الأرابيسك، سوف نجد أنه التطبيق العملي للمعطيات الهندسية من الخطوط والزوايا والأشكال الهندسية المختلفة، على الفن التشكيلي في لوحات زخرفية. يقول د.عمر فروخ: «ويلحق بالهندسة فن الزخرفة العربية الذي عرف حديثا في أوروبا باسم Arabesque. ويقوم هذا الفن على ترتيب هندسي متناسق لخطوط متداخلة متشابكة أو لأشكال هندسية مرسوم بعضها فوق بعض، «كالنجم المثمن مثلا فإنه يتألف من تقاطع مربعين» ولقد دفع العرب إلى ابتداع هذا الفن الزخرفي أن الصور والتماثيل محرمة في الإسلام في بعض الأقوال، ولذلك انصرفت عبقرية أسلافنا إلى هذا الضرب من الزخرف الجميل الذي أصبح فيما بعد فنا عظيما في الشرق والغرب معا»(١٢). وإذا كان لنا من تساؤل بهذا الشأن، فهل يمكننا أن نقول: إن العرب هم أول من أدخلوا الأشكال الهندسية المختلفة من مربعات ومثلثات وخطوط ودوائر، في لوحات الفنون التشكيلية كإطار هندسي في جماليات وزخرفة الفن التشكيلي؟.

وهذا التساؤل يقودنا - بطبيعة الحال - إلى سؤال على قدر كبير من الأهمية، نرجو من الباحثين في تاريخ الفن أن يلقى شيئا من عنايتهم، وهذا السؤال هو: هل يمكن القول بأن فن الزخرفة العربية «الأرابيسك» كان وحيا - مباشرا أو غير مباشر - لأصول ومعطيات المدرسة التكعيبية، تلك المدرسة الذائعة الصيت في عالم الفنون التشكيلية؟ أو أن المدرسة التكعيبية قد استلهمت بعضا من أصولها وموادها من فن الزخرفة العربية «الأرابيسك»؟

ولعل الدافع لمثل هذا التساؤل وهذا السؤال، أن المستشرقين على اختلاف مذاهبهم ومقاصدهم من الحضارة العربية الإسلامية قد لفت أنظارهم مدى التأثير الكبير الذي أحدثته الفنون الإسلامية والتي من بينها الأرابيسك - بطبيعة الحال - في الفنون الأوروبية على اختلاف مدارسها، وعلى سبيل المثال يقول بريجز M.S. Briggs في الفصل الخاص الذي كتبه عن العمارة الإسلامية، والذي جاء ضمن فصول كتاب «تراث الإسلام»: «واسم أرابيسك الذي يطلق على الموضوعات الزخرفية التقليدية التي كانت ترسم بارزة بروزا بسيطا في إنجلترا منذ عصر الملكة إليزابث، نقول إن هذا الاسم يدل على أننا مدينون بهذه الزخارف للعرب في القرون الوسطى»(١٣). وفي موضع آخر يقول: «ولاشك أيضا في أن الغرب مدين للمسلمين باستعمال الزخارف الهندسية. والواقع أن المسلمين كانوا مصدر كثير مما وصل إلى الغرب من علم الهندسة، أو كانوا على الأقل القنطرة التي وصل إلى الغرب عن طريقها كثير من هذا العلم»(١٤).

وإذا كان ما سبق يصب في الدلالة على عبقرية العرب في تحويل النظريات الهندسية الصماء إلى أعمال حيوية - إن صح التعبير - تهم الواقع الحياتي للبشر، فإن هناك أمرا ثالثا لم يتطرق إليه أحد رغم أهميته البالغة قد كشفت عنه مخطوطة منسية ضمن آلاف المخطوطات التي لم يكشف النطاق عنها بعد والقابعة في زوايا النسيان في حواضر ومكتبات الغرب. وهذه المخطوطة هي كتاب «ما يحتاج إليه الصانع في علم الهندسة» وهو من تأليف أبوالوفا البوزجاني (٣٢٨ - ٣٨٨هـ). وهذا الكتاب غير مسبوق أو ملحوق في بابه وموضوعه، إذ يتطرق إلى ما يمكن أن نسميه في لغتنا المعاصرة «الواجبات الوظيفية لمن يزاول مهنة الهندسة». وقد خلصت الدراسة التي أجريت على الكتاب إلى تناول مؤلفه الموضوعات التالية:

١ - أهمية الدربة بهدف الإحاطة بتطبيقات العلم.

٢ - أهمية معرفة الأساس النظري لحرفة ما للتميز بممارستها.

٣ - الحساسية المرهفة والأبدية بين المهندس والصانع والتي مازلنا نتلمس آثارها في العصر الحاضر.

٤ - أهمية معرفة تطبيق العلم على الصناعة والترابط الحيوي بين طرفي العلاقة.

٥ - ضرورة التزاوج بين الصناعة والهندسة، أي بين العلم التطبيقي والعلم النظري للترقي بنوعية المنتج(١٥).

ولعلنا لا نجاوز الصواب إن قلنا إن

ما جاء في هذا الكتاب الذي كُتب منذ ألف سنة أو تزيد يصلح لأن يكون دستورا دائما لمن يزاول مهنة من المهن.

شاهد من أهلها

ولأن تاريخ العلم لا يعدم من بين باحثيه باحثا منصفا، متجردا من الهوى والتعصب، فقد برز من بين هؤلاء الباحثين المنصفين الدكتور «دونالدهيلD. Hiell» المستشرق الإنجليزي الذي ألف كتابا مهما في تاريخ التقنية الخاص بالحضارة العربية الإسلامية فقط، بعنوان «العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية». يقول الدكتور أحمد فؤاد باشا مترجم الكتاب في معرض تقديمه له: «والكتاب الذي بين أيدينا شهادة إنصاف في حق الحضارة العربية الإسلامية، ودورها الرائد في تأسيس كثير من العلوم والتقنيات التي تجني البشرية ثمارها اليوم».

والدكتور دونالد هيل أول من نبه إلى ما أسماه «التقنية الإسلامية» بعد أن نشر الترجمة الإنجليزية الكاملة ـ مزودة بشروح وتعليقات ـ لكتاب ابن الرزاز الجزري الجامع بين العلم والعمل في عام ١٩٧٤ ثم أعقبه بعمل مماثل لـ «كتاب الحيل» لبني موسى في عام ١٩٧٩ وتعددت مؤلفاته ومقالاته المتخصصة بعد ذلك في «تراث الكيمياء العربية» و«الهندسة الميكانيكية العربية» و«الساعات المائية العربية» وغيرها...الخ(١٦).

ومن أوضح الشواهد التي تؤيد هذا الرأي كتاب «الجامع بين العلم والعمل» الذي ألفه عالم عربي مسلم شاء حظه أن يكون منسيا بين العلماء، فلم يكتب عنه أو يترجم له أحد. وهذا العالم هو «أبوالعز بن إسماعيل الرزاز الجزري» الذي عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري وحتى بداية القرن السابع الهجري.

وعن هذا الكتاب يقول الدكتور دونالد هيل: «ومن الأعمال بالغة الأهمية في الهندسة، على مدى العصور الثقافية قبل عصر النهضة الأوروبية، يبرز كتاب الآلات لابن الرزاز الجزري الذي أنجزه في سنة ١٢٠٦م والذي لا نعلم شيئا عن حياته عدا ما أخبرنا به في مقدمة هذا الكتاب. ويلخص الكتاب معظم المعارف المتراكمة عن الهندسة الميكانيكية حتى ذلك الوقت، مع تطويرات وإبداعات للجزري نفسه. وتكمن أهمية هذا الكتاب فيما تضمنه من وصف لآلات ومكونات وأفكار. وبالقدر نفسه من الأهمية تبدو حقيقة أن الجزري صنف كتابه مع إصرار على تمكين الصناع من بعده من إعادة تركيب آلاته، حيث قدم وصفا دقيقا لكل من الخمسين آلة يتضمن صناعتها وتركيبها، والأجزاء المكونة لها، وزودنا بثروة من المعلومات المتعلقة بطرق ومناهج المهندسين الميكانيكيين في العالم الإسلامي. وقد وزعت محتويات الكتاب على ستة موضوعات هي: الساعات ـ الأوعية البارعة ـ أوعية استطراق السوائل وأدوات قياس الفصد ـ النافورات وآلات موسيقية ذاتية التحكم ـ آلات رفع المياه ـ آلات متنوعة...الخ (١٧).

خاتمة

لعل مثال الهندسة يبيّن جانبا من جوانب المعجزة العربية، فالعرب لم تكن لهم أدنى معرفة بالهندسة، خلافا للطب أو الجغرافيا أو الفلك وغيرها من العلوم التي تشترك فيها الأمم بدرجات متفاوتة حسب الحاجة إليها. ولم يلبث هؤلاء القوم الذين خرجوا من رحم البداوة، بعد أن ترجمت كتب الهندسة اليونانية التي لا تعدو عن كونها نظريات وتمارين رياضية، مكانها مقاعد الدراسة في المرحلة الإعدادية والثانوية، أن أحالوا تلك النظريات الصماء إلى علم مفيد للبشرية من حيث التطبيقات العملية النافعة، والتي مازال العالم ينعم بخيراتها إلى الآن دون أن يدري من أصولها العربية شيئا.

الهوامش

١- صلة العلم بالمجتمع، ج.ج. كراوذر، ترجمة حسن خطاب، ص٦٥.
٢ ـ تاريخ العلم، جورج سارتون، ترجمة لفيف من الأساتذة، ج٤، ص١٣٧.
٣ ـ الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته، ت. كويلرينج، ترجمة د.عبدالرحمن محمد أيوب، ص١٢٤.
٤ ـ تاريخ العلم، مصدر سابق، ج٤، ص١٣٨.
٥ ـ المصدر السابق، ص١٦٠.
٦ ـ المصدر السابق، ص٨٢.
٧ ـ صلة العلم بالمجتمع، مصدر سابق، ص ١٧٣.
٨ ـ تاريخ العرب العام ل. أ. سيديو، ترجمة عادل زعيتر، ص٣٦٠.
٩ ـ المصدر السابق، ص٣٦١.
١٠ ـ الحضارة العربية، جاك ريسلر، ترجمة غنيم عبدون، ص١٧٥.
١١ ـ أعلام المهندسين في الإسلام، أحمد تيمور باشا، ص١٠.
١٢ ـ عبقرية العرب في العلم والفلسفة، د.عمر فروخ، ص٧٩.
١٣ ـ تراث الإسلام، مجموعة مؤلفين، ترجمة د.زكي محمد حسن، ج٢ ص١٥٤.
١٤ ـ المصدر السابق، ص١٥٩.
١٥ ـ كتابان نادران في الرياضيات التطبيقية، د.مصطفى موالدي، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٤٨، الجزآن ١ و٢، نوفمبر ٢٠٠٤، ص١٤٥.
١٦ ـ العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، دونالد هيل، ترجمة د.أحمد فؤاد باشا، ص٩.
١٧ ـ المصدر السابق، ص ١٦٦.

د. صالح النهام
دكتوراه في الشريعة الإسلامية

لا ريب أن من مقاصد الشريعة الإسلامية مراعاة مصالح العباد، ومن تلك المصالح: الحاجة إلى تسهيل المعاملات بين الناس، من خلال إبراء ذمة المحتاج من حق الغريم، أو استيفاء حقه من مدين له، لاسيما إذا كان الغريم في بلد والمحال إليه في بلد آخر، وقد يكون نقل المال غير ميسر؛ وذلك إما لمشقة حمله، أو لبعد المسافة، أو لكون الطريق غير آمن، ولهذا شرع المولى- جل وعلا- عقد الحوالة، الذي يعد من عقود التوثيقات أو التأمينات التي يكون الغرض منها تأمين الدائن على دينه قبل المدين؛ ومثله عقد الكفالة وعقد الرهن.

الوقفة الأولى: التعريف بالعقد

العقد لغة(١): الجمع بين الشيئين والربط بينهما، حسيًا كان هذا الربط أو معنويًا، كقولك: (عقدت الحبل، وعقدت العقد)، ومن هذا المعنى قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ (المائدة: ١).

العقد اصطلاحًا(٢): لقد اختلف الفقهاء في تعريف العقد على اتجاهين:

الاتجاه الأول: قال المالكية والشافعية والحنابلة: إن العقد يطلق على التصرف الذي يتم بإرادتين، كالبيع والوكالة والإجارة ونحو ذلك، وأما التصرف الذي يتم بالإرادة المنفردة فإنه لا يسمى عقدًا عندهم.. وإنما يسمى تصرفًا أو التزاما، وذلك كالوصية والطلاق.

الاتجاه الثاني: يرى الحنفية أن العقد يطلق على كل تصرف يترتب عليه حكم شرعي، سواء تم بإرادتين أو بإرادة واحدة.

الوقفة الثانية: التعريف بالحوالة

الحوالة لغةً(٣): هي بفتح الحاء وكسرها، والفتح أفصح، وهي التحول والانتقال، يقال: حول الشيء من مكانه، أي: نقله منه إلى مكان آخر، وحول وجهه: لفته إلى جهة أُخرى.

وقيل: هي النقل، ومنه التحويل، وهو نقل الشيء من محل إلى محل.

الحوالة اصطلاحًا(٤): هي نقل الدين من ذمة إلى ذمة أُخرى تبرأ بها الأولى بمثله.

وقيل: هي نقل الدين من ذمة المحيل إلى ذمة المحال عليه مع المطالبة؛ وقيل: نقل المطالبة فقط، وكما قيل: إن المكفول لا يبرأ وإنما تضاف الذمم إلى بعضها، ومن هنا كان تعريف الحوالة: ضم ذمة إلى ذمة أخرى.

الوقفة الثالثة: أركان الحوالة

وقبل أن أبين تلك الأركان، إليك المقدمات التالية:

الركن: هو ما يتوقف الشيء على وجوده، وهو داخل في ماهيته.

الشرط: هو ما يتوقف وجود الشيء عليه، وهو خارج عن ماهيته.

كلمة حكم تطلق على ثلاثة معان:

المعنى الأول: حكم الشيء، أي: من ناحية الواجب والمندوب.. إلخ، كأن يكون الحكم فرضًا أو غيره.

المعنى الثاني: الحكم، كالصحة والفساد، بمعنى وصف الأداء.

المعنى الثالث: ويطلق الحكم أيضًا ويراد به الثواب عند الله تعالى، بمعنى الأثر الأخروي للأداء.

وكلمة حكم الحوالة: بمعنى الآثار المترتبة عليها.

أما أركان الحوالة فهي أربعة(٥): مع العلم أن هذه التسمية قال بها الجمهور، بينما هي عند الحنفية شروط أو عناصر.

١) المحيل: وهو المدين، وقيل: غالبًا ما يكون مدينًا.

٢) المحال: وهو الدائن، أو المحتال.

٣) المحال عليه: وهو الذي قبل نقل الدين من ذمة المحيل إلى ذمة المحال، وهو المليء الغني.

٤) الصيغة: وهي المحال به، وكذلك هي الإيجاب والقبول.

ففي حال وجود الدين نكون نقلنا حق المطالبة من ذمة المحيل إلى ذمة المحال عليه دون الدين، وفي حال عدم وجود الدين؛ فهنا يكون حق نقل المطالبة فقط من ذمة المحيل إلى ذمة المحال عليه، ثم يرجع المحال عليه على المحيل، وهنا يستوجب رضا المحال عليه عند الشافعية كالحنفية.

الوقفة الرابعة: شروط الحوالة

١- أن يكون المحيل والمحال عليه جائزي التصرف.

٢- أن يكون المحال عليه مدينًا للمحيل.

٣- أن يكون الدين المحال عليه قد حلّ.

٤- أن يكون الدين المحال مساويًا للمحال عليه في المقدار والجنس والصفة.

٥- الإيجاب والقبول بين المحيل والمحال حسب العرف.

الوقفة الخامسة: شروط المحيل

- البلوغ، أما الصبي فله حالتان: الأولى: إن كان غير مميز -وهو ما دون الست سنوات- فتصرفاته ملغية، والثانية: إن كان مميزًا فله ثلاثة تصرفات: (تصرف سليم يقبل- تصرف ضار مرفوض- تصرف بين الاثنين موقوف على الإجازة).

- العقل، وضده الجنون.

- رضا المحيل، وضده الإكراه؛ لأن الحوالة لا تصح بالإكراه. والإكراه يكون إما: بإزهاق روح أو تهديد بحبس أو بقطع عضو، وأن يكون المكره أهلًا لهذا التهديد.

وما ليس بشرط:

١- الحرية؛ لجواز حوالة العبد، مأذونًا كان أو محجورًا أي غير مأذون له؛ لأن العبد لا يملك الكفالة؛ لأنها تبرع، ولذلك لا تصح الأجرة على الكفالة؛ لأنها ربا، وهذا عند جمهور الفقهاء.

٢- الصحة؛ وهي تنافي مرض الموت؛ لأن المحيل لا يكون متبرعًا، وحينئذ تصح حوالة المريض.

الوقفة السادسة: دليل مشروعية عقد الحوالة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «مطل الغني ظلم وإذا أُتبع أحدكم على مليء فليتبع» (رواه البخاري ومسلم).

ورواية لأحمد: «ومن أُحيل على مليء فليحتل» (رواه أحمد).

والإجماع منعقد على مشروعية الحوالة(٦).

الوقفة السابعة: المعنى العام للحديث

دل هذا الحديث على أنه إذا أُحيل أحدكم بحقه أو بماله على غني فليحتل عليه وليطالبه بحقه، فإن ذلك تعاون بين الناس بالمعروف

وتيسير في أداء الحقوق؛ لقوله جل شأنه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة:٢)، ولقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ (البقرة:١٧٨).

الوقفة الثامنة: مفردات الحديث

١) مَطْلُ الغني: والمَطْلُ لغةً هو: المد، يقال: مطلت الحديدة مطلًا، أي: مددتها وطولتها، وكل ممدود فهو ممطول، ومنه مَطَلَهُ بدينه إذا سوّفه بوعد الوفاء مرة بعد أخرى وامتنع عن أدائه لصاحبه، ومطل الغني من إضافة المصدر إلى الفاعل، أي: مَطَلَ الغنيُ غريمه، ويجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به، أي: مَطَلَ الغريمَ الغنيُ.

٢) المليء: هو الغني الذي يملك مالًا، أما المليُ بدون همزة فكالغني لفظًا ومعنىً.

وقيل: إن حدود الملاءة: الاستطاعة بدفع الدين، وعند قبول الوصي الحوالة يشترط ألا يقبل الحوالة؛ حتى يكون المحال عليه أغنى من المحيل.

٣) التبيع: هو الذي يتبعك بحق ويطالبك به، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ (الإسراء: ٦٩)، أي: تابعًا ومطالبًا يطالبنا بأن نصرف عنكم العذاب.

الوقفة التاسعة: الأحكام التي تؤخذ من الحديث(٧)

أولًا: دل الحديث على تحريم المطل من الغني، والمراد به هنا: تأخير ما استُحق أداؤه بغير عذر من قادر على الأداء، فيجب عليه الوفاء بالدين ولو كان مستحقه غنيًا، فلا يكون غناه سببًا لتأخير حقه، وإذا كان ذلك في حق الغني ففي حق الفقير أولى، والمطل كبيرة يفسق صاحبه بعد الطلب؛ لأن المطل لا يكون إلا بعد الطلب، ويشمل المطل كل من لزمه حق ولو كان الحق للزوجة.

ثانيًا: دل الأمر في الحديث على وجوب قبول الحوالة؛ لأنه أمر، والأمر يُحْمَلُ على ظاهره وهو الوجوب، وهذا قول بعض الفقهاء.

أما قول الجمهور: فالأمر للندب وليس للوجوب؛ لأن أهل الملاءة والغنى قد يكون فيهم المطل بالحقوق، وهو ضرر لا يأمر الشارع بتحمله، بل بالتباعد عنه واجتنابه.

وقال بعض العلماء: يسن قبول الحوالة إذا كان المليء مُقِرّا باذلا، ولا شبهة في ماله، فقبول الحوالة على الإباحة.

وقال بعض آخر من العلماء: يحرم قبول الحوالة إذا كان المليء ماله حرام، أو فيه شبهة.

ثالثًا: مطل العاجز عن أداء الحق لا يدخل في الظلم، ولا يسمى مماطلًا، وكذلك الغائب عن ماله كالمعدوم، فلا يطالب حتى يوسر..

وقال الشافعي: لو جازت مؤاخذته لكان ظالمًا، والغرض أنه ليس بظالم.

رابعًا: إذا تم عقد الحوالة صحيحًا برأت ذمة المحيل من المطالبة بالدين، ولا يرجع المحال على المحيل بالدين الذي عنده، وإن أفلس المحال عليه بعد الإحالة، أو جحد الحق الذي عليه، أو مات، وهذا ما ذهب إليه الجمهور: إلا إذا شرط المحال على المحيل غنى المحال عليه، فإن ظهر أن المحال عليه مفلس، رجع على المحيل عند الجمهور؛ لأنه قبل الحوالة بشرط أن المحال عليه مليء، فبان بعد الحوالة مفلسًا، لقول رسول الله ﷺ «المسلمون على شروطهم» (رواه أبوداود والترمذي).

وقال أبو حنيفة: تبطل الحوالة في حالين ويرجع المحال على المحيل بدينه: إذا مات المحال عليه مفلسًا بلا مال يستوفى منه ولا كفيل، كما تبطل بإجحاد المال المحال عليه ولا بينة، وتوجهت إليه اليمين فحلف، إذ لا وسيلة إلى إلزامه حينئذ بأداء الدين، وبهذا تصير الحوالة كأنها لم تكن، وتعتبر باطلة.

والراجح ما ذهب إليه الجمهور: من أن الحق متى انتقل إلى المحال عليه ورضي المحال (صاحب الدين) ولم يشترط اليسار للمحال عليه، لم يعد الحق إلى المحيل أبدًا، سواء أمكن استيفاؤه، أو تعذر لمطل، أو فلس، أو موت، أو غير ذلك؛ لما روي أن حزنًا جد سعيد بن المسيب كان له على علي رضي الله عنه دين فأحاله به، فمات المحال عليه فأخبره- أي أخبر عليًا بموته- فقال علي رضي الله عنه: «اخترت علينا أبعدك الله»(٨)، وفي هذا الأثر بيان على أنه قبل الحوالة، ولم يشترط الرجوع.

خامسًا: وهذا الحديث دليل على مشروعية الحوالة، وأنها ليست مستثناة من بيع الدين بالدين، ولا هي قياس على الضمان، والوكالة، والنيابة.. وإنما هي بهذا الحديث مستقلة للدليل على جوازها.

هوامش

١- انظر: المصباح المنير، مختار الصحاح.

٢- انظر: تفصيل ذلك في كتاب نظرية العقد في الفقه الإسلامي: (ص:٣-٤) للأستاذ الدكتور: محمود محمد حسن، ط٢: (١٤١٤هـ-١٩٩٤م).

٣- انظر: المصباح المنير، مختار الصحاح.

٤- انظر: البدائع: (١٧/٦)، مغني المحتاج:(١٩٣/٢)، شرح منتهى الإرادات: (٤١٦/١).

٥- ومنهم من جعل الأركان خمسة حيث أضاف: المحال به: وهو دين المحال على المحال عليه. انظر: فتح القدير:(٤٥٥/٥)، الخرشي على خليل: (٢٣٣/٤)، مغني المحتاج: (١٥/٢)، الفروع:(٤٦/٢).

٦- انظر: مطالب أولي النهى:(٣٢٤/٣).

٧- انظر: البدائع:(١٧/٦)، بداية المجتهد: (٣٠٠/٢)، مغني المحتاج: (١٩٣/٢)، شرح منتهى الإرادات: (٤١٦/١).

٨- انظر: العناية على الهداية:(٤٧٧/٥)، المجموع شرح المهذب: (٤٣٦/١٣)، المغني على الشرح الكبير: (٦١/٧)، المحلّى: (١٠٩/٥).

القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (١٦)

عبدالله أيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

قبل أن تقف هذه الحلقة اللغوية على الأرض الصلبة المكينة التي تهدي السالكين إلى كل مرشدة، لابد من تذكير المُخَضْرِبِينَ من أمتنا العربية، أن وظيفة الفصحى والفصيحة في مجتمعاتنا العربية- ولاسيما بعد ما عاينته في إمارة دبي خلال المؤتمر الدولي للغة العربية، شهر مايو ٢٠١٣م - ووضعها الاقتصادي والعلمي والاجتماعي والسياسي والرمزي؛ يؤكد بما لا يدع رسيسا من الريب أن أزماتنا الوجودية يرجع بعضها إلى إخفاقنا في إنتاج الوجود اللغوي العربي المعافى، فانتشرت نار اللحن وجيوش ألفاظ اللغات الأجنبية في هشيم الفصحى، انتشارا لم تتمكن جل المحاولات التصحيحية التي تسمع هنا وهناك من إخماد لهيبها المستعر شرقا وغربا. وعلى الرغم من إدراكي أن الاستقرار والسلم اللغوي في مجتمعات المعرفة، وما تقذف به التقنيات المعاصرة عبر الشابكة من معارف، أضحى من المقولات التي تُعدُّ أعزَّ منْ بَيْضِ الأَنُوق، لأن الاستقرار الشامل لا ينعم به في عصرنا الحاضر إلا الموتى في مقابرهم، على الرغم من الانتباه لهذه الحقيقة، فإن ما يقترف من شائنات في جسد العربية يدعو أولي العزم من هذه الأمة إلى تدبير تخطيط لغوي متوازن؛ يؤسس لحلول اجتهادية تضع الهناء مواضع النقب، ويركز على الفعل الإنجازي الدقيق الذي يطيح بالأوراق الميتة من شجرة الفصحى، ويبقي على العناصر التي تضمن لها نضارتها

وجناها، لكي لا نعيد الإخفاقات ذاتها التي تجعل أصواتنا وكتاباتنا بلا أثر في محو هذا الليل الأليل؛ الذي ترك لغتنا العربية الجميلة على مقرف الصَّمْغَة، مكتفية ببسط ما تبقى لها من سلطان آخذ في الضمور والانحسار- مع كرور الملوان - على المنابر والزوايا والأضرحة وبعض منتقرات الأدب. وهل هناك ما هو أجدى وأنفع للأمة العربية من تربية ناشئتها على مشروع لغوي عربي صميم، يضاهي في دقته خطط المركبات الفضائية العالمية؟!

الخطة البزلاء التي تعصمنا من أن نركب الفرس السُّكَيْتَ في حلبة السباق العلمي والتقني العالميَّيْن، تبدأ بالإلحاح على العلم بلغة العرب، ونقل ذلك العلم إلى الشداة بأيسر الطرق التي تجعل الفصحى محيطة بكل موجودات الحياة المعاصرة إحاطة السوار بالمعصم، بما يحقق التصوير الدقيق الذي يضمن الانغماس في الأجواء الحياتية بكل تفاصيلها وتعقيداتها العلمية والمعرفية. فكل غياب عن زيادة تقوية فرص الفصحى والفصيحة لِعَوْرَبَة الحياة العربية الخاصة والعامة، يدفع المواكب العربية إلى البحث عن إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية والعلمية في شوب العاميات وأمشاج اللغات الأجنبية، الذي يفضي إلى استصغار أمر العربية. هذا هو الدرس المقدم الذي يجعلنا نحقق قَوْمَةً عربية تستفيد من تجارب الأمم المتقدمة التي جعلت إتقان لغتها واجب الوجود، من خلال السعي إلى تطوير وتحديث طرائق تعلمها، وضبط أدوات قياس درجات التحكم في الكفايات التواصلية والمعرفية والوجدانية والمنهجية الضرورية لبلوغ شأوها المُغَرَّب؛ الذي يوصلنا إلى الولاء الخالص للفصحى، ويفرض على السلطات العربية الحاكمة إعلان قرار سياسي صادق يقوي النسق العربي المبين على باقي الأنساق اللغوية المتغولة على العربية.

هذا هو التدبير الاجتهادي الذي يعمق البحث في اللغة الفصحى، ويبرز طاقاتها، ويجعلها آخذة من العلم بالسبب الأقوى، فيبتعد عنها قالة السوء، وشياطين الدفاع عن العاميات واللغات الأجنبية. لا يَتَصَعَّدُنا أن نتواصل بالفصحى ويفهم بعضنا بعضا، ونصنع بها المعارف والمهارات الضرورية لبلوغ آفق المراتب، ونفهم بها القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة والشعر العربي البليغ، من دون أن نَقْفُوَ معرفة كل ما قالته العرب من عُقْمِيٍّ الكلام الغريب الوحشي المرتبط بصفات الإبل والدواهي والفيافي، وما أوثر عنهم من غرائب الصيغ والأبنية والألفاظ البالية كأنها الأزل الذي لا يتبدل. أما العَلَقُ النفيس من الألفاظ التي تحدث بها القرآن العظيم مثل: الثبَّة والعِزَةُ واللبَّدَةُ أي: الجماعة من الناس، والبَحيرة والسائبة والوصيلة والحَامُ أي: الأنعام، والضِّغْث والأبُّ والمِنسَاة والغَوْلُ وغيرها مما يرهق ذكره، فهي جواهر يجب أن تكون فكرة إحيائها فكرة أمة، قبل أن تكون فكرة بعض الفضلاء الآحاد. وعلى الرغم من أن مناحي التعبير عن المعنى الواحد في العربية واسع النطاق، فإن جريرة الجهل دفعت المعاصرين إلى قول كل ما يعرض لهم على شاكلة هذه العبارة التي تنكبت سبيل الهداية إلى المراد، حيث قصد قائلها الإخبار بأن الغيث قد نزل بأرضهم البارحة قائلا: «أمْطِرَتْ بلدتنا البارحة» إن أبلغ الأمور في جبر نقيصة هذه العبارة، التي يبدو فيها صوت الجهل بالفروق اللغوية أقوى من صوت المعرفة بها، تتمثل في الدعوة إلى مراعاة الحسِّ اللغوي الذي حَرَصَ عليه القرآن الكريم عندما عدَّد التنويعات اللغوية بالنسبة إلى ألفاظ رَيِّ الأرض، مشيرا إلى أن الماء المنزل من السماء إذا كان للخير فهو «الغيث أو الطل أو الوابل أوالصَّيِّب»، أما إذا كان للشر فقد عبر عن ذلك بلفظة «أمطر»، تماما كما هو الشأن بالنسبة إلى لفظة «الخلْف» بسكون اللام التي يراد بها «الفاسد» و «الخَلَف» بفتح اللام التي يقصد بها «الصالح»، كما استعمل القرآن لفظ «تَحَسَّس» لمطلق البحث عن الأخبار، و«تجسَّس» للبحث عن الأخبار السيئة، واستعمل لفظ «الشوْب» لمطلق الخلط في الأشياء، و«الشيْب» للخلط في الشعر بين البياض والسواد. وغيرها من الألفاظ طويلة الذيل قليلة النيل، مثل «الكسْف» بسكون السين للعذاب، و«الكِسَف» بفتح السين لقطع السحاب. ناهيك عن بعض العبارات المستفرهة التي تخلب الأذهان مثل: «جُعِلوا أحاديث» التي تعني: «نُكِّل بهم» و«سُقِط في يَدِه» أي «ندم» و«فُزِّعَ عن قلوبهم» أي ذهب عنهم الفزع، و«أولى» للتهديد والوعيد. قال الشاعر زهير بن أبي سلمى:

أوْلَى لَكُمْ ثُمَّ أوْلَى أنْ تُصيبَكُمُ
مِنِّي نَوَاقِرُ لا تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ

و«السارب» للماضي في حاجته في النهار خاصة. قال ابن فارس: «للعرب كلام بألفاظ، تختص به معان لا يجوز نقلها إلى غيرها، يكون في الخير والشر، والحسن والقبح وغيره، وفي الليل والنهار، وغير ذلك»[1] ومن ذلك قولهم «التتايع» أي التهافت في الشر، ومنه قول الرسول ﷺ: «ما حَمَلَكُمْ على أنْ تَتَتَايَعُوا في الكذب كما يَتَتَايَعُ الفراش في النار».

تلك لفتة شائعة شيوع النور في الفضاء، وذلك شأو لم تحلق فيه أجنحة المتكلمين المعاصرين الذين ألفوا الركون إلى الشائع الذائع من العبارات المخسولة الشائنة. والحق أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي هي المصادر التي بَذرتْ بَذْرَة هذا الطراز التعبيري، ثم جاء أبَيِّناء الكلام العربي فأظهروا تلك الألفاظ والعبارات في حُلل مُنَشَّرة، تدعونا أن نَعُدَّ جهود تلك المصادر مرايا تجعلنا ممن يرى أطايب الكلام فيتبعون أحسنه.

الهوامش

١ ـ الصاحبي. أبوالحسن أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق السيد أحمد صقر. ص ٤٤٦. دار إحياء الكتب العربية.

الأديب جابر قميحة (رحمه الله) اسم إسلامي بارز في عوالم الشعر، وتدريس الأدب، والكتابة الصحفية، والقانون والشريعة... ويمثل واحدا من أهم الأصوات الأدبية والنقدية المنتمية للتصور الإسلامي للكون والحياة، فهو أديب ناقد وأكاديمي متحيز لموقف، متعاطف مع تصور نبيل، منتصر لمبادئ الفكرة الإسلامية فيما يصدر من إبداع.

رؤية جابر قميحة في الأدب الإسلامي

محمد عباس عرابي
باحث دراسات إسلامية

لقد كان يرحمه الله دمث الخلق، علاوة على التزامه بقواعد وأصول القصيدة العربية الخليلية، وعلى الرغم من ذلك فلم يكن منغلقا، بل كان منفتحا على الثقافات الأخرى، ينتقي منها ما يتناسب وروح الإسلام، كما أن شهرته وصلت عددا كبيرا من البلاد العربية والإسلامية، حيث برز في مجالات المعاجم والترجمات والنقد، كما كان شاعرا مبرزا وكاتبا مسرحيا مميزا.. وقد تنوع إنتاجه ما بين الشعر والمسرح والنقد والدراسات الدينية والاجتماعية، وله الكثير من المؤلفات والكتب في المجال الأدبي، فمن مؤلفاته: منهج العقاد في التراجم الأدبية، أدب الخلفاء الراشدين، التقليدية والدرامية في مقامات الحريري، أدب الرسائل في صدر الإسلام، الشاعر الفلسطيني الشهيد عبدالرحيم محمود، التراث الإنساني في شعر أمل دنقل، صوت الإسلام في شعر حافظ إبراهيم، الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف، رواية وليمة لأعشاب البحر في ميزان الإسلام والعقل والأدب، كما أن له عددا من الدواوين الشعرية التي أثرت في أجيال كثيرة من الشعراء والأدباء.

إنه من الأقلام القليلة التي نستمتع بالقراءة لها، ونتعلم منها، تماما كما نتحاور معها أو نسمعها، فالقارئ لمؤلفاته يلمس في كتاباته وكذلك في حواراته سلامة اللغة، وروعة البيان، وجمال الأسلوب، والروح المرحة الساخرة، والذهن الحاضر الوقاد، والبديهة السريعة.

> **قدم الأدب الذي يتبنى نظرية الشعر الإرسالي**

وجابر قميحة الناقد، يجمع بين الأصالة والمعاصرة، وربما كان لدراسته في دار العلوم دور في ذلك؛ حيث لم تنجرف أدواته النقدية إلى ما انجرف إليه نقاد كبار من إغراق في المعميات النقدية التي تجعل القارئ ينفر من النقد والأدب معا.

والدكتور جابر من النقاد المعدودين الذين اهتموا بتقديم شباب المبدعين لجمهور القراء، وتناول أعمالا إبداعية متميزة لهؤلاء الشباب، منها ما فاز بجوائز إبداعية كبيرة، كجائزة البابطين، وذلك مؤشر على مدى حساسية الذائقة النقدية للدكتور جابر في اكتشاف المواهب وتقديمها.

والدكتور جابر قميحة الكاتب المثقف يتميز في طريقته عن كثير من أقرانه ممن يهتمون بالشأن العام، فهو يكتب في القضايا الحياتية بوصفه خبيرا بمجتمعه، يشعر بمعاناة الناس حوله، كل ذلك بأسلوب الأديب المبدع، فيصبح المقال الاجتماعي أو السياسي ثريا بالاستشهادات الشعرية، والطرائف الأدبية ذات المغزى الرمزي؛ ما يجذب القارئ مهما اختلف مستواه الفكري أو المعرفي.

والتوثيق من الميزات التي تقف أمامها معجبا بقدرة الدكتور جابر، على الرغم من بُعد العهد بالمصادر التي يوثق منها؛ كونها صحفا يومية أو أسبوعية.. فروح الباحث العلمي لم تغب عنه في مقالاته العميقة أو الخفيفة؛ حيث كثيرا ما يستدعي نصوصا من مجلات وصحف مرت عليها سنوات، حتى إن أصحاب الكلام أنفسهم ربما لا يتذكرونه، ونجد الدكتور جابر يستدعي نصوصا من الماضي؛ ليضعها جنبا إلى جنب مع الحاضر، فتظهر المقارنة تصريحات زائفة لمسؤول من الثقلاء، أو وعودا

وهمية لكبير من الكبراء، أو كذبا صراحا لكاتب من الأجراء... إلخ. ويعد جابر قميحة (رحمه الله) واحدا من كبار الأكاديميين الذين كتبوا في الأدب من منظور إسلامي، كما أنه صاحب نظرية كاملة في «الشعر الرسالي»، فقد قدم الأدب الذي يتبنى رسالة إنسانية راقية، والدكتور جابر (رحمه الله) شاعر، له إبداع متميز، حمل لواء الدفاع عن قضايا الأمة الإسلامية، شعره يدعو إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق، وينتصر للمظلومين والمضطهدين، إنه شاعر للدعوة الإسلامية، وهب حياته لمبادئه، ويمثل قلمه خط دفاع متقدم، يحرس به ما يعتقده من أفكار.. فهو يستحق عن جدارة لقب شاعر الدعوة.

تقول عنه الشاعرة نوال مهني: الراحل الكبير كان من الكتاب والأدباء المشهود لهم بالأصالة والغيرة على الإسلام واللغة العربية وآدابها، وكان له جهد مشكور في تنمية وتطوير رابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة، خاصة في بداية نشاطاتها وتكوينها، وكانت له مساهماته الفعالة وحضور المؤتمرات ومساعدته للشباب ممن يلجأون لمشورته فيما يكتبون.

الأديب جابر قميحة قارئا

كان الأديب والكاتب جابر قميحة (رحمه الله) موسوعة دينية وعلمية وأدبية وشعرية كاملة، نعم ولم لا! فقد عشق القراءة والكتب، يؤكد ذلك قوله:إنني بحمد الله نشأت محبا للعلم، مريضا بالقراءة، حتى إنني كنت وأنا في المرحلة الابتدائية أجلس إلى والدي . وكان أميا. أقرأ عليه بعض قصص ألف ليلة وليلة. وكان والدي يشفق علي من كثرة انشغالي بالقراءة والكتب، فكان أحيانا ينزع مني الكتاب ويأمرني بالنوم حتى لا أجهد عيني في القراءة، وأستجيب له ظاهريا، وبعد أن أشعر بأنه استغرق في النوم أستأنف القراءة والاطلاع.

ومما يدل على حبه للقراءة أن مكتبته تضم عشرات الآلاف من الكتب

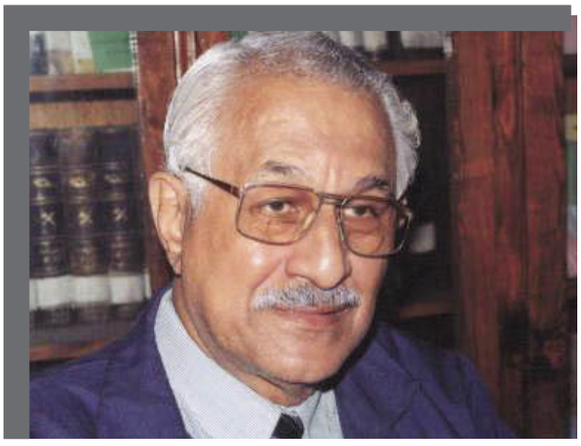

والدوريات، حتى أصبحت مكتبته تشغل نصف مساحة الشقة التي يقيم فيها، وزحفت الكتب إلى حجرة النوم، وإلى حجرة الصالون. وكان دائما يقول: أنا لو فارقت الدنيا إلى العالم الآخر فلن أحزن إلا على كتبي التي لم أترك في أبنائي من يحسن قراءتها؛ لأن كل تخصصاتهم علمية بعيدة عن نوعية ما أقرأ.

وكانت له قدرة عجيبة على حفظ أماكن الكتب، وعلى سبيل المثال يطلب كتابا معينا، قائلا: «أحضروا لي من الرف العلوي كتاب كذا، وهو رقم ٣ في هذا الرف». أي إنه يرسم في ذهنه خريطة لآلاف الكتب وأماكنها.

ولحبه للقراءة فقد أصبح القلم هو سلاحه الحاسم الذي ينتصر به للحق، والكلمة الحرة في مقالاته وشعره وكتبه. وكثيرا ما كان يتمثل بالتراثيات في تجذير أفكاره وتأكيدها، كقول ابن المعتز في حديث له عن القلم: «القلم مجهز لجيوش الكلام ، يخدم الإرادة ولا يمل استزادة، يسكت واقفا، وينطق سائرا، على أرض بياضها مظلم، وسوادها مضيء...» ويقصد ابن المعتز بالأرض ذات البياض المظلم: الصفحات البيضاء التي تخلو من علم يخطه القلم، فلا يحمل بياضها إلا ظلام الجهل، أما السواد المضيء، فهو سواد الحبر، تصوغه الأقلام على بياض الصفحات علوما وحقائق، تنير الطريق، وتغذي العقول والأرواح، وتنهض بالأفراد والأمم.

ومن عجب أن يأتي المفكر الغربي الشهير: ول. ديورانت فيردد فكرة ابن المعتز فيقول «إن شمس الحضارة لا تشرق إلا من سواد الأوراق».

وقد قال الشاعر أبوالفتح البستي:

إذا أقسم الأبطال يوما بسيفهم
وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب عزا ورفعة
مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

ويقول رحمه الله: لي طريقة في القراءة قد تبدو غريبة عند الآخرين، وأنا أسميها «طريقة الحكم على الذات»، بمعنى أنني إذا سمعت من يقول: «إن الكتاب الفلاني صعب الفهم» تحديت الكتاب وأصررت على قراءته وفهمه. ولا أنسى أنه وقع في يدي مجلد كبير لإسماعيل مظهر بعنوان: «نظرية النشوء والارتقاء وأثرها في الفكر الحديث». حكمت على نفسي بضرورة قراءته، وقرأته.

ويقول رحمه الله: قد يكون اتجاهي إلى القراءة والكتابة عن العقاد أنني على سبيل التحدي الذاتي . وأنا أسمعهم يقولون . إن العقاد معقد، فدفعني ذلك إلى قراءة عبقرياته وكل ما كتب. كل ذلك وأنا طالب في المرحلة الثانوية. كما أنني أقرأ بطريقة «الوحدة الموضوعية» بمعنى أن أقرأ كل ما كتب عن أبي العلاء المعري، ثم أوحد القراءة عن المتنبي فأقرأ كل ما كتب عنه. وفيما يلي محاولة لإلقاء الضوء على آراء جابر قميحة في الأدب الإسلامي واللغة العربية.

أولا: رأي جابر قميحة في الأدب الإسلامي

لجابر قميحة (رحمه الله) رأي في الأدب الإسلامي، فقد سئل (رحمه الله) هل تعتقد أن الأدب الإسلامي غادر محطة التعريف بنفسه؟ إذ يلاحظ في كل حوار أو حديث مع أحد أقطابه أن هذا الحوار لا يخلو من تعريف للأدب الإسلامي وكأنه شيء مستحدث وطارئ في حياة العرب والمسلمين؟

فقال: نحن - الكتاب الإسلاميين - حاولنا ونحاول أن نتقدم بمجموعات شعرية ونثرية ومسرحية نجحت الرابطة في إبرازها للعالم، في ندوات

ومطبوعات، وأذكر في هذا السياق أنها طبعت لي ديوان «حديث عصري لأبي أيوب الأنصاري».

هناك أدب ملتزم وذو قيمة يصدر بلغات مثل الأردية والفارسية والسواحلية في إفريقية، وأصحابه يظنون أنهم مظلومون، وأن العرب المسلمين لا يتحمسون لإبداعاتهم.. وسئل كيف يمكن معالجة ذلك وأنت المهتم بقضايا الأدب الإسلامي؟

فأجاب:

المعالجة تتلخص في محاولة الانتصار لهذه الآداب، فهي مظلومة فعلا، وأذكر في هذا السياق أدب محمد إقبال.

فوسائل إعلامنا قوية الذاكرة أمام أعياد ميلاد الفنانين، والفنانات، أو ذكرى وفاتهم ووفاتهن. وأشهد كذلك أنها مصابة بالغفلة والتغافل، وبالنسيان والتناسي، وأكاد أقول بالشلل التام تجاه المناسبات المتعلقة بالعظماء الحقيقيين من مصريين وعرب ومسلمين

ومن مظاهر الحول - بل العور وأكاد أقول العمى - أن عيوننا وهوانا وكل حواسنا مفتوحة على الغرب؛ فالعرب والمسلمون منفتحون في أفكارهم على أمثال: غاندي، وأنديرا غاندي، ونهرو، وطاغور، ولكن عيون العرب والمسلمين لا ترى وجودا لشاعر عالمي مسلم اسمه محمد إقبال، وبهذه المناسبة أذكر الحكاية اللطيفة الآتية، وخلاصتها: أن مدرس اللغة العربية بإحدى مدارس البنات كتب على السبورة البيتين الآتيين:

إذا الإيمان ضاع فلا أمـــان

ولا دنيا لمن لم يحي دينا

ومن رضي الحياة بغير ديـــن

فقد جعل الفناء لها قرينا

وذكر أن القائل هو إقبال وأخذ يسأل التلميذات بعض الأسئلة:

س: من تعرف شيئا عن إقبال؟

فكان جواب إحدى التلميذات: أنا يا أستاذ، «أبلة إقبال التي كانت تدرس لنا من عدة سنوات»، ولا عجب في ذلك.. على مستوى الجامعات والصحف والإعلام.. لقد عاش إقبال مظلوما حتى عند من تناولوه بالكتابة، خصوصا شعره، فشوهوه وأساءوا إليه، فأحد الأساتذة الكبار الذين ترجموا شعره كان حريصا على أمرين هما:

أن تكون الترجمة بالشعر الموزون المقفى، الحرص التام على المضمون الفكري.

ثانيا: رأي جابر قميحة في اللغة العربية

يقول (رحمه الله) - في أسى - إن اللغة العربية حاليا في حالة انحدار وانهيار، والمظاهر الدالة على ذلك كثيرة جدا، نكتفي منها بالقليل دون الكثير:

فما أكثر المواقف التي تعرضت اللغة العربية فيها للإيذاء، بل للحرب الضروس، من جهات متعددة، وشخصيات لها فعاليتها على مستوى الدولة والمؤسسات والعالم: منهم مستشرقون، ومنهم مصريون . أو إن شئت فقل: متمصرون . منهم من يدعو إلى اتخاذ العامية لغة كتابة، ومنهم من يدعو إلى إلغاء النحو، ومنهم من يدعو إلى إلغاء نون النسوة، ومنهم من يدعو إلى تسكين أواخر الكلمات... الخ.

ومن أشد عوامل الإضرار بالعربية والإساءة إليها وسائل الإعلام المصرية، خصوصا التلفاز، وهو تكية التليفزيين، والتليفيزيات.

وقد كتبنا كثيرا عن لغة «أهل التليفزيون» المصري بقنواته الفضائية والمحلية... الحكومية والخاصة، وما تزخر به من أخطاء نحوية وأسلوبية، وما يتميز به بعضهم من «عيوب» في النطق ذاته: فلانة يسميها الجمهور «المدفع الرشاش»، وأخرى عندها قدرة سبك الحروف والكلمات كلها في نفخة متواصلة بلا تفريق بين مخارج الحروف، وثالثة ألغت الصاد والقاف والطاء والثاء والذال والضاد والظاء من معجم العربية. فكلمات مثل: «صدقني - القيادة - الطرب - الثقوب - الذمة - الضمير - يظهر» تتحول بجهل جاهل أو جاهلة إلى: «سدأني - الكيادة - الترب - السكوب - الزمة - الدمير - يزهر».

ورأيت واحدا منهم يقرأ من ورقة «... ومن أبطال هذه المعركة عمرو فارس زيد... وكان عنده سيف اسمه: «الصمصا أمة» والصحيح أنه عمرو ابن معديكرب فارس زبيد - وزبيد قبيلته اليمنية التي ينتسب إليها. واسم سيفه «الصمْصامة».

ومن مظاهر الانهيار -وهو مظهر مؤسف جدا- إلغاء همزة الوصل، وتحويلها إلى همزة قطع. على النحو التالي: «وقد - استغرق - ألإجتماع - ألحزبي - ألموسع- في - ألقاهرة...» مع أن النطق الصحيح «وقد استغرق الاجتماع الحزبي الموسع في القاهرة...».

وتشبه همزة الوصل الحرف الصامت في الإنجليزية، كما نرى في الفعل (Know) - أي (يعرف) فحرف- K- لا ينطق.

هذا بعض من «بدايات النحو» يجهله التلفازيون والتلفازيات، قصدت أن أقدمه لأقول: ابدءوا يا هؤلاء من الصفر بدلا من تضييع الوقت في التظرف المرفوض، وحشر الأجساد في «الجنز» الخانق.

كيف يمكن للغة أن تصبح عنصرا للنهضة أو التخلف؟

إن اللغة هي هوية الأمة، فلا شخصية لأمة لا تعتز بلغتها، خصوصا إذا كانت لغة شريفة مثل اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم. وأحيلك إلى كتاب «شمس الله تشرق على الغرب» لزغريد هونكه، الذي تحدثت فيه عن عظمة اللغة العربية، وكيف أنها واكبت النهضة العلمية والاجتماعية في الأندلس بصفة خاصة. رحم الله الأديب جابر قميحة جزاء ما قدم للأمة في مجال الأدب واللغة.

الكريم

مياسة النخلاني
قاصة يمنية

«سيدي أطفالي يموتون من الجوع.. أرجوك.. ساعدني لأجد عملا، سأعمل ما تريد، سأعمل أربعا وعشرين ساعة متواصلة، فقط ساعدني أرجوك» قالها متوسلا وهو يتشبث بنافذة السيارة الفارهة بيدين مرتعشتين «هؤلاء الـ... لماذا يتزوجون وينجبون الأطفال وهم عاجزون عن تحمل مسؤوليتهم» رددها في أعماقه وهو يشير للسائق أن يصرف الرجل بعيدا ويعطيه أي شيء، وقبل أن تنطلق السيارة مجددا رمق الفقيرَ بطرف عينه ، بينما انشغل الأخير بتفحص العملة المعدنية التي وضعت في راحة يده بنظرات شاردة.

«وصلنا يا سيدي»

قالها السائق وهو يفتح باب السيارة.. وغير بعيد كان شيخ الحي بانتظاره بابتسامة عريضة، وبعد أن رحب به الترحاب الذي يليق بقدره، أشار بيده نحو أرض واسعة وهو يقول: «هذه الأرض التي سنبني عليها المسجد يا سيدي» تطلع السيد نحو قطعة الأرض الكبيرة التي أشار إليها شيخ المنطقة وهو يهز رأسه بإعجاب.

«تبدو جيدة، أريده أن يكون جامعا مثاليا، يتحدث عنه الكبير والصغير»

«حاضر» «لا تنس أن تضع على مدخله لافتة كبيرة باسم عائلتي، أريدها أن توضع بشكل بارز يقرأها كل من يمر بجانب الجامع» «لك ما تريد» أوشك على المغادرة قبل أن يتوقف فجأة.

«ما ذاك؟!»

قالها وهو يشير نحو كوخ من الصفيح بني بمحاذاة سور الأرض من الداخل

«هذا يا سيدي...»

ابتلع الشيخ ريقه وهو يمسح حبات العرق التي بردت على جبينه بمنديله قبل أن يكمل بصوت متقطع:

«رجل فقير من الحي طرده مالك البيت هو وأمه المريضة، لعدم قدرته على دفع الإيجار، فاستأذن مني بالبقاء هناك ريثما يجد سكنا آخر»

«وماذا إن اكتمل بناء الجامع ولم يجد سكنا بعد!» «إنه رجل فقير وأمه تمـ...»

قاطعه بصوت صارم: «عليك أن تتصرف حالا، فأنا لم أدفع كل ذلك المال لأبني ملجأ لكل من يتهرب من دفع الإيجار.. إن سمحت له فبعد أيام أو شهور ستمتلئ باحة المسجد بأمثاله» «سأطلب منه أن يبحث له عن مكان آخر»

«الليلة!»

«حسنا الليلة»

حدق في كوخ الصفيح باشمئزاز وغادر وهو يتمتم ببعض الشتائم.

اللغة العربية صورة لقيمة الأمة

سالم بن عميران
أديب وباحث يمني

اللغة أداة للتفكير، وصلة بين الإنسان والفكر والعلم والأدب؛ إذ تتكون الأفكار في عقل الإنسان فيعبر عنها باللغة، ثم يتوصل في تفكيره إلى مرحلة الإبداع، فهي الوجه الآخر للتفكير، لذلك يقول «فنك»: «لا يجب أن ننظر إلى اللغات إلا بوصفها آثارًا معبرة عن عقل الشعوب، ولكي نقوم بدراسة دقيقة ينبغي ألا نبدأ باللغة التي ليست إلا نتيجة، بل من العقل الذي يخلق اللغة»(١).

ولما كانت اللغة العربية لغة أمة ذات رسالة وحضارة استطاعت أن تقوم بوظيفتها في سائر الميادين العلمية والطبية، ولما انهارت الأمة بعد العصور الذهبية انحط كذلك قدر اللغة في نفوس الأعداء والخصوم، وأصبح القصور الفكري، وضعف الشخصية الاجتماعية هو مسألة المسائل، وصارت اللغة العربية سجينة نطاق ضيق في استعمالها الأدبي والفقهي والتاريخي، وفي بعض العلوم كالحساب البسيط والنجوم... وهلم جرا، وهذا يثبت أن قيمة اللغة وقدرتها أو فعاليتها كقيمة الأمة ومسيرتها سواء بسواء(٢)، فقيمة اللغة صورة لقيمة الأمة، وحياة اللغة تابعة لوعي الفكر في المجتمع، ومواتها نتيجة لموت الأمة.

واللغة العربية تقدمت في أنواع المعرفة، وانتشرت في العالم الشرقي والغربي، خاصة في ميدان العلوم والتجارة حتى إنها خلفت لنا تراثًا لغويًا عظيمًا (٣)، وهناك شواهد تاريخية كثيرة تدل على ذلك منها: ما ذكره د.برنارد لويس «إنه بعد أن استعاد المسيحيون سيادتهم على إسبانيا ظلت العلوم العربية مزدهرة مدة من الزمن، وكان من الملوك المسيحيين من يتكلم العربية، ويؤازر علماء العرب، وكان المسيحيون الذين يتكلمون العربية من أهل إسبانيا يتمتعون بنفوذ قوي»(٤). وذكر أيضًا أن «أولاد» وهو أول علماء الغرب الذين قاموا بنشر الثقافة العربية في الغرب قال: «أنا سأدافع عن مذهب العرب ولست أعبر عن رأيي الشخصي»، وهو يصر على تفوق الطريقة العربية، وترجم عددًا من المؤلفات العربية في علم الفلك والعلوم الرياضية، وبذلك وسع نمو هذه العلوم في أوروبا(٥).

وفطن «جورج الثاني» ملك انجلترا والسويد والنرويج عندما بعث إلى خليفة المسلمين في الأندلس «هشام الثالث» بعثة من فتيات الأشراف الإنجليزيات ليتعلمن العربية في بلاطه، وكان الهدف من وراء تعلم هذه اللغة هو اقتباس نماذج من الرقي العظيم في العلم والصناعات، ولنشر أنواع من العلم في بلادهم التي قال ملكها: «إن الجهل كان يحيط بها من أركانها الأربعة»(٦) .

وقد أورد د.غوستاف لوبون، في كتابه «حضارة العرب» عددا من الألفاظ التي أخذها الغرب في عصر تخلفه عن اللغة العربية، يقول: «ومن الطبيعي أن تقتبس فرنسة وإيطالية من العرب الذين كانوا سادة البحر المتوسط منذ القرن الثامن من الميلاد أكثر الاصطلاحات البحرية، مثل: Exadre -Amir -Boussole (البوصلة) التي عُزي أمرها إلى أهل الصين على غير حق، وأن تقتبس جيوشهما- أي فرنسا وإيطاليا- ألقاب ضباط جيوش المسلمين، وتعابير وغى الحرب، واستعمال بارود المدافع والقنابل والحراقات والقذائف، وأن تأخذ عن حكومة بغداد وقرطبة التعابير الإدارية مثل: ((Cyadic Aides))، وأن يقلد ملوك الأسرة الثالثة الفرنسية العرب فيأخذوا عنهم معظم اصطلاحات العلوم التي اقتبسناها من العرب، فعلم الفلك عندنا مملوء بالتعابير العربية مثل: (Azimuts) و(Nadir)، وبالاصطلاحات العربية لأجزاء الاسطرلاب مثل: (Alancabuth) و(Alidocle)، وبأسماء الكواكب مثل: (Aldebaran) و(Rigel)، وقل مثل ذلك عن الرياضيات حيث أخذنا عن العرب الاصطلاحات مثل: (Chiffres) و(Zero) و(Algeber)، وعن الكيمياء حيث أخذنا عن العرب الاصطلاحات (Alchimie) و(Alcool)، وعن التاريخ الطبيعي والطب حيث أخذنا عنهم الاصطلاحات مثل: (Bol) و(Elixir) و(Sirops)، واللغة العربية غنية جدّا، وزاد غناها بما أضيف إليها دائمًا من التعابير الجديدة التي تسربت من اللهجات التي اتصلت بها»(٧).

وعندما وصلت الأمة العربية إلى أقصى درجات التخلف انحط مستوى لغتهم وانحسر مجال استعمالها، وإذا أردنا- فعلا- التقدم واللحاق بركب الأمم المتقدمة فعلينا التمسك بهذه اللغة وهي التي تعد روحًا ووعاءً للحضارة، واللغة العربية قد أغنت العالم بالعلوم والمعارف، وأثبتت قدرتها على الانتشار والتوسع والاستيعاب والتواصل.

الهوامش

١- د. جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، «سلسلة عالم المعرفة» الكويت، ١٤١٠هـ- ص١٥٨.

٢- انظر: د.المهدي بن عبود، «ارتسامات حول اللغة العربية وفعاليتها في الحقل العلمي»، مجلة دعوة الحق (الرباط: العدد الثالث: ١٣٨٤- ١٩٦٥م)- ص٣٤- ٣٥.

٣- انظر: المرجع نفسه، ص٣٣.

٤- د.برنارد لويس، تاريخ اهتمام الانجليز بالعلوم العربية، ط٢، ص ٤.

٥- ينظر: المرجع نفسه: ص ٤ -٥.

٦- ينظر: د.محمد أمين توفيق، «اللغة العربية مسموعة ومرئية»، مجلة الأدب الإسلامي- عدد ١٤ شوال- ذو القعدة- ذو الحجة ١٤١٧هـ، ص٦٤- ٦٥.

٧- د.غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، بيروت: مطبعة البابي الحلبي، ص٤٤١- ٤٤٢، وانظر أيضًا كتاب «شمس العرب تسطع على الغرب» للمستشرقة زيغريد هونكة، ذكرت فيه ألفاظًا كثيرة أخذها الغرب من اللغة العربية.

حدث ذات صباح في حافلة

محمد ثابت توفيق
باحث مصري

تحركت الحافلة بالفعل بينما يد الأم التي هبطت في زحام العشرات بدون ابنتها تحاول الإمساك بباب الخروج، أما الطفلة الصغيرة فكانت ما تزال تمد قدمًا في حركة وهمية للأمام، إذ إن تحرك الحافلة البطيء يخيفها، وسط اندفاع من الهابطين الذين لم يستطيعوا التحرك في الوقت المناسب، والصاعدين الذين يريدون تعويض مجزوء الثواني الذي فاتهم في حركة السائق السريعة بالتوقف في المحطة ثم العدول عنها.

مشاعر الألم كانت بادية بوضوح تزيح البراءة الطبيعية عن وجه الصغيرة، فيما قد غلب الصراخ وعدم القدرة المتزايدة على الأم.. تملكها العجز.. فكل ثانية تؤذن بأن يأخذ السائق أهبته الكاملة، رويدًا رويدًا، ثانية بعد أخرى، وربما أسرع حتى تتحقق له السرعة القصوى للحافلة، وهذا يتوقف على سرعة انزياح السيارات من أمامه، وهنا ستصير الابنة التي لا يتعدى عمرها الخمس سنوات بعيدة تمامًا عن عالم الأم، وفي مدينة كبرى مثل القاهرة تصبح مفقودة تمامًا، وكم من صغار تاهوا للأبد عن أهاليهم بمثل هذه الطريقة.. من رحمة الله أن بعض السيارات كانت بطيئة في المحطة التي تراجع السائق عن التوقف الكامل فيها كما تقتضي

قواعد السلامة، إذ كانت الإشارة الضوئية مغلقة ثم فتحت..

قدرتُ الموقف وتألمتُ بشدة لحال أم تكاد ابنتها تقفز فيما الحافلة تمضي، ومَنْ حولها غافل عنها، وإن لم أفهم معنى صرخات الأم بكلمات أقرب للهجة العامية المختلطة بلغة أجنبية خاصة بالمنطقة الجغرافية التي تقطن فيها من وطننا العربي، وهي للأسف غير مفهومة تمامًا في بلدي، إذ صار جزء الأمة الذي أسكنه بلدًا منفصلًا عن جزء الأمة الذي تسكنه هذه السيدة الملتاعة الخائفة من فقد قرة عينها، إذ كانت بلدي وبلدها بلدًا واحدًا حتى أقل من قرن واحد فحسب؛ وفيما كانت الدموع تأخذ مجراها الطبيعي للهبوط من عيني الصغيرة.. بدأت الأم تشير بيدها للسائق كي يتمهل غير مقدرة أنه لم يكن ليراها، خاصة أنه على الطرف المقابل تمامًا من حيث تهرول، ولو كان له أن يراها في غير هذا الظرف لما رآها الآن للزحام الشديد من الركاب والسيارات، أخذت السيدة تجري أكثر وتشير وتفغر فاها ناظرة إلينا في استنفار ضد السائق الذي ربما خيل إليها أنه يتعمد ما يفعل معها.

خطر على بالي حل سريع.. أمسك بالصغيرة من معصمها تمهيدًا لحملها على يدي ثم الهبوط بها لأمها، فأصوات من انتبهوا من الركاب لم تصل- للآن- للسائق الذي يريد تجنب جزء من الزحام، بل الاختناق الصباحي للعاصمة، ولا يهمه في المنتصف- ما بين تأخره وما بين الطريق وآلاف السيارات- إهدار مشاعر مثل هذه الأم، أو الحالات الخاصة التي لا تكفيها خمس ثوان، بالكاد، من التوقف لدى كل محطة.. لينزل من ينزل، ويركب من يركب، في فوضى ما تزيد إلا من اختناق من بالداخل من الحافلة العامة، وشعور الواحد منا بالانسحاق ما بين طوفان الآلات المحيطة به في كل مكان.

ما كدت أمسك بمعصم الصغيرة أجذبها لأحملها.. فيما يدي الأخرى تتحسس طريقها لشيء بارز من باب الحافلة.. أقبض عليه لأهبط بها منهيًا هذه المأساة، فمازالت سرعة الحافلة لم تتجاوز حد الخطورة مع من اعتاد الركوب فيها، وإن كانت تتزايد بسرعة.. وفيما لسعت يدي دموع الصغيرة، قدرت أنها لا تتجاوز ست سنوات بحال من الأحول، ولمستُ حقيبتها المدرسية تتطوح خلف ظهرها، فوجئت بالأم، وفي قوة جبارة وهبها إياها الشعور بالخطر الشديد، فوجئت بها- وقد لحقت بالحافلة- تضرب يدي في قسوة.. فيما كان صوتها قد تحول للصراخ تمامًا.

تذكرتُ أني تعودت على رؤيتهما معًا كل صباح، فقد اعتدت ركوب هذه الحافلة متجهًا لعملي، لأن ميعادها مناسب له، ولأن مكان إقامتي، فيما يبدو، كان الأبعد عن مكان السيدة السمراء اللون، فكان من الطبيعي أن تهل الحافلة عليهما فيما أكون فيها.. حيث أصعد إليها من قبلهما.

ومع الأيام صارت ألفة بيني وبين الصغيرة.. ألفة من ذلك النوع الذي يخلقه التعود بيننا وبين الآخرين، حتى صرت أنتظر ركوبهما، لأفسح لهما مكانًا مناسبًا أو أترك مكاني بالكلية لهما ليجلسا، ولكن لم يخْفَ عليّ أن الأم كانت تنظر لهذه الأمور التافهة في توجس، ويومًا بعد يوم كانت إن رأتني تقبض على يد الصغيرة أكثر فيما ترتعش يداها، وكنت ألاقي هذا بهدوء مستشعرًا افتقاد، أو نواة افتقاد الأمان التي تجعل من المقيمين بأي من طرفي الأوطان في أمتنا اليوم غرباء إن زار بعضهم بعضًا، والعالم الواقعي يختلف تمامًا عن أمنياتنا على الورق، وعالم الأفكار والرؤى الصحيحة لا تجد لها متنفسًا لتنفذ، من أسف شديد.. كنت أقابل قلق الأم بالاندفاع في اتجاه غير اتجاهها واتجاه ابنتها كل مرة.

تركت الصغيرة في حرص كما كانت، فيما ازدادت دموعها انحدارًا خلته التهابًا، وتعجبت من فعل الأم ومن طوفان الصراخ الهستيري الذي بدأ يصدر من فمها، حتى إنني فهمت أنها تتهمنا جميعًا بالاستيلاء على الصغيرة، فيما كنتُ مثلها أحاول البحث لها عن مخرج.

نجحتُ في جذب ابنتها بشدة في اللحظة التي بدأ السائق فيها يتمهل في مؤشر على أن صوت الركاب المتنامي- برجاء التوقف لثوان- قد وصل لمسامعه فاستجاب.

لم تنتظر الأم توقف الحافلة تمامًا، وكانت توقفت بالفعل بعد ثوان معدودة، ولم أدرِ كيف فهمت المرأة الأمر.. لأنها باختصار شديد جذبت ابنتها بقوة من ذراعها فسقطت على الأرض، وفيما خيط من الدماء يسيل من فم الصغيرة كانت الحافلة قابعة في الزحام لا تتحرك.. سادّةً نهر الطريق من خلفها بالكلية.. والأم مندفعة في مزيد من الصراخ الأكثر من هستيري الذي يشي بأنها قد صارت خارج مدار العقل، بل بدا واضحًا أنها تسبنا جميعًا.

حينها فهمت تمامًا أننا نفتقد أحيانًا الأمان ومشاعر السلام ما بيننا كأبناء لغة ودين وثقافة، بل وجه متقارب المعالم.

صورة المسلمين في رحلة الجاسوس برترندون دي لابروكييه

د. عمرو عبدالعزيز منير
باحث أكاديمي

رغم أن المشروع الصليبي على الأرض العربية قد فشل بسقوط عكا سنة ١٢٩١م؛ فإن إعادة الاستيلاء على المنطقة ظل سرابًا يجذب الأوربيين تجاهه كل حين، وتجلت هذه الحقيقة في تلك المشروعات والخطط الكثيرة التي قدمها أصحابها من السفراء، والمغامرين، ورجال الكنيسة الكاثوليكية إلى أصحاب القرار من الكنسيين والعلمانيين في أوروبا الغربية، وتلك الرحلات الكثيرة التي تدفقت على المنطقة العربية على مدى القرون التالية، والتي كان عدد كبير منها بقصد التجسس ومعرفة مواطن الضعف، وكيفية تحقيق أهداف المشروعات الصليبية الاستيطانية المتأخرة، ولتبدأ مرحلة جديدة من مراحل تطور «الآخر» في وجدان الأوروبيين بشكل عام، حملت الكثير من مظاهر العداء والكراهية ضد الإسلام والمسلمين.

وتمثل رحلة الفارس «برترندون دي لابروكييه» إلى بلاد الشام (١٤٣٢ - ١٤٣٣م) مثالا لرحلات التجسس التي مولها دوق برجنديا فليب الطيب (١٤١٩ - ١٤٦٧م)، تمهيدًا للقيام بحملة صليبية جديدة لتحقيق أعز أمانيه في استرجاع الأراضي المقدسة.

وصل برترندون دي لابروكييه إلى الشرق الأدنى الإسلامي وهو متحامل على سكانه، شأن أكثر حجاج العصور الوسطى الأوروبيين، ولا يخفي بروكييه هذا، بل لا يحاول أن يتستر عليه، فنراه يعبر عن هذا الشعور في أكثر من مناسبة فيقول مثلًا: «ولما أوصيت بألا أثق بالعرب من هذه الملة الضالة»، وفي مكان آخر يصف أهل دمشق بقوله: «وأسوق هذه الحادثة لأوضح أن سكان دمشق قوم أشرار، وعلى الإنسان أن يتجنب المشاجرة معهم». ويرجع هذا التحامل إلى حد كبير إلى كتابات الحجاج وعما يلاقونه من مصاعب خلال زياراتهم للأماكن المقدسة، كما يعود إلى وصية رئيس الفرنسيسكان للحجاج قبيل مغادرتهم الرملة إلى القدس باللاتينية والإيطالية، وكانت هذه الوصية تتضمن قواعد وإرشادات للحجاج عليهم اتباعها خلال إقامتهم في الأماكن المقدسة، وأوصاهم بأن لا يثقوا بالعرب حتى بمن تودد إليهم منهم.

لكن لا يلبث بروكييه أن يمتدح كرم العرب وحسن استضافتهم للغريب بعد أن جرب ذلك بنفسه عندما نزل ضيفًا على بعض العرب في طريقه إلى غزة. ويشير إلى أن العربي الذي كلف بالاعتناء به بالغ في السهر على راحته، ويضيف إلى ذلك أن العرب لم يسلبوه ماله وأمتعته كما كان يشاع. ويشرح تفاصيل استضافة عربي له في طريقه إلى طبرية ولكنه لم يكن يدرك أن استقبال العربي له كان بدافع كرم لا لأنه رأى ما يحمله بروكييه من النبيذ.

ويستطيع القارئ لرحلة بروكييه أن يلحظ فرقًا بين معاملة الجهات الرسمية للحجاج الأوروبيين وبين معاملة الأفراد لهم؛ فيذكر ما لقيه من عدل نائب غزة وحمايته له من المكارين الذين حاولوا إجباره على استئجار دوابهم، كما ينوه بما لقيه من عدل حاكم دمشق الذي أطلق سراحه عندما قبض عليه.

ويسهب بروكييه في وصف قافلة الحج العائدة من مكة إلى دمشق، ويذكر أنها تتألف من ثلاثة آلاف جَمل، ويظهر أن بروكييه استقى معلوماته عن الحج من المملوك عبدالله الذي تعرف إليه في دمشق، فقد ذكر له المملوك أن عدد أفراد قافلة الحج يبلغ سبعمائة ألف. وفي هذا الرقم مبالغة كبيرة، فمحمل

الحج الذي كان يخرج من دمشق لم يكن يمثل العالم الإسلامي كله، فقد كانت تخرج من العالم الإسلامي أربع محامل سلطانية من القاهرة ودمشق وبغداد وتعز، كل على انفراد رغم قلة معلومات بروكييه عن تفاصيل شعائر الحج والأماكن المقدسة الإسلامية، فإن معلوماته ووصفه لطريقة استقبال المحمل تتسم بالدقة، فيلاحظ الفرق بين الجمل الذي يحمل الكسوة وبين المحفة التي كانت تحمل في العادة على جملين أو بغلين.

ويظهر بروكييه اهتمامًا كبيرًا بالخيول العربية الأصيلة، ومعلوماته عنها دقيقة، فهو يؤكد اهتمام العربي بالخيل، ويذكر أن الأغنياء من العرب يتحدثون مع ضيوفهم في الإسطبل الأمر الذي يحرصون من أجله على نظافته ورطوبته، وكان هذا أمرًا طبيعيًا في عصر كعصر المماليك اعتمد فيه على الخيل في الحرب. ونجد أن الإسطبلات السلطانية كانت تحت إدارة خاصة عرفت باسم «الركاب خاناه»، وكان «ناظر الإسطبلات» من الوظائف المهمة في الدولة، وذكرها المقريزي بقوله: «إن هذه الوظيفة جليلة القدر»، ويذكر بروكييه أن ثمن الحصان كان يبلغ مئة وخمسين دوكة، ولكن أثمان الخيول الكريمة كانت تبلغ أضعاف هذا المبلغ، ويذكر المقريزي أن ثمن الفرس الواحد من خيول آل مهنا بلغ الستين ألف درهم والسبعين ألف درهم، وكان السلطان يخلع الخيول على الأمراء والمقربين إليه مرتين في السنة: الأولى عند خروجه إلى مرابط خيوله، والثانية عند لعبه الكرة في الميدان.

ويهتم بروكييه بألبسة المسلمين اللذين لقيهما في طريقه إلى طبرية، فيصف بدقة «الكلوتة» التي كان كل منهما يلبسها على رأسه بدون عمامة، وهي ذات قرنين منعطفين إلى أسفل عينيه ومصنوعة من الصوف الأحمر، ويذكر المقريزي أن هذه الكلوتات عرفت بالكلوتات الجركسية، ويظهر أن هذين المسلمين كانا من العساكر العاديين لأنه يذكر أن أكمام قباءيهما كانت عريضة، فقد كان الأمراء والمقدمون وأعيان الجند يتميزون بلبس أقبية قصيرة الأكمام.

كان الغرض الأساسي من رحلة بروكييه إلى الشرق الأدنى الإسلامي هي جمع المعلومات اللازمة لإعداد حملة لغزو البلاد والاستيلاء على القدس والأماكن المقدسة، ومن أجل هذه المهمة المقدسة نراه يهتم اهتمامًا خاصًا بوصف الموانئ والمدن التي يمر بها وتحصيناتها ودرجة مناعتها في وجه الغزو. ثم يصف الأسلحة التي يراها ويحاول إثارة الغربيين لنجدة إخوانهم المسيحيين في الشرق الذين يصيبهم ظلم العرب، ولتخليص الأماكن المقدسة من أيدي المسلمين بسبب ما يلقاه الحجاج إلى هذه البلاد من معاملة قاسية.

ومعلوماته فيما يختص بالموانئ والمدن ذات قيمة كبيرة من الناحيتين الجغرافية والتاريخية، فيذكر بصدد الموانئ ما إذا كان الميناء صالحا لاستقبال السفن، ثم يصف تحصيناته إن كانت هناك تحصينات «فميناء عكا يصلح لرسو السفن؛ عميق وغير مسور»، «وميناء يافا ضحل سيئ»، ويهتم فيما يختص بالمدن وأسوارها وفنادقها وقلاعها، ومما يدل على بالغ اهتمامه بالقلاع تتبعه أخبار قلعة دمشق، فلم يفته أنها تخضع للسلطان مباشرة وأن نائبها مستقل عن نائب دمشق، وأنه لا يسمح لنائب دمشق بدخولها، ويتفق في معلوماته هذه مع وضع قلعة دمشق عند مؤرخي هذه الفترة، فيذكر القلقشندي: «أن نائبها لم يكن يمكن أحدًا من طلوعها».

ويبدو اهتمام بروكييه بالأسلحة في إطالته في وصف سيوف دمشق التي «هي خير السيوف وأفضل ما يصنع في سورية»، فيصف طريقة صقلها، كما يصف مرايا الفولاذ التي تعكس الضوء فتولد النار في الأشياء. كما يبدي اهتمامًا بالغًا بالمقذوفات النارية التي كان أهل بيروت يطلقونها احتفالاً بالعيد، فتحرى عن صانعها وعن طريقة صنعها، وألح على الصانع أن يوقفه على طريقة صنعها، وقدم له رشوة من أجل هذا الطلب، فوقف على السر وأخذ معه إلى أوروبا نموذجًا من هذه المقذوفات، كما اجتذب القوس اهتمامه فتحرى عن استعماله.

ويشير بروكييه إلى الظلم الذي كان يقع على النصارى من أهل البلاد والقسوة التي كان الحجاج يعاملون بها في البلاد المقدسة، ويحاول بهذا إثارة الغربيين لنجدة إخوانهم في الدين بالاستيلاء على الأماكن المقدسة، فهو يرى: «أن خضوع القدس لحكم العرب القاسي يلحق العار بالعالم المسيحي ويحزنه».

وتلقي رحلة بروكييه ضوء على فئة التراجمة والأدلاء الذين كانوا يقدمون خدمات كبيرة للحجاج، تصل أحيانا إلى تعريض أنفسهم للموت في سبيل القيام بواجبهم نحو المسافرين بسبب جشع الموظفين وبعض اعتداءات قطّاع الطرق، ونجد في تقارير العديد من الرحالة الأجانب ما يدل على أن التراجمة على العموم كانوا كرماء في معاملتهم للمسافرين، ورغم ذلك لا يزجي بروكييه الكثير من الثناء على خدمات هؤلاء بسبب ما كان يحمله من فكرة مشينة عن أهل البلاد بوجه عام، وبسبب ما كان يقوم به المكارون وأصحاب الدواب أحيانا من محاولات للحصول على مبلغ من المال أكبر من المتفق عليه. ورغم الموقف العدائي المسبق للجاسوس بروكييه إلا إن رحلته تكشف لنا أنه رغم أن الحروب الصليبية قد ألهبت المشاعر العدائية على الجانبين بالفعل، ولكنها كشفت أيضا لكل من الجانبين أن «الآخر» إنسان، وأنه يحمل من الخصائص والخصال الإنسانية الحقيقية ما يجعل التعامل معه أمرًا ممكنًا. وأن الناس في حياتهم اليومية لا يكونون على الدوام أسرى الأفكار والرؤى الأيديولوجية التي يروجها أبناء النخبة الذين يربطون أنفسهم عادة بمصالح الحكم وطموحاته وإنما يبحثون عن ما ينفعهم.

أبو القاسم

جاك صبري شماس
شاعر سوري

آثرت من شغفت به العلياء ... وتكلمت بشموخه الأصداء
والكون كبر بالرسول مبشرا ... وتدفقت بغمامه النعماء
وهفا أريج الشرع معسول الندى ... وتضوعت حلل الثرى وسماء
وسرى بيان النور يسكب فيضه ... وانجابت الفحشاء والظلماء
هذا «محمد» إن تسل عن وحيه ... فخرا تجبك الأنجم الزهراء
طافت به الدنيا تروم مقامه ... ويهل في نبل المقام.. ضياء
وهوت عروش الكفر في حفر الردى ... وانزاح ليل جائر ودهاء
وخمائل العرفان تبسط يمنها ... وتفيأت بالنشوة الأحياء
والضاد في برد العروبة درة ... عرباء طرز بردها الآلاء
وزهت فتوحات توضأ دربها ... وشدا على درب الفتوح دعاء
واختال نور الله في حلل التقى ... وامتد طهر في الدنى وبهاء
وصحائف التاريخ أفرد حسنها ... زهو الحروف وكلمة سراء
هي خير ما أبلى الكماة وأثمرت ... كف الجهاد وما أجاد بلاء
لا يأبه النور العظيم من الدجى ... مهما استبدت ليلة سوداء
أغروك في مال وسيب مناهل ... لم يجد إغواء ولا إغراء
ومضيت بالنهج القويم مجاهدا ... يحدوك صبر همة وذكاء
قلمت أنيابا تطاول لؤمها ... وانهار شرك طغمة ورياء
والمجد أورق عزة ومهابة ... واخضر في حقل الأنام إباء
في أمة «وسط» تبارك شرعها ... وبها تجل فريضة، وأداء
وغدا رسول الله في شفة المدى ... غيثا تشهت ثغره البيداء
فلأنت أبلغ من ملاحم «عبقر» ... وبكل ما أسدى به الحكماء
لله أنت بكل قول خصلة ... مثلى يحاكي نبلها العظماء
يا سيدي عذرا إذا شط النهى ... وتباينت في معجمي الآراء
قلق أنا تبكي المراثي في دمي ... ويهز شاهدة الضريح بكاء
المسجد الأقصى يحز وريده ... بغي وترتع بالتقى الأرزاء
والساح قد خليت يشاغل سيفها ... رقص وتدبك بالنزال إماء
والقدس مازالت تئن من الشجا ... يلهو بعقر حياضها الدخلاء
والغرب يضمر للعروبة حقده ... وتحاك فيه دسائس نكراء
كيف المسرة والحراب بظهرنا ... وكأننا في أرضنا غرباء؟
لا تصلح الدنيا إذا انحرف الهوى ... واختل في كف الطغاة قضاء
خلعت مطارفها الشكيمة والندى ... وتدثرت بالذلة الهيجاء
لولا انحناء الهام ما جثم الخنا ... وجثا الهوان وخيبة وجفاء
«والظفر لم يهجر رضاء لحمه» ... إلا إذا خذل الحمى القربا
يا سيدي مسك الختام بأمة ... عظمى ترصع صدرها الأضواء
مهما الشدائد أعولت وتكالبت ... فلأنت مشكاة الورى ورجاء

التمتع بالطاعة

محمد فتحي النادي
باحث في الفكر الإسلامي

الإنسان الحر المكلّف هو القادر على إتيان الخير والشر..
ووقوع الإنسان في المعاصي أصل مركوز فيه؛ لما رُكب فيه من الشهوة، ولإحاطة الشياطين به بتزيينها وإغوائها..
فآدم عليه السلام عصى ربه وأكل من الشجرة، هذا الإنسان الذي سجدت له الملائكة، ورأى خلْقَ زوجه منه، ودخل الجنة هو وزوجه يأكلان منها رغدا حيث شاءا..
رغم كلّ هذا يواقع المعصية، ويستمع لوساوس إبليس..
ولكن ميزة آدم عليه السلام أنه ندم وتاب عما اقترف في حق نفسه..
وقد صور ربنا ذلك في أكثر من موضع فقال جل جلاله: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ (البقرة: ٣٥-٣٧).
لقد كان للذنب الأول عنده رهبة وخوف شديد منه؛ لذا بادر بالتوبة..
وهذا ما لم نتعلمه من أبينا آدم، فنأتي الذنب وقد نندم عليه، لكنه ندم مصطنع وليس حقيقيا؛ لأنه لو كان حقيقيا لأقلعنا عنه، وتبنا منه..
لكننا نُظهر بعض الأسى والندم، ثم نعاود مواقعة الإثم نفسه..
الوجل والخوف الذي كان في القلب يخف مرة بعد مرة كلما اقترفنا ذلك الإثم، وفي النهاية نُقدم على الإثم بلا خوف أو وجل، ننسى الرقيب.. ننسى العقاب من ربنا، أو حتى العتاب.
إلى جانب ما سبق، فإن اللذة التي تحدث عند اقتراف المعصية نبدأ في فقدانها كلما أكثرنا منها، يقول ابن قيم الجوزية: «إن كثيرًا من الفساق ليواقع المعصية من غير لذة يجدها ولا داعية إليها إلا لما يجد من الألم بمفارقتها».
وهذا ما يسمى إلف المعصية، حيث أصبحت قلوبنا لا تتمعر من رؤيتها، أو النفور من مرتكبيها، أو التأثم والتحرج من مواقعتها وإتيانها.
وكما أن هناك إلفًا للمعصية بألا يستشعر المرء وخز الضمير من كثرة إتيانه للمعاصي، فتتبلد مشاعره، ويموت قلبه.. كذلك أرى أن هناك إلفًا للطاعة.. فالإنسان قد يؤدي الطاعات بطريقة ميكانيكية آلية، ولا يترتب على طاعته تغيير في سلوكه، أو حلاوة في قلبه..
فعندما كنّا ملتزمين في مقتبل العمر كان للصلاة حلاوة، وللقرآن حلاوة، وللأُخُوّة حلاوة ...إلخ.
فنحن نحتاج إلى حضور القلب، والتمتع بالطاعة، والإقبال على الله، كالطفل الذي فقد أهله، فشعر بالضياع، وعندما وجد أمّه أقبل عليها يجري مناديًا لها، داخلاً في أحضانها..
فنحن نحتاج بين وقت وآخر أن نذكر أنفسنا بحلاوة ولذة الطاعة والانتباه لها؛ لأن كثرة المخالطة للأعمال وكذلك للمشاهد يفقدنا الإحساس بها وتذوقها..
فنحن نعيش في هذا الكون البديع المتسق المعجز، ونرى الآيات الكونية الدالة على عظم الخالق، ورغم ذلك لا نتأثر لمشاهدتها، يقول تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (يوسف: ١٠٥).
فالألفة حجاب..
فلننزع هذا الحجاب حتى تتكشف لنا المعارف والأذواق والمشاهد والتجليات..
اللهم ارزقنا حلاوة للطاعة.. وقربا منك.. وإقبالا عليك.

الذبّ عن مذهب مالك

في شيء من أصوله، وبعض مسائل من فروعه، وكشف ما لَبَّس به بعض أهل الخلاف وجهله من مَحَاجِّ الأسلاف للإمام محمد بن أبي زيد القيرواني

إعداد : د. الطاهر خذيري
باحث في وزارة الأوقاف الكويتية

التعريف بالكتاب :
الفن : الفقه المقارن.
سنة النشر : 1432هـ/2011م.
رقم الطبعة : الأولى.
عدد المجلدات : مجلدان.
إصدار : الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب.
تحقيق : د.محمد العلمي

كتاب «الذّبّ عن مذهب مالك»، لمالك الصغير أبي محمد بن أبي زيد القيرواني، نقدمه للباحثين والمهتمين بعد أحد عشر قرنًا من تأليفه، ولا تخفى على الباحثين قيمته العظيمة، باعتباره أحد أهم مصادر البحث الفقهي المالكي المقارن؛ فهو كتاب يعرّفنا بمرحلة مغمورة من تاريخ الجدل الفقهي في المذهب المالكي بالغرب الإسلامي؛ إذ المعروف المقرر أن مالكية المغرب والأندلس والقيروان إنما اختصوا بالاجتهاد الفقهي لتفريع المسائل وتخريجها، وتطبيقها في الجوانب العلمية والاجتماعية؛ كالفتاوى والنوازل والقضاء والأحكام، والوثائق والشروط، والسياسة الشرعية، إضافة إلى مصنفات يصعب حصرها فيما فرضته حاجات الناس، من مسائل أفردها العلماء بالتأليف في العبادات؛ كالمواقيت والزكاة والمناسك، وفي المعاملات؛ كالأنكحة والبيوع والالتزامات، والتبرعات، من وصايا وهبات وأحباس، وفي الفرائض والحساب، وغيرها.

ولهذا يمكن القول: إن مالكية المغرب لم يشتهروا بالجدل المذهبيّ والتأصيل الفقهيّ للمسائل، على غرار نظرائهم من مالكية العراق، الذين برّزوا في ذلك، وعُرفوا به أكثر من مدارس المذهب المالكيّ الأخرى آنذاك.

وبناء عليه، فهذا الكتاب النادر النفيس قَبَس مما ألفه مالكية المغرب الإسلامي في مجال الاستدلال والحجة والتأصيل والجدل الفقهي مع المذاهب المخالفة، وهو يحتوي حوالي أربعين قضية من مسائل الخلاف بين المالكية والمذهب الظاهري، بسط فيها الإمام ابن أبي زيد القيرواني الحجج والقواعد والأدلة الشرعية عليها، وتفنن في بيان الوجوه والعلل والمعاني التي عليها بنى الإمام مالك اختياره فيها، كما صدّر كتاب الذبّ بمقدمات عامة، خصصها لتوضيح المفاهيم الأساسية المتعلقة بالرأي والاجتهاد والتمذهب، والقواعد والآداب اللازم احترامها عند الاختلاف بين العلماء بما يجعله للأمة كما ورد في الآثار.

وإضافة إلى قيمة كتاب الذب عن مذهب مالك العلمية، ومنزلة مؤلفه في المذهب المالكي، فإنه وثيقة فقهية قديمة ونفيسة، كانت معرضة للضياع، بسبب أنه لم يصلنا منه سوى مخطوطة فريدة محفوظة بمكتبة تشستربيتي بدبلن عاصمة آيرلندا، وهي المخطوطة التي تجنب الباحثون والدارسون تحقيقها، لسببين: ما اعتراها من الطمس الكثير في جلِّ أوراقها، بحيث يُخيّل للمطلع عليها أن إخراجها وتحقيقها متعذّر، وثانيهما: أن موضوعها هو الفقه المالكي، وحججه، وعلله، وتفاصيل مسائله الموزعة في كل أبواب الفقه، بحيث لا يتيسر لغير الممارس المتمكن من المذهب المالكي معاناة تحقيقه وإخراجه على الوجه الصحيح.

ومما يستوجب التنويه، ما بذله محقق الكتاب د.محمد أحمد العلمي من جهود مضنية في سبيل تحقيق الكتاب وضبط نصوصه، وقد أمضى في سبيل ذلك سبع سنوات من العمل الدؤوب، تمكن فيها من قراءته وتوثيقه وتقريبه للباحثين والقراء، متغلبًا على الصعوبات التي منعت من تحقيقه فيما سلف.

وكتاب «الذب»، ألفه ابن أبي زيد رحمه الله؛ ردًّا على كتاب لأحد فقهاء الظاهرية ينتقد فيه مذهب الإمام مالك، وينقض مسائل مذهبه، سماه:

«التنبيه والبيان عن مسائل اختلف فيها مالك والشافعي».. وقد اعترض فيه على الإمام مالك في بعض أصوله، وفي سبع وثلاثين مسألة من فروعه، ودارت هذه الردود على لمز مالك وثلبه بمخالفة السنة والإجماع والسلف، وبتشريع ما لم يأذن به الله! فتصدى ابن أبي زيد القيرواني، رحمه الله، في هذا الكتاب لتفنيد ما جاء به الظاهري المذكور من أقاويل وشبهات، وكشف ما فيه من زيغ وضلالات، وحاذى ما ذكره في كتابه مسألة مسألة، وقضية قضية، وشبهة شبهة، واعتراضا اعتراضا، فجاء كتابه على وزان «التنبيه والبيان» في الترتيب، إلا أنه صدره بثماني مقدمات للردود الأصلية عليه، قبل التفصيل معه في المسائل التي رد فيها على مالك، لينقضها عليه كاملة مفصلة.

وقد أبان كتاب الذب عن قوة عارضة الشيخ ابن أبي زيد في الجدل المذهبي واختلاف العلماء، ودرايته الراسخة بأساليب الخلافيات وأصولها ومسالك الاعتراض والانفصال والمعارضة، مع فحولته المعروفة في

وتخريج مسائله على أصولها.

ومن الغريب أن ابن أبي زيد لم يحظ منه صاحب (التنبيه والبيان) بشرف ذكر اسمه، ولا بأي شيء يعرّف به ،أو يرجع الجهالة عنه، وبابن أبي زيد اقتدى الناس، م يذكره أحد من أهل المذ ب ولا أصحاب الخلاف لا المؤرخين أصحاب التم ولا أصحاب الفو ن والمشيخات، وصنيع ا ة مع صاحب التنبيه و ن هذا قريب مما سلـ ع رجل آخر بعده بقليل و شافعي من أهل الأ ، ألف رسالة ردّ فيـ ن مالك وتهجم عليه، و ه وانتقص منه، فرد ن

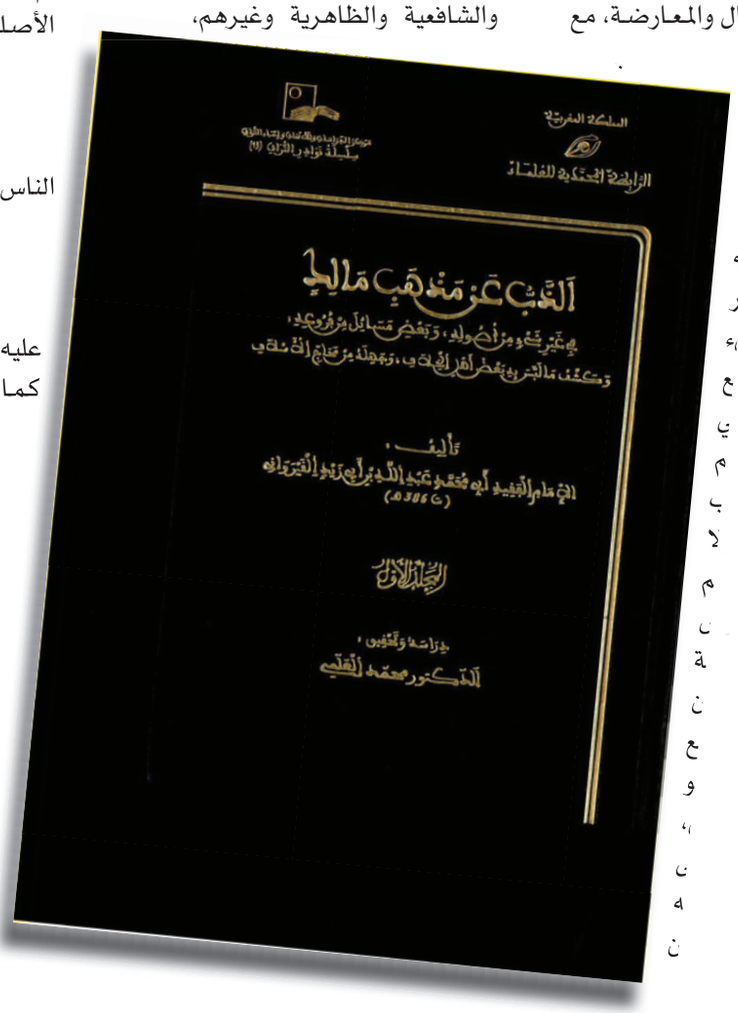

الفخار الحافظ (ت ٤١٩) في رسالته المشهورة بـ «الانتصار»، وبالغ منذ العنوان في تجهيل هذا الرجل فسماه كما ورد في بعض المصادر: «الانتصار لمالك من اعتراض حائك يقال له قرمور، وما هو معروف بالعلم ولا مشهور».

وهذا السلوك من ابن أبي زيد وابن الفخار وأهل المذهب من بعدهما، ينبئ عن معاملتهم للناقد بنقيض مقصوده، وتنبيه خفي على أن ثلب الأئمة ليس طريقا ممهدًا إلى الشهرة وانتشار الذكر، فهم يردون على الناقد أولا، ثم يلبسونه سرابيل الجهالة وإخمال الذكر بعد ذلك.

وبخصوص الخطوط العامة لعمل المحقق في تحقيق كتاب (الذب عن مذهب مالك)، فقد قسم دراسة الكتاب إلى ثلاثة فصول، هي:

الفصل الأول: في بيان موضوع الكتاب، تعرض فيه للتعريف بجهود المالكية في موضوع (الذب عن مذهب مالك)؛ فذكر المؤلفات التي احتوت هذا الجانب، وهي مؤلفاتهم في الرد على الحنفية والشافعية والظاهرية وغيرهم، ومؤلفاتهم في نصرة المذهب وترجيحه وفضائل الإمام مالك والمدينة، ومؤلفاتهم في أدب الجدل وقواعده، ومؤلفاتهم في مسائل الخلاف، ثم تعرض فيه لصلة المالكية بأهل الظاهر في مدارس مذهبهم الكبرى، وما أنتجه من مناقشات ومؤلفات.

الفصل الثاني: في ترجمة ابن أبي زيد؛ حيث عرّف به بالطريقة المعهودة، ولم يقصد إلى التوسع والاستقصاء، إلا أنه اجتهد في تتبع تلاميذه الأندلسيين، طمعًا في العثور على ترجمة لناسخ المخطوط، ومن سمعه وقابله.

الفصل الثالث: التعريف بكتاب الذب عن مذهب مالك، وبطريقة عمله في إخراجه، وقام في هذا الفصل بالتعريف بمحتوى كتاب الذب عن مذهب مالك، ومنه لخَّص محتوى كتاب التنبيه والبيان الذي يرد عليه ابن أبي زيد في الذب، وفصَّلَ في هذا المبحث مضمون الكتابين وطريقتهما ومنهج مؤلفيهما فيهما.

ثم عرّف بالنسخة المصورة عن المخطوطة الأصلية، وما يصحب ذلك من توثيق

وبيان اصطلاحاته في قراءة وإخراجه.

يق الكتاب فلم يخرج عن معهود الناس في قراءة المخطوطات وإخراجها،

ي كتاب الذب عن مذهب مالك بصعوبات جعلته ينتهج طريقته

ة في إخراج النص والتعليق عليه؛ فالنسخة الوحيدة كثيرة الطمس كما سبق، ومضطربة الترتيب في

ها الثالث، وموضوعها- وهو لافيات- قليل عند المالكية كما هو وف، وما هو مخطوط أو مطبوع نزر يسير؛ لذلك ركَّز المحقق التغلب على الطمس، وترميم ن، بكل ما يستطيع، بحيث كانت قبة الكؤود والمهمة العسرى هي تنقاذ الكتاب، والتغلب على ا فيه من انبهام وطمس، تجعل قراءته متراوحة بين الصعوبة والاستحالة.

• عرض الكتاب مقتبس من مقدمة تحقيق الكتاب.

منطق العمران بين التأنس والتوحش

د. هبة رءوف عزت
باحثة أكاديمية

نحتاج اليوم أن نتوقف طويلا أمام فكرة ابن خلدون عن مدار التاريخ وتحولات الاجتماع، قبل أن نتحدث عن تغيير مأمول أونهضة منشودة في واقعنا العربي والإسلامي، وإذا كان تأسيس المُلك على العصبية ومراحل صعود وهبوط الدول هي أهم ما انشغل به الباحثون في فكر ابن خلدون؛ فإن هذا المقال ينطلق من فكرة مركزية غابت عن البحث والتحليل، ألا وهي منطق دوران المجتمعات «بين التوحش والتأنس»، وهو ما ذكره القرآن من تغير الأنفس بالإعراض عن المنهج واتباع الهوى الذي يورث سلب النعمة.. أو رفع البلاء بتغيير الأنفس وإصلاح القلوب.. ويذهب هذا المقال إلى الحاجة الماسة للانتقال في التفكير في النهضة من أولوية السياسي /الدولة/ المؤسسي إلى مبدئية العمراني/ الإنساني/ النفسي، في فهم مفاتيح التغيير ومناط التحولات التي شهدناها ونشهدها في مجتمعاتنا العربية الراهنة، وذلك في ضوء بعض مداخل مقدمة ابن خلدون.. ثم ينظر في درس المنهج وأهمية تجديد التفكير في مداخل التغيير.

يقول ابن خلدون:

«اعلم أن حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر، بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال». وهنا يشير ابن خلدون إلى حقيقة التاريخ بلفظة «الاجتماع الإنساني»، فهو يشير إلى أن قراءته أشمل وأوسع من النظرة المعتادة لـ«التاريخ» باعتباره رصدا للأحداث السياسية، أو التاريخ العسكري وسقوط الأمم، أو علوّ شأنها، بقدر ما يعني في جوهره «أحوال الاجتماع الإنساني» ككل، بما يطرأ على أفراده من تغير في مبادئهم الإنسانية وأخلاقهم وأثر ذلك على النهضة والسقوط. بما يذكرنا بحديث رسول الله ﷺ حين سُئل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم.. إذا كثر الخَبَث».

وفي استخدام ابن خلدون لتعبير

«التوحش والتأنس» دقة بالغة في وصف التغيرات التي قد تطرأ على الأحوال الاجتماعية للأمم، حيث إن التمسك بالمعايير الأخلاقية هي عملية متغيرة تميل إلى الصعود والهبوط، متأثرة بما يجدّ على الواقع من أحداث وظروف، وليست نعتا ثابتا أو وصفا لصيقا، لا يتغير لأية أمة مهما بلغت، فقد قالت اليهود: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقال الله: إنهم بشر ممن خلق، وقرن خيرية أي أمة بالعمل، ثم قال: وإن تتولوا.. يستبدل..

وفي التاريخ أمثلة كثيرة لأمم انتكست فيها القيم الأخلاقية، فارتكست حضاراتها، لذا نحتاج لفهم أعمق لما كان يعنيه ابن خلدون بأهمية دراسة علم الاجتماع الإنساني، تفاديا للصور النمطية المثبتة عن المجتمعات، كأن توصف بالتمدن والحضارة رغم تنامي معدلات التوحش والعنف الاجتماعي، أو توصم إحدى الشعوب بميلها إلى العبودية أو اللاأخلاقية رغم تطورها وتنامي الالتزام بالفضائل الدينية والمدنية لديها.. فنسقط بذلك في مستنقع العنصرية البغيض.

كان ابن خلدون يرى مثل روسو الذي جاء بعده بقرون أن الخير في الإنسان مقترن بتكوينه الفطري الأول، وبنمط حياته البدائي الطبيعي. وأي بعد عن خصائص وصفات البراءة الأصلية للفطرة الإنسانية في تاريخها الأول، قبل تأسيس الدول والكيانات المؤسسية الهرمية، يؤدي حتما إلى إصابة الطبيعة البشرية -الخيرة أساسا- بآفات تأسيس المُلك وسكنى الحضر والبعد عن الطبيعة، ومن ثم يأتي تحول الطبيعة الإنسانية إلى طبيعة أنانية، وتغطي الفطرة النقية طبقات من التعقيدات التي تحجبها عن أصلها وذاتها، ثم تفسد الأخلاق وتضعف القيم، وعندما تصير هذه ظاهرة اجتماعية في مجتمع أو حضارة فلا يتناهون عن منكر فعلوه، فإن التفكك والانهيار يصبح المصير المحتوم لهم.

النفوس البشرية على ثلاث أصناف: حس وإدراك واصطفاء

وساهم ابن خلدون في تحليل الأخلاق في سياق نظرته للعمران، فربط بعضها بالمناخ والجغرافيا، وفي تفسيره لعلم النفس الاجتماعي والبنية النفسية للمجتمع تحدث ابن خلدون عن اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع، وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان الخلق وأخلاقهم، فالظروف المحيطة بالإنسان تؤثر على رؤيته للقبيح والحسن، فتُعين أو تخذل الفطرة الأولى، وهو أمر غفل عنه الكثير من العاملين في حقل الدعوة في سياقنا المعاصر، فظنوا أن محض إرادة الفرد تغير سلوكه، غافلين عن الشرط الموضوعي، وعلاقات القوة والسلطة المحيطة به، لذا كانت غاية الإسلام تغيير الفرد بالتوازي من تغيير أبنية القوة والسلطة وموازين الأحكام وشبكات المصالح ومعايير المكانة الاجتماعية، بخلق مساحات للمجال العام وكسر اقتران المكانة الاجتماعية بالعصبية القبلية، أو الجنس، أو اللون، وإعادة توزيع الثروة، وبث روح جديدة بالتآخي بعد الهجرة، وتأسيس دولة مدنية على دستور سياسي وأخلاقي.

- وتميز تحليل ابن خلدون بأنه ميز بين أمزجة البشر وقدراتهم، لأن ذلك مدخل مهم لمعرفة قدراتهم النفسية وحدود تعاملهم مع الواقع ومداخل تغييرهم ومخاطبتهم وتفعيل وعيهم، وهو ما يتسق مع المنهج القرآني الذي خاطب أصناف الناس بأساليب شتى، والمنهج النبوي الذي راعى نفوس البشر وخصوصية الفردية في كثير من المواقف، من تنوع الإجابات على نفس السؤال لمعرفته بحال صحابته، إلى وصفهم بصفات وسمات متنوعة لإدراكه لنقاط قوة وضعف كل واحد منهم، إلى معرفة نفسية أبي سفيان في الفتح وأنه رجل يحب الفخر، فمنح داره مجال الأمان.. وهكذا.

يقول ابن خلدون: إن النفوس البشرية على ثلاثة أصناف: صنف قدراته تنحصر في المدارك الحسية والخيالية.

وصنف يتسع نطاق إدراكه عن الأوليات التي هي نطاق الإدراك الأول للبشر، لفضاء الوجدان، وهذه مدارك العلماء الأولياء أهل العلوم الدينية والمعارف الربانية، أما النوع الثالث فهم المصطفون الذين هيأ لهم الله أرواحهم وأبدانهم لتلقي الوحي الكريم، وهم الأنبياء.

كما راعى اختلاف أثر التجربة واللحظة التاريخية على منهج التفكير حين تحدث عن اختلاف الأجيال، واختلاف الأفهام لاختلاف طرق العيش والحرف والصنائع فقال: «اعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم في المعاش... ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، وتعاونوا في الزائد

على الضرورة، واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها، وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر، ثم تزيد أحوال الرفه والدعة فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنق في علاج القوت، واستجادة المطابخ، وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها، من الحرير والديباج وغير ذلك، ومعالاة البيوت والصروح». فالتحولات السكانية والعمرانية وطبيعة الأعراف والتقاليد التي تنشأ، تؤثر على مسارات السلوك الإنساني والاجتماعي، والوعي بالحقيقة والحقوق، وشبكات المصالح ونسيج التضامن المجتمعي، وتغير سياقات الفعل وحدوده، فالأبعاد المتعلقة بالمكان وبالمساحات وما ينبثق عنها من أحوال وعادات مهمة في فهم سبل ومداخل التغيير والنهضة، وكيفية استعادة القيم الفطرية والخيرية في مواجهة منظومات العيش في الحضر وغلبة المادية والنفعية.

ومن هنا كان الوقوف على ما قد يشمله مفهوم «التعقيد المؤسسي» بعلم الاجتماع والعمران من ظواهر، والتمييز بين الريف والحضر والبادية في مناهج التغيير، وفهم الثقافة المحلية والمكانية كمفتاح للتعامل مع تفاصيلها الساكنة في الحياة اليومية، وفي إطارها يتم التراوح بين الإنسانية.. والتوحش، أو الخيرية الفطرية.. والجاهلية.

فقد رأى ابن خلدون مثلا أن «أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر، والسبب في ذلك أن أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة، وانغمسوا في النعيم والترف، ووكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم، والحاكم الذي يسوسهم، والحامية التي تولت حراستهم، واستناموا إلى الأسوار التي تحوطهم، والحرز الذي يحول دونهم، فلا تهيجهم هيعة ولا ينفر لهم صيد، فهم غازون آمنون، قد ألقوا السلاح، وتوالت على ذلك منهم الأجيال وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين هم عيال... ويستكمل: إن معاناة أهل الحضر للأحكام (أي الخضوع لحكم مؤسسي) مفسدة للبأس فيهم ذاهبة بالمنعة منهم».

والقراءة المتأنية لابن خلدون تكشف عن فهم عميق للسنن ولمعنى الدورات التاريخية، وتكشف عن جوهر التحدي الذي يواجهه الإنسان في هذا العالم، فالعصبية تسير نحو الملك وتأسيس الدولة والانتقال من البداوة للحضر، وبها تقوم النهضة، لكن هذه في ذاتها تنزع عن الإنسان خصال الفطرة الأولى الرابطة بالكون الطبيعي، وتضع بينه وبين العالم الواسع وبين نفسه التي بين جنبيه الحواجز والعوائق وتغير النفوس والطباع، وهذا هو التعبير الواضح عن الاغتراب كظاهرة تقترن بعملية التحضر التي لا يمكن وقفها أو تعويقها، ومن هنا كان الدين هو العاصم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي الروافع التي تحمي من السقوط في الزلل، وتعين على الحق والصبر عليه. هذه الجدلية الدائرة عبر الحياة الإنسانية والتواريخ البشرية بين شروط النهضة وعوامل السقوط، هي الكدح الذي وصفه القرآن، وهي السعي الذي كتبه الله على بني آدم.. أفرادا وجماعات.

وابن خلدون يدرك المادي لكنه يقرنه بالأخلاقي، ويدرك صلتهما بالسياسي وموازين السلطة: فيقول: «النسب متوقف على الخصال، وكأن شرف النسب يحدده شرف المروءة والأخلاق المتواترة في العوائل، لا الأعراق المتوارثة في القبائل، وعليه يكون مناط الحكم والاحتكام فيها، ولو كان شرف النسب بحد السيف لأصبح «حكم المتغلب» لا غير».

وهو ما يذكرنا بحوار سقراط عن العدالة في الكتاب الأول من جمهورية أفلاطون، أن العدل ليس حكم القوي بل هو دور من يحكم في رعاية مصالح العباد، لكن ابن خلدون أدرك أن القوة وحدها لا تصلح، وأن الواقع النفسي والاجتماعي هو الأساس، وفي ذلك يخالف الفارابي الذي قرن المدينة الفاضلة بطبيعة الرئاسة فيها، وشبه الرئيس في الدولة بالخالق في الكون القائم على رعاية العالم، وهو تشبيه يدفع لتركز فكرة الإصلاح في رأس الهرم، ويخلق منظومة تراتبية في حين أن التصور الإسلامي عند ابن خلدون أكثر حيوية وفعالية، ويستوعب دوائر الاجتماع ومنطق العمران الذي أنتج نظم الحكم وسبل التغيير الممكنة نحو التجديد والنهضة.

يمكننا أن نسرد الكثير من الأفكار والاقتباسات من عالم الفلسفة الإسلامية وكتابات

الشوامخ من علماء القرون وفقهاء التراث، لكن الأهم هنا في استعادة الوعي بالبعد الإنساني والاجتماعي في التجديد والنهضة، هو أمران:

أولا: استيعاب التاريخ في حركته ومنطقه، وليس في أحداثه ومحاكاتها، وفهم تاريخ العالم، وسنن الله في الأنفس، واستعادة الوعي بالبشرية، فالعقل العربي بقي لعقود طويلة في أسر تصورات نظرية بالغة العمومية عن النهضة، وانفرد المفكرون والمصلحون بالحديث عن النهضة، في حين انشغل الخبراء في المجالات المختلفة بالعمل في مواجهة الهيمنة الغربية على العقل العلمي.. ونظرا لأن الجدل حول العلوم الطبيعية يقل فيه البعد الحضاري ويغلب بعد التسابق إلى الأحدث من الاكتشافات والنظريات العلمية، فقد بقي الجدل الفكري «أيديولوجيا» وليس عمرانيا بدرجة كبيرة.

ويكاد المطالع لكتابات المفكرين العرب في القرن الماضي بطوله لا يجد حديثا عن نماذج النهضة غير العربية، فقد نظر الناس تحت أقدامهم ثم نظروا لأوروبا الاستعمارية بعد صدمة الإمبريالية، وكفى.

لذا سيكون من المهم التوجه شرقا وجنوبا للبحث في نماذج متنوعة من التنمية والنهضة، وتصورات العلاقة بين السياسي والاقتصادي والدولي والقومي، والدولة والمجتمع الغائب، لنستقي دروسا ونتعلم كيف نهضت بعض النماذج وتعثرت نماذج أخرى، وتراوحت ثالثة بين هذا وذاك.

ولعل البدء يكون بمحاور هي: أولا: البناء الفكري يكون نقطة بداية جيدة، فلا يوجد نموذج للنهضة يمكن أن يستغني عن رؤية واضحة

التاريخ وعاء لتفسيرات البشر في الأزمنة

للهدف والغاية، ولا للمنطلق والإرث الحضاري، ثم محور ثان: هو الدور الفاعل للقيادة، الفردية والجماعية والشعبية المحلية.

المحور الثالث: هو تنوع صيغ علاقة الدولة بالمجتمع، وأخيرا علاقة مشروع النهضة بالسياق الدولي وتحديات الهيمنة وبناء التحالفات.

ثانيا: الموسوعية والبنية العلمية: فلم يعد يكفي أن يكتب مفكر أو فقيه في النهضة، بل صارت العلوم والخلفيات المتنوعة العلمية والشرعية والاجتماعية واللغوية والتاريخية والقانونية والجغرافية والاستراتيجية، كلها ضرورية كي يتم نسج رؤية متكاملة ومعقدة للنهضة ومساراتها ومستوياتها، وإلا اختلت الأولويات وتعارضت المسارات، ولنا في التحولات الأخيرة في العالم العربي دليل على مشقة السبيل وحتمية التكامل والاجتهاد الجماعي.

وبالنظر إلى ماهية «علم العمران» عند ابن خلدون سنجد أنه ليس ما يُعرف حاليا بـ«علم الاجتماع»، فإن لفظة العمران أشمل وأوسع لاحتواء المعنى الإنساني المقصود، والذي يشمل في سياقاته الزمانية والمكانية المختلفة التعرف على أنماط مختلفة بكل من التعامل والتفكير والمبادئ والعادات والملك والسلطة، أو حتى ما قد يصيب الفرد والجماعة من آفات نفسية، بدنية أو أخلاقية تختلف كلها باختلاف المجتمعات والشعوب محل الدراسة.

لذا تطرق «ابن خلدون» لفكرة «تأسيس العلم»، ففي البدايات ينفتح العقل على معارف شتى ثم يبدأ من بعد في تصنيف فروعها وتخصيص مذاهبها إلى موضوعات، لكلٍ منها أدواته ومناهجه.. ثم العودة إلى المعرفة الموسوعية.

إن «التاريخ» في ذاته هو وعاء احتوى تجارب وتفسيرات البشر في «الأزمنة» و«الأمكنة» المختلفة، ومن هنا تنبع أهميته.

وهنا تتجلّى قيمتا «السّير» و«النظر» اللتان تعدان من لوازم «الوعي».. وعندما نتكلّم عن «الوعي» فإننا لا نعني «المعرفة»، لكن نعني «التّنبه» و«الإدراك» لهذه المستويات المفسرة للتاريخ.

بقي أن نؤكد أن هذا المنهج في التعامل مع التاريخ هو اعتبار النفس الإنسانية والذات الفاعلة هي المحرك له، والشروط الموضوعية سياق لازم، ولأن هذا الفهم من لوازم الاستخلاف وبناء النهضة، فهو ضرورة دينية إذن.. لأن مهمة الإنسان الإصلاح في هذه الأرض، ودفع الباطل فيها وإقامة الحق، وهذا لا يمكن أن يتم حتى نجمع بين النظر في الوحي (الكتاب المسطور)، والعقل (الذي محله قلب يقرأ بسم الله)، وسنن الكون (كتاب الله المنظور أو المنشور وسنن الآفاق)، وذلك كله أثناء «سير» و«سعي» متجدد للحفاظ على الفطرية واستعادة الخيرية للفرد والأمة.. ودفع البغي وإفشاء السلام.. وإقامة موازين العدل.. وحفظ قيم التمدن الإسلامي.. لتتحقق النهضة. والله أعلم.

هل تغيرنا كما تغير عمر؟

محمد صديق- طالب دكتوراه
في جامعة نجم الدين أربكان

يطيب لكثير من الباحثين والمفكرين الحديث عن التغيير الذي أحدثه الإسلام في المجتمع الجاهلي كتجمع أشخاص، وفي أفراد هذا المجتمع كشخصيات بدلت حياتها من مسار تحكمه العادات والتقاليد والولاء للقبيلة إلى مسار يحكمه فقط الولاء للحق دون الأشخاص.. شخصيا تجذبني شخصية عمر بن الخطاب من بين هذه الشخصيات للدخول إلى أعماقها وسبر أغوار هذه الشخصية الفذة، التي صنعت عبر حياتها كثيرا من المفاصل التاريخية التي أثرت في سير الأحداث على عالمها والعالم الذي تلاها.. وعندما يذكر اسم عمر يتبادر إلى الذهن كثير من القيم التي ينشدها أي مصلح أو أي مجتمع يبحث عن حالة من الأمن والعدل والاكتفاء و... و... ولا يغيب عن الذاكرة أثناء استحضار شخصية عمر تاريخه بامتداده الجاهلي الذي قال الناس عنه: لا يسلم ابن الخطاب حتى يسلم حماره(١). معبرين بهذا الجملة عن يأسهم من إسلامه وسخريتهم من مجرد احتمال تفكيره به، وفي الوقت نفسه من عناده وبطشه الشديدين(٢).

وتحكي قصص السير أن عمر كان في طريقه إلى قتل محمد ﷺ لكنه عدل عن ذلك لما أخبر بإسلام أخته وزوجها لتنتهي رحلته في دار الأرقم مسلما بعد ما قرأ بضع آيات من سورة طه، هزت كيانه الإنساني الذي كاد أن يموت بفعل الجاهلية التي كان يغذو بها نفسه(٣).

لا يختلف اثنان أن التغير الذي حدث في داخل هذه الشخصية تغير ناجح لأنه أنتج حالة جديدة من السلوك والفعل والثقافة جعل منه رمزا لمعاني العدل والأمان والاكتفاء والقوة.. وأصبح عمر بحضوره التاريخي قدوة لا تغيب عن بال المجتمعات الطامحة لحالة أفضل.. ولابد من الوقوف عند حيثيات هذا التغير واستنطاق مسكوته ومعرفة شروطه التي أنتجت هذه الحالة، وخصوصا في زمننا الذي أصبح التغيير العنوان العريض لكل حزب سياسي أو مصلح اجتماعي أو... أو...

ومن أهم شروط هذا التغيير وجود خطاب يدعم التغيير.. خطاب قائم على أسس عقلانية ممزوجة بعواطف النفس مما يحدث- حال قراءته- حالة أشبه ما تكون بالصدمة التي لا يستطيع القارئ حيالها إلا أن ينطق بالحق.. وهذا ما حدث لكثير من المشركين الذين استمعوا لآيات القرآن الكريم.

الشرط الثاني: وجود بيئة تدعم هذا التغيير وترحب به في آن واحد، حيث إن من أهم أسباب الإحجام عن التغيير الخوف من انتقاد المجتمع الجامد، أما حين تتوافر البيئة التي تدعم التغيير وترحب به فإن فرص الشخصيات في التغيير يكون أكثر.

الشرط الثالث: وجود قابلية داخلية في النفس البشرية، حيث يكون لهذه القابلية دور الزناد الذي يخلط الكل في عملية تنتج في النهاية التغيير المطلوب، ولا يجب غض البصر عن هذا الشرط، فكثير من المشركين عاشوا في البيئة التي عاشها عمر ولم يتغيروا، وأظن أن هذا راجع إلى هذا الشرط، فمثلا كان من أهم موانع إسلام أبي جهل التكبر الذي امتزج مع شخصيته ومنعه من الإذعان إلى الحق، وهذا واضح في كثير من إعلاناته، ونلمس هذا أيضا في قول الله تعالى على لسان المشركين: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: ٣١).

الشرط الرابع: (وهذا الشرط راجع إلى منتج الخطاب ومؤيديه) الصبر على المعارضة النابعة من سدنة العادات والتقاليد إلى حين تمكن الخطاب الجديد من فعل فعله في عقولهم، فعمر لم يسلم إلا بعد فترة، ولكن طوال هذه الفترة كان يرى أمامه الخطاب الجديد متمثلا في سلوك المسلمين الجدد، ولربما كان هناك عراك فكري داخل شخصيته بين ما يشاع عن محمد وأصحابه وبين ما يراه أمام عينه، وهذا كان له دور في تشكيل صورة خلفية إيجابية عن الإسلام أدى بالنهاية إلى إسلامه.. وفي هذا الصدد نسائل أنفسنا- نحن المسلمين- أين التغيير الذي كان من المفترض أن يحدثه فينا القرآن؟ فالقرآن لا يكتفي منا بترديد آياته والإكثار من تكرار ختمه طمعا بعشر حسنات من وراء كل حرف نقرأه فقط، بل لابد من التدبر والتفكر والاتعاظ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ (ص: ٢٩) فالتدبر هو المقصد، والثواب المترتب على القراءة هو بمثابة الدافع والمحفز للقراءة، وبتعانق التدبر والقراءة ننتج أمثال عمر وغيره من الصحابة الذين غير القرآن حياتهم..

القرآن بكل حروفه وآياته وسوره يصب في صالح تغيير الإنسان ومجتمعه إلى حال يكون فيه الإنسان أقرب إلى سعادة الدنيا والآخرة.

الهوامش

١- رواه الطبراني في المعجم الكبير رقم: ٤٧، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/ ٤٤٠ .
٢- انظر السيرة الحلبية: ٢/ ٢٠٤.
٣- السيرة النبوية لابن كثير: ٣/ ٤١.

أبي.. لسنا في ثكنة عسكرية

عبدالرحمن ضاحي
باحث متخصص في التربية

دخلت الرياح والشمس في تحدٍ.. أيهما يستطيع إزالة معطف رجل يمشي في الطريق، فبدأت الرياح تصدر أصواتا مخيفة وتهيج وتشتد وتزيد من سرعتها لتنزع معطف الرجل، وكلما ازدادت تمسك الرجل بالمعطف أكثر، وبعدما استنفدت كل سرعتها، أمسك الرجل بشجرة واحتمى بها، فاستسلمت الرياح.

وبعد إعلان الرياح استسلامها ابتسمت الشمس، وطلعت بهدوء، وأرسلت أشعتها إلى المكان حتى ملأه الدفء، فبدأ الرجل يشعر بالحر ويتصبب عرقا، وبالفعل خلع معطفه.. وكسبت الشمس التحدي!

وبإسقاط ذلك المثال على أرض الواقع في المجال التربوي نجد أن بعض المربين يختار الأسلوب الشاق الصدامي في التوجيه «أسلوب الرياح» فتجد صدودا عن الأمر وعدم تنفيذ إلا تحت التهديد.. تاركا الأسلوب الأسهل والأيسر في التوجيه، القائم على الإقناع والحوار «أسلوب الشمس» الذي يخلق الاستجابة الفورية للأوامر دون أدنى مشقة.

فأغلب الآباء للأسف يفتقد أسلوب الإقناع والحوار في تربيتهم لأبنائهم، فيتعامل كأنه في معسكر للجيش تعاملا يقوم على الأوامر المنزوعة من السببية أو المناقشة، فأغلب الأوامر تصدر جافة «قم صل»، «لا تستمع إلى الأغاني»، «لا تضيع وقتك» حتى لم يعد فرق بين أولاده وبين الجنود المنفذين للأوامر بلا إعمال للعقل.

التربية بالإقناع.. لماذا؟

واعلم أيها المربي أن استخدامك لذلك السلاح التربوي فيه بناء وتنمية للعقلية السببية لطفلك تعوده منذ الصغر أن يربط بين الظواهر وأسبابها والنتائج ومقدماتها، وتساعده على النجاح في حياته فجميل جدا أن يقتنع الطفل، أو الشاب، أو الإنسان الناضج، بحكمة ما يفعل، فإن ذلك أيسر للتنفيذ القلبي، وأرجى للثمرة من التنفيذ بغير اقتناع» (١).

كما أن استخدام أسلوب الإقناع والحوار مع المتربي فيه حفاظ على كرامته، إذ إن الشرح ينطوي على اعتراف بأهمية المتربي، ويبعدنا عن إخراج نمط «الإمعة» الذي يتصرف كالتابع الذليل، فنحن نريد أن نربي رجلا مستقل الشخصية، متميز الكيان، يعمل ما يقتنع به، فكما قال الأستاذ محمد قطب إنه «لا يجوز فرض الأوامر فرضًا على الطفل دون اقتناع منه بأدائها؛ لأن ذلك يولد في نفسه كبتا ويفسد شخصيته».

كما أن التربية بالإقناع تنمي المبادرة الذاتية عند المتربي فتجده تلقائيا يتجنب الخطأ ويفعل الصحيح بدون رقابة عليه «فإن فرض الأوامر على الطفل دون اقتناع منه بأدائها يشعره بأن ذلك العمل عبء ثقيل عليه، فيحاول التهرب منه، وواجب المربي هو محاولة احترام الطفل من خلال إقناعه بالأمر، كأن يبين للطفل فائدة قيامه بالعمل، ويحليه في عينيه، وعليه ألا يوجه نواهيه إليه بطريقة استفزازية» (٢)، فإهمال التربية بالإقناع خطأ جسيم يقع فيه الكثيرون للأسف، مما يخلف خبثا في نفوس الأبناء، وتفلتا وتهربا ماداموا بعيدين عن الرقابة.

الإقناع والحوار منهج رباني

وبالتأمل في الخطاب القرآني ستجد أنه يعتمد في كثير من المواضع على أسلوب الإقناع وتنشيط العقلية السببية، بالرغم من أنه كان من الممكن أن يكتفي بأمر طاعة الرسول وإظهار معجزاته، ولكن بيان الحكمة يزيد الفاعل قناعة وتمسكا بما يفعل.

يقول الله تعالى في تحريم الخمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠ –

٩١)، وقال في موضع آخر ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (البقرة: ٢١٩).

بين الله حرمة الخمر بالإقناع فقال:

١. ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾.

٢. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

٣. ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾.

أما بخصوص الخلق والإحياء فقال في شأن من استنكر خلق عيسى بدون أب ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩). فيوجه الله اللوم لمن أنكر مولد عيسى عليه السلام، كيف تنكرون مولده بدون أب وأنتم تؤمنون بمن هو أعجب منه خلقة، فآدم خلق من تراب وبدون أب وأم.

الإقناع والحوار منهج الأنبياء والصالحين

وبالتأمل في أسلوب توجيه الأنبياء لأبنائهم ستجده مفعمًا بأساليب الإقناع والحوار، فعلى سبيل المثال، حين جاء أمر الذبح لسيدنا إبراهيم عليه السلام، جاء إلى ولده إسماعيل ليصارحه ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ﴾ (الصافات: ١٠٢).

استخدم سيدنا إبراهيم أسلوب الحوار والإقناع مع ولده اسماعيل عليه السلام، رغم أن إبراهيم غير مأمور بذلك، ولو ذبح إسماعيل على حين غرة فليس عليه ذنب أو إثم، ولكنه فضل أسلوب الحوار، فلما قال له ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ وزين أسلوبه ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ﴾، جاءه الرد بمبادرة إسماعيل أن ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ﴾ (الصافات: ١٠٢).

كما تؤكد السنة النبوية على هذا المعنى التربوي المفقود، فحين جاء إلى النبي ﷺ ذلك الشاب الذي يستأذنه في الزنى رد عليه معلم البشرية ﷺ: «ادنُه» وجعل النبي- عليه الصلاة والسلام- يحاوره ويقول له: «أتحبه لأمك»؟ قال الفتى: لا والله، جعلني الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك»؟ قال: «لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك»، قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»، قال: «أفتحبه لأختك»؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم»، قال: أتحبه لعمتك؟، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم»، قال: أتحبه لخالتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم»، قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه»، قال: فلم يكن بعدُ ذلك الفتى يلتفت إلى شيء».

فاعتمد النبي ﷺ على أسلوب الإقناع والحوار في معالجة مشكلة الشاب، واستطاع تغيير قناعاته بمجرد استخدام الحوار العقلي في النقاش معه.

مخاطر عدم استخدام التربية بالإقناع في أمور الشرع

لعلك انبهرت يوما ما من تدين رجل أجنبي دخل في الإسلام حديثا، كيف أنه يصلي الفروض في أوقاتها، وكيف أنه سريع الاستجابة لأوامر الله، وتنعت إسلامه دوما بأنه أحسن من بني جلدتك، أتدري ما السر؟ إنه «الاقتناع».. كيف نساوي من تعلم دينه عن «اقتناع» بمن تم تلقينه عدة حركات وعدة كلمات يتفوه بها دون علم بمعناها؟

فعندما نوجه أولادنا لأمر شرعي يجب علينا ذكر الدليل وتفهيمه له قدر المستطاع كي لا يصلي من أجل «أوامر أبي»، وكي لا يترك الخطأ من أجل «تعليمات أمي»، لأنه بمجرد غياب الأب والأم وغياب الرقابة عليه ستجده يرتكب الخطأ، أما الذي تربى على الإقناع وإظهار الدليل، وتربى على عقيدة صحيحة بأن هناك إلهًا يجب أن يطاع وتنفذ أوامره وهو مطلع علينا في كل وقت.. من الصعب أن يزل في حالة غياب الرقيب من البشر.

وللأسف تجد مغبة إهمال التوجيه بالإقناع في الأمور الشرعية ظاهرا على الأولاد، وقد خلف خبثا في نفوسهم، وصاروا متفلتين مادامو بعيدين عن الرقابة، أما الطفل الذي تربى بالإقناع في الأمور الشرعية يكون عنده مبادرة ذاتية لتجنب الحرام تلقائيا، وستكون نفسه سوية فيغير من نفسه ويغير من الآخرين.

التربية بالإقناع لها حدود

إن النفوس البشرية مختلفة، والأبناء منهم من تستفد معه وسعك في إقناعه بالأمر حتى يفعله ويرفض، لذا يجب أن نوضح أن عنصر الإقناع في العملية التربوية له حدود، وإلا فما العمل حين تكون الأرض كلها اجتمعت على أمر معين ولكن الطفل غير مقتنع بذلك، فمن اللازم بيان الحكمة في بداية الأمر، فإن عاند وأظهر عدم الاقتناع فهناك أساليب أخرى يمكن أن تصل إلى العقاب.

الهوامش

١- منهج التربية الإسلامية: محمد قطب.

٢- موسوعة التربية العملية للطفل: هداية الله أحمد شاش.

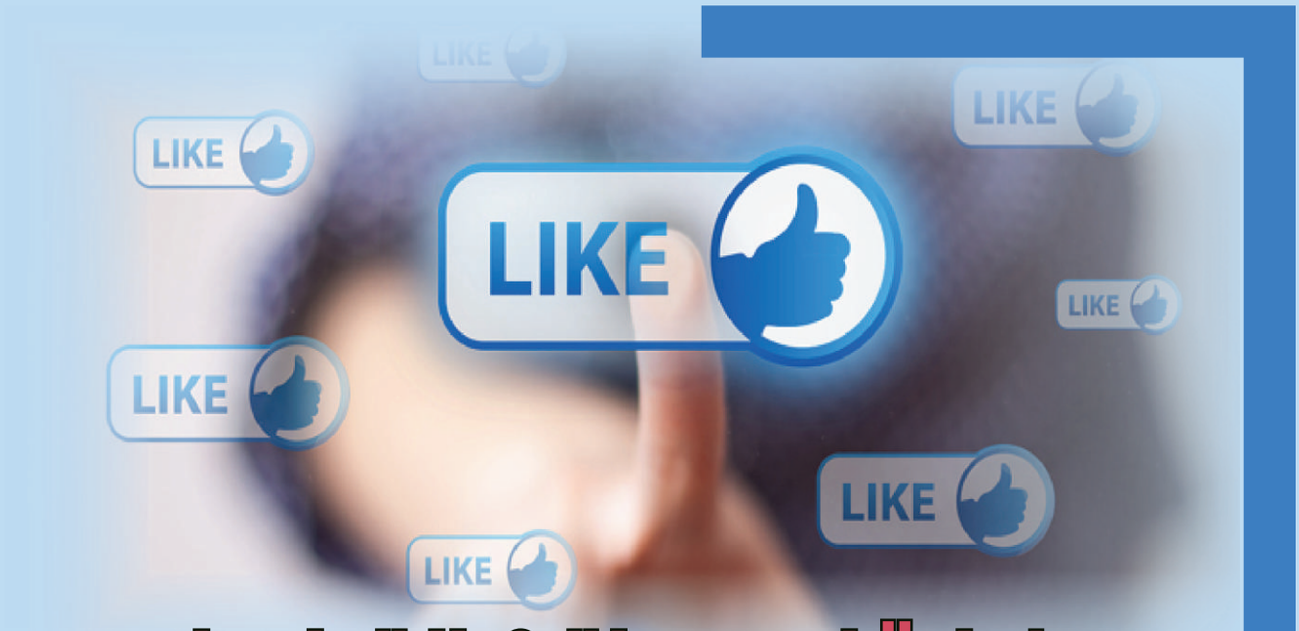

مضايقات مواقع التواصل الاجتماعي.. صداع المراهقين

تحقيق : منير أديب

تحولت مواقع التواصل الاجتماعي، فيس بوك وتويتر وسكايب والواتس آب.. وغيرها، من وسائل للتواصل والتعارف إلى ميادين للمعاكسات بين الشباب والفتيات، فخرجت عن قواعد الذوق والأدب، بفضل ما يطلقه البعض من عبارات وجمل غير مهذبة وكلمات مخجلة، حتى لو كانت على سبيل المزاح، في ظاهرة سلبية أزعجت من استخدموها لغرض التعارف بعفوية أو بنوايا حسنة، وجعلت بعض المتواصلين والمتواصلات يقاطعون تلك المواقع على خلفية ما لحق بهم من متاعب.

نرصد من خلال التحقيق التالي أسباب السلوك غير المهذب، والطريقة التي تضمن تعارفًا حسنًا، بعيدًا عن المبالغة أو تجاوز الحدود، ويطرح التحقيق تساؤلًا عن الطريقة والوقت التي يكف بها الشباب عن استخدام هذه الوسائل، والوقت الآخر الذي يستخدمها فيه الشباب؟

ثم نعرض الأغراض النبيلة لمواقع التواصل الاجتماعي.

معاكسات

يقول أمير طاهر: أعداد الذين يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعي من أجل المعاكسات أو يسخرونها لهذا الغرض قليلة للغاية، وبالتالي من الخطأ تعميم هذه الظاهرة، أو إعطاؤها أكبر من حجمها.

وأضاف، هناك من يستخدم مواقع التواصل الاجتماعي بشكل مبالغ فيه، فتؤدي هذه الطريقة إلى تعدي الحدود اللائقة في الاستخدام، ومضايقة الفتيات، ونفاجأ بعد ذلك بعدم استخدامها إلا في هذا الغرض.

وتابع: ترفض كثير من الفتيات أن يتعرفن إلى شاب من خلال هذه المواقع، لأنهن يدركن أنّ هذا النوع من التعارف لن يكون مجديا، وأن هدف الشباب هو المعاكسة فقط.. دون وجود تعارف حقيقي.

تقول آية عبدالله: وسائل التواصل فتحت آفاقًا كبيرة للتعارف المتبادل، خاصة إذا لم يكن الصديقان أبناء وطن واحد، وبالتالي تكون هناك فرصة للتعرف على الثقافات المختلفة لكل منهما.

وتضيف، الاستخدام المفرط لوسائل التواصل الاجتماعي يدفع الشباب للطمع في الفتيات ومحاولة مضايقتهن، وهناك نوعية من الشباب تقوم بمعاكسة الفتيات الجديدات، مع تعمد عدم معاكسة الصديقات خشية أن يتسببن في فضحهم.

وأكدت أنّ دور الفتاة كبير في الحد من هذه المعاكسات، فيجب ألا تستخدم وسائل التواصل الاجتماعي بطريقة مبالغ فيها، أو أن تستفز الشباب لمعاكستها، وعليها أن تعتزل

برامج الدردشة، لو كانت سببًا رئيسيًا في المعاكسة، لقطع الطريق أمام الشباب المتسكع على صفحات الفيس بوك وغيره.

يقول محمود التهامي: أنا لن أدافع عن مواقع التواصل الاجتماعي واستخدام الشباب لها، ولن أهاجمها أيضًا، ولكن ما أستطيع أن أقوله: إنها وسيلة، حلالها حلال وحرامها حرام، ولكنها مهمة للتعارف بين الأشخاص، والتعرف على الثقافات المختلفة، وبالتالي فهي مهمة.

وأضاف، دائمًا ما نجد أولياء الأمور- لأنهم لا يستوعبون وسائل التكنولوجيا الحديثة- يسعون إلى شيطنتها، ووصفها بصفات سيئة، في محاولة لصرف أبنائهم عنها، وهذه طريقة خاطئة وعبثية.

وأكد، أنّ كل الأدوات التكنولوجية لها استخدام حسن وآخر سيئ، وبالتالي فإن الفارق في هذا الأمر هو طريقة الاستخدام، فكلما كان الاستخدام راشدًا نأى صاحب الشيء بنفسه عن الاستخدام السيئ.

وتقول هدير محسن: اضطررت لغلق حسابي على الفيس بوك، لأنني أتعرض لمطاردات ليل نهار ومعاكسات من أشخاص لا أعرفهم، فرغم أنني لم أضع صورتي على البروفايل ولا أيًا من بياناتي الخاصة، فإن هذه المطاردة استمرت حتى أخذت قرارًا بغلق الحساب.

وتضيف: بعض الشباب خصص نفسه للمعاكسات والمشاكسات دون أي كلل أو ملل، أو دون مراعاة لأي أخلاق أو حتى قيم، وهو ما يسبب ألما وحزنا لكل الفتيات، ويدفعهن لاعتزال استخدام هذه الوسائل التكنولوجية.

وأكدت أنّ بعض المعاكسات يقوم بها بعض الفتيات اللائي يتقمصن شخصية رجل، ويقمن بمعاكسة زميلاتهن ومضايقتهن بما لا يحبون سماعه.

ويقول محمود بسيوني: مرات أحاول التعرف على فتيات، فأجدهن يتصدين لي ويرددن بردود لم أكن أتخيلها، وألتمس لهن العذر، ومرات أقوم بتسجيل أصدقاء وصديقات لي في العمل، فتتأخر الموافقة على قبول الصداقة، ويبالغن في ذلك نتيجة ما تعرضون له، وخشية مما

فتيات يطالبن بترشيد الاستخدام ووضع ضوابط حتى لا يقعن فريسة

قد يتعرضن له.

وأضاف، بعض الخوف والقلق مشروع، ولكن هناك قلقًا غير مشروع على الإطلاق، في أن يكون هناك تأثير لهذه المواقع على قبول صداقات جديدة، أو وضع النّاس كلهم في سلة واحدة.

وأكد على ضرورة أن يكون الإنسان مرنًا، فلا يكون لينا فيعصر ويتعرض للمتاعب والمشاكل، ولا يكون صلبًا فيرفضه الآخر ويخاف منه، ويتسبب ذلك في حصاره.

تقول سها محمود ولية أمر: دائما بناتي يشتكين من استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، وقد قمن بترشيد هذا الاستخدام؛ حتى يبتعدن عن المعاكسات وما تسببه لهن من مشاكل اجتماعية.

وأضافت: قد شاركتهن في هذا القرار، وشجعتهن على أخذه، لأنه يؤثر بشكل كبير على حياتهن، ويسبب لهن مضايقات كثيرة، دون معرفة مصدر هذه المضايقات التي تبعث إليهن فجأة، مع العلم أنّ كثيرا ممن يظهرون على هذه المواقع يظهرون بأسماء مستعارة وغير حقيقية.

وطالبت بضرورة تقليل استخدامها والاعتماد عليها في التعارف، فكثير من النّاس يراها طريقة مزيفة وليست حقيقية، فضلًا عن أنّ الإنسان لا يستطيع التعبير عن مشاعره من خلالها بشكل حقيقي وصحيح.

ويقول محمود الجارحي ولي أمر: أولادي يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعي بطريقة جنونية، وربما يقضون الساعات الطويلة في استخدامها، وفوجئت أنها تنقل الكثير من الفيروسات، فضلًا عن تضييع الوقت، ويستخدمها أبنائي في التعرف على الفتيات ومعاكستهن، فاضطررت لإلغائها تمامًا، وقللت من استخدامهم لجهاز الكمبيوتر في البيت.

ويضيف قائلا: إنّ أغلب استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بالنسبة للشباب محصورة في معاكسة الفتيات، وهو ما يسبب لي المتاعب بعد ذلك، إما من شكوى ولي أمر، أو من، مباحث التليفونات.

ويحكي، أنّ ابنه وقع في مشكلة كبيرة، وقامت أجهزة الأمن بالتعرف عليه، وقاموا بإلقاء القبض عليه، بسبب معاكسة فتاة على الإنترنت، وهو ما اضطرني للذهاب لوالد الفتاة واستسمحته حتى لا يضيع مستقبل ابني.

البيئة الاجتماعية

تقول الخبير الاجتماعي د.سامية خضر: على أولياء الأمور أن يتعاملوا مع أبنائهم وبناتهم بذكاء شديد، فكلما حاولوا منعهم من استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، أو وسائل التكنولوجيا على العموم تسبب ذلك في تمسك الشباب بهذه المواقع وفقد أولياء الأمور السيطرة عليهم.

وأضافت، لابد أن يستوعب أولياء الأمور استخدام أبنائهم لهذه الوسائل، وأن يشجعوهم عليها.. ولكن بشرط أن يضعوا حدودا ومحاذير على هذا الاستخدام، وأن تكون غير مباشرة، حتى لا يحدث العكس، فيصر الشباب على استخدامها.

ولفتت إلى أن تعليق أولياء الأمور يكون مقصورا فقط على الاستخدام السيئ، أما بالنسبة للاستخدام عمومًا، فلابد للشباب أن يضعوا المحاذير بأنفسهم، وأن يرسموا ضوابط للاستخدام حتى لا يقعوا فريسة لأحد.. وإذا حدث، فلابد أن تكون لديهم آلية للتعامل مع المضايقات التي يسببها البعض.

وتابعت، وضع ضوابط من عدمه على استخدام الشباب يختلف من عينة لأخرى، ومن بيئة لأخرى.. حسب تربية كل واحد، فهناك من يرفض ذلك رفضًا باتا، وهناك من يقبله بحدود، ولذلك من المهم التفاهم حول صيغة لا تسبب التصادم بين الأبناء وآبائهم، وتكون إرشادية في نفس الوقت، لتمنع عنهم المضايقات التي قد تؤذيهم.

عسل النحل..

فوائد غذائية وعلاجية لا حد لها

منى الموجي - القاهرة
دار الإعلام العربية

يمتلك خصائص لمقاومة الجراثيم تجعله بديلا لكثير من المضادات الحيوية

يحظى عسل النحل بمكانة مهمة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، لما له من فوائد غذائية وعلاجية، فنجد سورة كاملة في القرآن باسم «النحل»، هذه الحشرة متعددة الفوائد، قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (النحل: ٦٨ – ٦٩) وبين العادات اليومية والآراء العلمية المتخصصة نبقى وهذه التفاصيل عن فوائد عسل النحل..

اهتمت العديد من الأبحاث والدراسات بإثبات الفوائد العلاجية للعسل، من بينها دراسة أظهرت أن العسل يملك خصائص يستطيع من خلالها مقاومة الجراثيم، كما أظهر فعالية ضد البكتيريا المقاومة للمضادات الحيوية، والتي طوّرت أجهزتها المناعية لمقاومة المضادات، ما جعل مقاومتها بالأدوية العادية أمرًا صعبًا، وأوضحت الدراسة التي أجرتها جامعة سيدني الاسترالية أن العسل يمكن أن يحل محل كثير من المضادات الحيوية المستخدمة في معالجة الجروح كالمراهم والكريمات المختلفة، كما أن استخدامه كوسيلة مساعدة للعلاج يزيد من عمر المضادات الحيوية.

مثالي للأطفال

وبحسب القائمين على الدراسة، فإن العسل يعتبر من أكثر المواد تعقيدًا في تركيبته، إذ يحتوي على ما يقارب الـ٨٠٠ مركّب، وهذا التعقيد يجعل من الصعب على العلماء أن يدركوا تمامًا الآلية التي يقوم من خلالها بمقاومة البكتيريا وقتلها.

كما أكدت دراسة أخرى أجراها المركز القومي المصري للبحوث على أن عسل النحل أثبت فاعليته في علاج كثير من أمراض الأطفال، وأنه يفيد في علاج حالات الدوسنتاريا والتقلصات المعوية للرضع، وكذلك الإسهال الحاد، حيث يمتص السموم ويقتل البكتيريا، كما أنه يفيد في منع التبول اللاإرادي، كما أكد أستاذ المناعة بالمركز والمشرف على الدراسة د.أحمد جعفر حجازي على أن العسل يساعد على نمو العظام والأسنان، ووقاية الأطفال من خطر الكساح؛ لاحتوائه على الكالسيوم والفوسفور، كما أنه يعالج التهابات اللثة واللسان وتسوس الأسنان وتشقق الشفاه؛ لاحتوائه على مادة الفلور.. أيضًا يعالج ضعف البنية لدى الأطفال وفقر الدم والأنيميا؛ لاحتوائه على فيتامينات C،B١، كما يعمل على زيادة نسبة الهيموجلوبين بالدم ويقوي المناعة، خاصة للأطفال الرضع، ويساعد أيضًا في عملية هضم البروتين، كما أنه مهدئ جيد للسعال الجاف، وذو تأثير ملطف لالتهاب اللوزتين والحلق، ويفيد في حالات صعوبة الابتلاع وجفاف الحلق، كما أن العسل أكثر ما يحتاج إليه الطفل الرياضي، فهو يعوض جسمه مما فقده بسبب المجهود الجسماني أو الذهني، كما أنه مصدر جيد للطاقة والفيتامينات.

يقي من خطر الكساح ويعالج التهابات اللثة واللسان

يعالج الدوسنتاريا والتقلصات المعوية للرضع ويقتل البكتيريا

ويقول أكرم أحمد (طالب) إنه حريص على تناول ملعقة من عسل النحل يوميًا بعد أن نصحه مدربه لكرة القدم على جعل هذا الأمر عادة لا تنفصل عن حياته، خاصة إذا أراد أن يحترف المجال الكروي، لما لعسل النحل من فوائد كثيرة، إلى جانب إمداده بالنشاط والحيوية.

شباب متجدد

بينما يؤكد حسام عربي أن هذه العادة تصاحبه منذ أكثر من ثلاث سنوات، حيث اعتاد أن يتناول ملعقة عسل نحل يوميًا، أو ملعقتين من العسل الأسود، مع إضافة قليل من عصير الليمون كمطهر للمعدة.

في حين ترفض سلوى محمد تناول العسل، موضحة إلى أنه من الأطعمة التي لا تحب أن تتناولها على الرغم من معرفتها بفوائده الغذائية والعلاجية، ومع ذلك تؤكد أنها حريصة على تقديمه لأطفالها، إدراكا منها بأهمية عسل النحل في تقوية الجهاز المناعي، خاصة بالنسبة لصغار السن.

بينما يؤكد مدحت العطار أنه تجاوز من العمر ٦٥ عامًا، ومع ذلك يشعر بحيوية ونشاط رجل في الأربعين من عمره، وبرر ذلك

يقوي الجهاز المناعي عند الأطفال

بأنه تعود منذ صغره على تناول عسل النحل كوجبة أساسية يوميًا إما في الإفطار أو في العشاء، مؤكدًا أنه بلا شك وصفة لا تخيب للحيوية والشباب المتجدد.

ينظِّم مستوى السكر

إلى ذلك، يؤكد رئيس قسم الأغذية وعلوم الأطعمة بكلية الاقتصاد جامعة حلوان د.عبدالرحمن عطية على أن للنحل فوائد عديدة من حيث مقاومة الأمراض، فمن منتجات مملكة النحل: العسل، والصمغ، والشمع، وحبوب اللقاح، وإذا تحدثنا عن العسل فيفضل شرب العسل كما هو أو تخفيفه بماء بسيط دون تسخينه، كما يفضل البعض شربه مع الحليب.

ويشير إلى احتواء العسل على المركب الأساسي سكر الفركتوز، وعند تناول الإنسان للعسل فإن هذا السكر يمتاز بأنه بطيء الامتصاص، ويعمل على حفظ مستوى السكر في الدم، وبالتالي، فإن مريض السكر لا يخشى من تناول عسل النحل الطبيعي، لكن دون أن يفرط في تناوله، موضحًا أن مريض السكر يكفيه نصف ملعقة صباحًا، كما يحتوي العسل على هرمون يشبه الأنسولين ما يؤدي إلى تنظيم مستوى السكر في الدم، فضلا عن أنه يحتوي على نسبة عالية من السكر، فينشط البنكرياس لإفراز الأنسولين.

ولفت أيضا إلى احتواء العسل على مواد مؤكسدة مثل الكتالاز التي تجعل هذا السكر أكثر سهولة في الجسم، فلا يتسبب في ارتفاع نسبة السكر، بل يمد الجسم بالطاقة والنشاط، ويعمل على تنشيط الأمعاء ومقاومة عملية التخمر فيها، ويمنع الإمساك، ويسهل عملية الإخراج، كما يزيد من نسبة الهيموجلوبين في الدم، ومن هنا تأتي أهميته للأطفال الصغار الذين يعانون من انخفاض نسبة الهيموجلوبين.

وبحسب عطية، فإن تناول ملعقة من العسل صباحًا يساعد الإنسان على النوم الهادئ مساء، ويقلل من إحساسه بالقلق، مشددًا على أن العسل بتركيزه العالي من السكريات وانخفاض نسبة الرطوبة فيه يؤدي إلى إيقاف نشاط ونمو الميكروبات المرضية، وبالتالي لا تعيش هذه الميكروبات في العسل، فهو مادة مضادة للبكتيريا.. كما أن احتوائه على بعض العناصر المعدنية ذات التأثير الحامضي والقلوي يقلل من قرحة المعدة.

مرطِّب للجلد والبشرة

بينما يشير استشاري التغذية العلاجية د.عبدالعزيز حجازي إلى أن عسل النحل أحد أنواع ومصادر سكر الجلوكوز التي يصعب على الجسم تحويلها إلى دهون، حيث يتم تحويل معظمه إلى طاقة، لذلك هو من نوع السكريات المسموح لمرضى السكر بتناوله، إضافة إلى أنه لا يتسبب في الإصابة بالسمنة، طالما هناك حركة تقابل تناوله.

كما أن تكوين عسل النحل يحتوي على كثير من العناصر التي تزيد من كفاءة جهاز مناعة الجسم، ويعتبر علاجًا مثاليًا لاضطرابات القولون والمعدة، وهناك العديد من الأبحاث التي تؤكد على احتوائه على مضادات البكتيريا التي تساعد الجسم على التخلص من اضطرابات الأمعاء والتهابات المعدة.

وصفة لا تخيب للحيوية والشباب المتجدد

وأوضح حجازي أن عسل النحل يختلف عن معظم السكريات، حيث إنه من الصعب أن يتسبب في إصابة المعدة بحموضة بعد تناوله، لأنه ليس من المواد التي تؤدي إلى تهيج جدار المعدة مثل معظم السكريات.. كما أن للعسل فائدة كبيرة في التئام الجروح والحروق والقرح، إضافة إلى ترطيب الجلد ومقاومة الجفاف الذي قد يصيب البشرة.

فيه شفاء للناس

من المواضع التي ذكر فيها العسل في القرآن الكريم ما جاء في سورة «محمد» حيث قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾

وقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

(النحل: ٦٨ – ٦٩)

عند تنفيذ الخطط لتحقيق الأهداف:

تذكر أنك بشر

د. سلطان السهو المطيري
دكتوراه في المحاسبة

وتنفيذها، ويستقرئ النتائج كما خُطط لها.

وفي الوقت ذاته لابدَّ له أن يعلم بأن الله العزيز المجيد- الذي يفعل كل ما يريد، وبالكيفية التي يريد، وفي الوقت الذي يريد- هو الذي يهيئ الأمور، ويسبب الأسباب.

ولعل الدافع للتخطيط، هو

خلق

له في

ر.

من أجل ذلك ولكي يكون العمل نافعا ناجعا، فإنه يجب على الإنسان عند إرادته للعمل، التوكل على الله، وطلب العون والتيسير منه، مع التخطيط والعمل بجد، من باب الأخذ بالأسباب، علما بأن ثقافة الأخذ بالأسباب هي أصل في ديننا الحنيف،

فهذا خير البشر رسول الله محمد ﷺ، وهو المسدد من الله تعالى، عندما أراد الهجرة من مكة إلى المدينة وضع خطة محكمة، واتخذ دليلا يدله على الطريق.

وختاما: إن من التوكل على الله الرضا بالنتائج مهما كانت، لأنك بذلت الأسباب وتوكلت على مسببها.. نسأل الله أن يرزقنا حسن التوكل عليه.

إعداد : سلمان داود الكندري
كاتب ومدرب معتمد في التنمية البشرية

فنون القراءة

قد يرجع بعض الناس بعدهم عن القراءة إلى قلة الوقت، وهو أمر غريب، لأنهم يجدون أوقاتا للطعام، والشراب. والسينما، ومشاهدة التلفاز، والجلوس في المقاهي، فمن كان حريصا فعلا على القراءة يمكنه أن يجد وقتا كافيا لها، وعليه فلنجعل للقراءة جزءًا من الجدول اليومي بحيث تصبح هذه الملكة عادة يومية كالطعام والشراب، وسأسوق بعض الأفكار والتقنيات لكيفية القراءة والاستفادة القصوى مما نقرأ:

خصص وقتا للقراءة

يروى أن العالم إسحاق نيوتن كان ينام بشكل متقطع، ينام الساعتين ثم يستيقظ ليقرأ ويعمل، وإذا ما أحس بالملل نام ساعتين أخريين، وقام مجددا ليقرأ، فتخصيص وقت للقراءة أمر مهم جدا.

استغل أوقات الانتظار

هنالك أوقات كثيرة تضيع هدرا أثناء الانتظار، في السيارة مثلا، أو في الدوائر الحكومية، أو في الطائرة أثناء السفر، فحاول أن تصطحب معك كتيبا صغيرا تقرأ منه في هذه الأوقات الضائعة بدلا من القلق والتفكير في الانتظار، فكم من أناس ألفوا كتبا وصنعوا مشاريع من هذه الأوقات البسيطة التي قد نحتقرها.

ارتباط القراءة بقيام الحضارات

(١) الحضارة اليونانية

رغم قدم الحضارة اليونانية، كونها ترجع إلى ما قبل الميلاد، فإن آثار هذه الحضارة وإنتاجها الفكري والأدبي الغزير لا تزال مؤثرة في [illegible] اليوم، فقد عرف عن كثير من اليو القراءة بشكل كبير جدا، كأفلاطون وأرسطو وسقراط.

(٢) الحضارة الإسلامية

عندما نتحدث عن الحضارة الإسلامية العريقة أقف إجلالا لهذه الحضارة العظيمة التي انطلقت من دستور رباني: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، حيث بلغت هذه الحضارة من الرقي والعمران ما أذهل كل الحضارات، كالقصور الأندلسية وهندستها الإسلامية التي لا تزال آثارها شاهدة اليوم في غرناطة وإشبيلية وقرطبة، فعلماء المسلمين الذين انكبوا على القراءة والاطلاع في العلوم المختلفة استفاد منهم الأوربيون [illegible] عاتهم وحضارتهم.

نهد شاهد من أهلها

يقول المستشرقان (هارولد جولد وايت) و(كاتي كوب) في كتابهما إبداعات الفكر: «كان المسلمون مفعمين بالحياة أنقياء، وكانوا أناسا تواقين متحمسين للفكر.. فالديانة الإسلامية تتطلب من الأشخاص أن وا القرآن من أجل أنفسهم.. هذا التشديد على القراءة تمام بكل الحرف الفكرية».

خصص لك مكانا جيدا للقراءة

اجلس في مكان مريح وتحت إضاءة مريحة للعين، بعيدا عن الإزعاج، حتى تتعود وتعيش أجواء القراءة السليمة بدون مقاطعات، وأنا شخصيا أفضل القراءة في المسجد، أو على البحر، أو في الحديقة، أو في أحد المقاهي الهادئة.

الساعة البيولوجية

كل إنسان فينا لديه ساعة معينة من اليوم يبلغ فيها نشاطه العقلي ذروتـه، وينصح العلماء والباحثون بشدة باستغلال هذا الوقت بأعمال تحتاج لتركيز عالٍ كالقراءة مثلا، حتى تستفيد أقصى درجة ممكنة مما تقرأه، ولعل أفضل ساعة للقراءة هي بعد صلاة الفجر، لحديث الرسول ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها».

كيف تختار الكتاب الجيد؟

(١) اختر كتابا نافعا

كثير من الناس يشترون الكتب بناءً على أغلفتها الجذابة، وهذا أمر غير صحيح، فحاول أن تختار كتابا بناء على حاجاتك للمعرفة.

(٢) نظرة متفحصة على الكتاب

طالع الكتاب واقرأ المقدمة والمحتويات، ودار النشر، والفصول، وحجم الخط المناسب بسرعة وبدقائق معدودة، وكذلك اقرأ قليلا لتتعرف على أسلوب الكتاب وطريقته.

(٣) استخدم أسلوب التلخيص

لتحقيق أقصى درجة من الاستفادة من الكتاب لخص كل فصل قمت بقراءته على ورقة ملصقة داخل الكتاب بحيث إذا أردت أن ترجع للكتاب فترجع للملخصات فقط دون الحاجة إلى قراءة الفصل بأكمله، وهذه هي الطريقة التي أتبعها في قراءة الكتب.

(٤) استخدم البطاقات

اجعل بجانبك أثناء القراءة بطاقات صغيرة دوّن فيها الأفكار الجيدة والأقوال والحكم، والتمارين التي تفيدك في مشروع قادم، كتأليف كتاب، أو إعداد صفحة مثلا، أو لإلقاء كلمة جماهيرية، أو لاستخدامها أثناء حديثك.

(٣) الحضارة اليابانية

اليابان هذا البلد الصغير جغرافيًا الذي يعاني من شح موارده الطبيعية لكنه غني بعناصره البشرية، وبعد الدمار الذي حل باليابان بعد الحرب العالمية الثانية بإلقاء القنبلة الذرية قامت اليابان من الصفر، وأخرجوا من ركام الحرب حضارة راقية أصبحت من القوى الصناعية الضاربة في العالم.

إحصائيات مزعجة

- متوسط القراءة في العالم العربي ٦ دقائق في السنة، بينما متوسط القراءة في إحدى الدول الأوروبية ٢٠٠ دقيقة في السنة!
- توجد في الكويت مكتبة واحدة فقط لكل ٣٠ ألف نسمة!
- ما تطبعه كل دور النشر العربية أقل من نصف ما تطبعه إسرائيل في الفترة نفسها!
- يصدر كتاب لكل ربع مليون مواطن عربي، بينما يصدر كتاب لكل ١٥ ألف مواطن في العالم المتقدم.

أفكار

- من اليوم كوّن لك مكتبة خاصة في منزلك وانتقِ الكتب الجيدة التي تغذي العقل إيجابا وابتعد عن كلِ ما هو سلبي.
- ضع لك قائمة شهرية وسنوية بالكتب التي ستقرأها وخصص لنفسك معدلا معينا للقراءة يوميا.
- كون لك مجموعة القراءة من عدة أشخاص، بحيث تتفقون على كتاب معين لهذا الشهر، ثم تتناقشون في الكتاب وتبدون الملاحظات والأفكار حول هذا الكتاب، وهذه من أعظم الطرق للتحفيز على القراءة في جو تنافسي جميل.
- احمل معك كتيبات صغيرة في السيارة أو في جيبك واقرأها بين الحين والآخر في ساعات الفراغ وأوقات الازدحام والانتظار.
- اطلع على كل ما هو جديد في الكتب والمجلات، واقرأ حتى تواكب التطور الرهيب في الثقافة والفكر.

إعداد : خالد خلاوي

طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي

يعد كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي على رأس قائمة كتب التراجم الأدبية، وأول كتاب في النقد الأدبي وتاريخ الشعر العربي، وقد عني الدارسون والباحثون بهذا الكتاب عناية فائقة قديما وحديثا، فصدرت عنه العديد من الكتب والدراسات الأدبية ورسائل الماجستير والدكتوراه.

وقد جمع ابن سلام في كتابه آراء الأدباء والعلماء في الشعر والشعراء، ودرسها دراسة نقدية علمية من حيث الشرح والتحليل، وذكر الأسباب والمسببات ومن ثم قسم الشعراء بناء على قواعد محددة إلى طبقات(مستويات) في قسمين رئيسيين:

القسم الأول: في الشعراء الجاهليين وأصحاب المراثي، ووضعهم في عشر طبقات، وشعراء القرى العربية.

والقسم الثاني: وهم الشعراء الإسلاميون، ووضعهم أيضا في عشر طبقات، يذكر أسماء الشعراء وأنسابهم وأخبارهم وشيئا من أشعارهم ومروياتهم الشعرية.

وعن مفهوم الطبقة يقول شيخ محققي العربية الأستاذ محمود محمد شاكر الذي حقق الكتاب في مقدمته:

«إن كلمة طبقة موجودة في كلام العرب منذ القديم، وقدمها قدم اللغة ذاتها، ولكنها تطورت مع الزمن وأخذت مدلولات متعددة في حياة العرب، لكن صار لهذه الكلمة مجاز آخر عند الكتاب والمؤلفين حين جاء عصر التدوين، فتناوله المؤلفون والكتاب في مختلف العلوم والفنون إلى أن وصلنا لهذا المعنى المعروف المتداول (١).

محمد بن سلام ومكانته

ومؤلف الكتاب هو محمد بن سلاّم بن عبدالله بن سالم، أبوعبدالله البصري، ولد بالبصرة في سنة ١٣٩هـ في بيت علم ولغة، فأبوه سلام بن عبدالله، وأخوه عبدالرحمن بن سلام أحد رواة الحديث الذين روى عنهم مسلم.

تنقل ابن سلام بين عدة بلدان لطلب العلم، وتردد على شيوخ عصره وسمع من كبار النحاة واللغويين، ومنهم: المفضل الضبي، والأصمعي، ويونس بن حبيب، وأبوزيد الأنصاري، وأبوعبيدة معمر بن المثنى... وغيرهم.

وروى عنه أحمد بن يحيى ثعلب، وأبوحاتم، والرياشيّ، والمازني، والزياديّ، وأحمد بن حنبل وابنه عبدالله.

ومن مؤلفاته:

- كتاب غريب القرآن
- كتاب الفاصل في مُلح الأخبار والأشعار
- بيوت العرب
- طبقات الشعراء الجاهليين
- كتاب طبقات الشعراء الإسلاميين
- كتاب الحلاب وأجر الخيل

عاش ابن سلام في بغداد معظم حياته، وتوفي فيها سنة ٢٣١هـ=٨٤٦م.

بين النقد والتاريخ

يرى الناقد الأدبي الدكتور مصطفى مندور(٢) أن كتاب «طبقات الشعراء» لمحمد بن سلام هو أحد النماذج المنتخبة التي يختلط فيها المنهج

النقدي بالمنهج التاريخي، والتي تمثل مرحلة مبكرة في تاريخ أدبنا العربي.
و مهمة ابن سلام في تصنيف الشعراء إلى طبقات تكشف عن أن المؤلف كان يتخذ لنفسه مقاييس نقدية حدد في ضوئها الطبقة التي يضع فيها الشاعر، وقد كانت أحكام الناس المنتشرة مما دخل في اعتباره، ثم كانت كثرة الأغراض الشعرية التي أنشد فيها الشاعر ثم كانت كثرة القصائد الطيبة التي تروى عن الشاعر.
وإلى جوار هذه العوامل كان أيضا عنصر الزمان والمكان، فقد قسمهم إلى جاهليين وإسلاميين، ثم ذكر طبقات شعراء القرى. وبقي بعد ذلك عنصر الفن الشعري الذي في ضوئه كتب طبقة أصحاب المراثي.
ومع هذه المقاييس النقدية نستطيع أن نجد إلى جانب تاريخ الأدب، صورة لما كانت عليه الاتجاهات النقدية حتى أوائل القرن الثالث للهجرة، والتي يمكن أن نلخصها في اتجاهات أربعة وهي:

الاتجاه الأول

وهو أقدمها زمانيا، وكان يكتفي في أحكامه النقدية بتقرير أفكار عامة دون تعليل أو تبرير، كقولهم: إن أشعر الجاهليين المرقش وأشعر أهل الإسلام كثير، أو مثل موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي يقدم فيه النابغة الذبياني على سائر الشعراء لأنه قال:
فلست بمستبق أخا لا تلمه -- على شعث أي الرجال المهذب
وأمثلة هذه الأحكام التي لا تخضع لمحاولات تبررها منتشرة في طيات الكتب، وهي تمثل دون شك المرحلة الفطرية التي كان الانفعال بطاقة البيت أو الشاعر هو الباعث الأساسي على إصدار الحكم (انظر ص ٤٤ من الكتاب).

الاتجاه الثاني

وفيه بدأت بوادر تحليل الحكم النقدي ورده إلى أسباب ترتبط بالنص أو بالشاعر، فالذين قدموا امرأ القيس فعلوا ذلك لأنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها؛ استحسنتها العرب واتبعته فيها الشعراء منها: استيقاف صحبه والبكاء على الديار، ورقة النسيب.. وقرب المأخذ، وشبه النساء بالظباء والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصي، وقيد الأوابد وأجاد في التشبيه وفصل بين النسيب والمعنى (ص ٤٦).

الاتجاه الثالث

وكان يذهب فيه فريق من النقاد الأدباء إلى معالجة صياغة القصيدة وما فيها من أخطاء أو سرقات، وكذلك الحديث عن عيوب الشعر الأربعة: الزحاف والسناد والإبطاء والإقواء(ص٥٥) ويذكر ابن سلام أن الإقواء في شعر العرب كثير، وهو فيمن دون الفحول من الشعراء أكثر (ص ٥٩).

الاتجاه الرابع

وفيه نلمس بوضوح بداية النقد المنهجي والنقد الفني، ومحاولة الكشف عن أثر البيئة في الشعر، وعلى سبيل المثال الشاعر عدي بن زيد كان يسكن الحيرة ومراكز الريف، (فلان لسانه وسهل منطقه (ص١١٧). وكما أثرت البيئة المدنية أثرت العلاقات القبلية والاجتماعية.
هذه اتجاهات أربعة قد صب ابن سلام فيها ما كان شائعا في عصره، وإن تفاوتت أهميتها بالنسبة له أو لمن بعده، وبقي إلى جوارها أمثلة عديدة من الأحكام النقدية التي يمثل بعضها ذوق صاحبنا، ويمثل البعض الآخر ذوق عصره وعلمائه، وكلها تردنا إلى ما قلنا عن أهمية منهج ابن سلام الذي يخلط فيه بين تاريخ الأدب وتاريخ النقد، والنقد التطبيقي.

قطوف من الكتاب

من المقدمة:
يقول ابن سلام: ذكرنا العرب وأشعارها، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها، إذ كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب، وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها، فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم، ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب، فبدأنا بالشعر (ص٥٠).
ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام، والمخضرمين، فنزلناهم منازلهم، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة، وما قال فيه العلماء.
وقد اختلف الناس والرواة فيهم، فنظر قوم من أهل العلم بالشعر، والنقاد في كلام العرب، والعلم بالعربية.
إذن، اختلف الرواة، فقالوا بآرائهم، وقالت العشائر بأهوائها، ولا يقنع الناس مع ذلك إلا الرواية عمن تقدم.
فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا، فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه، فوجدناهم عشر طبقات، أربعة رهط كل طبقة، متكافئين معتدلين (ص٢١-٢٢).

قضية انتحال الشعر:

قال ابن سلام: لما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم، وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أنْ يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على ألسن شعرائهم، ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت، وليس يُشكل على أهل العلم زيادة ذلك، ولا ما وضع المولدون.
وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء، أو الرجل ليس من ولدهم، فيُشكل ذلك بعض الإشكال ص (٣٩- ٤٠).

المصادر:

- مقدمة كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام، ط٢، ج١- القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٧٤م، ص٦٦.
- سلسلة تراث الإنسانية، كتاب طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي، د.مصطفى مندور، المجلد الأول ص ٦٥٤ وما بعدها بتصرف، ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، بدون تاريخ.

إعداد : د. محمود محمد الكبش
الباحث بوحدة البحث العلمي
-إدارة الإفتاء-

المرأة ومنصب الإفتاء

النساء شقائق الرّجال؛ ولهنّ في أحكام الشّريعة ما للرّجال، إلّا ما ورد الدّليل فيه بتخصيص المرأة بحكم تَنفرد فيه، كما قـرّره العلمـاء في مَواضعـه من العبادات والمعاملات.

والمرأةُ كالرجل في طلب العلم، والقراءة، والتّأليف، وغيرها، لا فرق بينها وبين الرّجل إلا فيما خصّه الدّليل، كالقضاء ومنصب الإمامة.

وإذا كان للمرأة طلب العلم والكتابة.. فلها الإفتاء وتعليم النّاس كذلك، ذلك أنّ أحدًا من العلماء لم ينقل شرطَ الذّكورة في المجتهد والمفتي.

وورد في حديث الشّفاء بنت عبدالله رضي الله عنها ما يدلّ على جواز تعليم النّساء العلم والكتابة، حيث قالت: «دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ وأنا عند حفصة؛ فقال لي: ألا تعلمين هذه رُقية النَّملة؛ كما علمتيها الكتابة»، (رواه أحمد ٣٧٢/٦ وأبوداود ٣٨٨٨).

قال الإمام الونشريسي رحمه الله: «وإنّما اتّفق العلماء على قبول رواية المرأة عن النّبيّ ﷺ، وفتواها في الحلال والحرام، وغير ذلك من النّوازل والأحكام؛ إذا كانت من أهل الاجتهاد والأحكام». (عدة البروق، ص١٩٦).

وقد خاطب الله تعالى النساء بالإيمان، والمعرفة، والأعمال الصّالحة في العبادات والمعاملات كما خاطب الرّجال. وجعل لهنّ عليهم مثل ما جعل لهم عليهنّ، وقرن أسماءَهن في آيات كثيرة، وبايع النّبيّ ﷺ المؤمنات، كما بايع المؤمنين،

تسافر إلى أهلها بمفردها بالطائرة

٨٤/١٢/ع١/١

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التّالي:

هل يجوز لزوجتي أن تسافر بمفردها من النرويج متوجهة إلى أهلها في المغرب؟ مع العلم بأن المسافة في الطائرة لن تستغرق أكثر من عشر ساعات (من الصباح إلى المساء)، وأنّها لن تبيت إلا في بيت أهلها.

أجابت اللجنة بما يلي:

إن المَحْرَمَ أو الزوج يشترط أحدهما للمرأة لحالة السفر فقط، (ولا يشترط وجوده في بلد إقامة المرأة)، ومع ذلك إذا تعذّر أو شقّ أن يصحبها في حالة السفر زوجٌ أو محرَمٌ، وكان السفر مأمونا (كما هو الحال في السفر بالطائرة في رحلة مباشرة من بلدها الأصلي إلى بلد العمل أو عكسه، مع تقليل تعرضها للانفراد، وذلك بأن يصحبها الزوج أو المحرم إلى مطار المغادرة، ويتلقاها أحدهما في مطار الوصول) ولا تزيد مدة السفر عن يوم وليلة، فإن سفرها حينئذ يكون مباحا؛ ولذلك تجيب اللجنة بخصوص الحالة المذكورة في السؤال أن ذلك لا بأس به. والله أعلم.

هل تسافر الطالبة الجامعية دون محرم؟

٨٤/١٦/٦ع

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التّالي:

هل يجوز للطالبة الجامعية أن تسافر في رحلات علمية أو سياحية خارج البلاد سواء إلى الدول الأوروبية أو غيرها، (دون محرم)؟ وما حكم الجمعيات العلميّة في الجامعة التي تيسّر لهنّ السفر، ولا تشترط عليهن اصطحاب المحرم؟

أجابت اللجنة بما يلي:

نَهَت الشريعة عن سفر المرأة سفرا طويلا ما لم يكن معها زوجها أو ذو محرم منها، وذلك لقول النبي ﷺ فيما صح عنه: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفرا يكون ثلاثة أيام فصاعدا إلا ومعها أبوها، أو ابنها، أو زوجها، أو أخوها، أو ذو محرم منها»، وهذا حرص من الشريعة على صيانة المرأة درءًا للفتنة عنها، ولضمان عدم تعرضها لما يخدش عرضها أو يمتهن كرامتها، ولا يجوز مخالفة هذا الحكم الشرعي إلا في حالات الاضطرار، كمن توفي محرمها في السفر وأرادت العودة إلى بلدها، أو للمعالجة من مرض شديد لابد لها من السفر لأجله، وليس لها زوج أو محرم، وقد يكون مما تحتاج إليه المرأة، والحاجة قد تنزل منزلة الضرورة، ولكن تقدر بقدرها، وتعتبر ذلك حكما استثنائيا ينبغي الاحتياط في تطبيقه على أن يراعى أخذ الاحتياط في شأن السّكن والتنقل، وأثناء الدّراسة يجب اتخاذ الملابس الشرعية المحتشمة. والله أعلم.

إنفاق المرأة على والديها

٨٣/٢١/٣

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التّالي:

هل تكلف البنت شرعا بإعالة والدتها الأرملة أو المطلقة إذا

وأمرهن بتعلم الكتاب والحكمة كما أمرهم، وأجمعت الأمة على ما مضى به الكتاب والسنة من أنهن مجْزِيَّات على أعمالهنّ في الدّنيا والآخرة.. أفيجوز بعد هذا كله أن يُحْرَمْنَ من العلم بما عليهنّ من الواجبات، والحقوق لربهن ولبعولتهن ولأولادهن ولذي القربى وللأمة والملة؟

والناظر في تاريخ الأمة الإسلامية يرى كثيرًا من نساء المؤمنين من عهد الرسول ﷺ إلى يومنا هذا ممّن اشتهرن بالعلم والفتوى والتعليم؛ ومنهن:

١- عائشة بنت الصديق رضي الله عنها؛ فقد قال عروة بن الزبير رحمه الله: «ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا طب ولا بشعر من عائشة رضي الله عنها»(الاستيعاب ٤/٤٣٥).

٢- أمّ الدرداء؛ خيرة بنت أبي حدرد الأسلمي رضي الله عنها؛ كانت تحفظ العلم عن رسول الله ﷺ وعن زوجها أبي الدرداء رضي الله عنهما.

٣- عائشة بنت عجرد التابعية رحمها الله؛ روت عن الصحابة رضي الله عنهم، وعن أبي حنيفة رحمه الله.

٤- كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية؛ الشيخة العالمة المسندة؛ أم الكرام؛ روت صحيح البخاري، وأخذ عنها العلماء.

٥- فاطمة بنت محمد بن علي البزازية البغدادية، أخذ عنها جماعة من أهل العلم؛ منهم: ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى.

٦- ست الدار بنت عبدالسلام ابن تيمية؛ الشيخة الصّالحة بنت العلامة مجد الدين؛ روى عنها جماعة؛ منهم ابن أخيها شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله تعالى.

٧- مريم بنت أحمد بن محمد الأذرعية المصرية الحنفية؛ أخذ عنها جماعة من أهل العلم؛ منهم: ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى.

٨- جدة الإمام عبدالكريم الرافعي الشّافعي؛ جاء في ترجمته أنَّ جدَّتَه هذه كانت تفتي النّساء.

وغيرهن كثير!!

وما أحوج الأمة اليوم إلى أمثال هؤلاء النّساء؛ كي يقمن بنشر العلم، وتبليغ الدِّين الصّحيح، وسدِّ حاجة مجتمع النّساء في الإفتاء والوعظ والتّدريس والتّوجيه.

كانت والدتها لا تستطيع الكسب؟ ومن هو العائل الشرعي للوالدين وكيف يتحقق؟

أجابت اللجنة بما يلي:

إنّ البنت تُكلَّف شرعا بإعالة والدتها الأرملة أو المطلقة إذا كانت والدتها ليست ذات مال، ولا تستطيع الكسب، وذلك إذا كانت البنت ذات مال أو تستطيع التكسب بغير مانع شرعي.

أمّا العائل الشرعي للوالدين فهو الولد ذكرا كان أو أنثى، إذا كان الوالدان عاجزين عن التكسب، وكان الولد غنيا ذا مال أو قادرا على التكسب، فإن عجز انتقل واجب الإنفاق إلى أقرب وارث للوالدين، على أن يُراعى عند تقدير النفقة حال اليسار بالنسبة لمن تجب عليهم النفقة. والله أعلم.

العقد على حامل من الزنا

٧٩/٧١/٥

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التّالي: ما حكم العقد على امرأة حامل من الزّنا تبيَّن حملُها؟ وإذا كان العقد غيرَ صالح؛ فهل يجدد بعد الوضع؛ علمًا بأن العاقد لم يمسّها مدة الحمل؟

أجابت اللجنة بما يلي:

بعدم صحّة العقد على المرأة الحامل من الزّنا، ويجدد العقد بعد الوضع، والله أعلم.

ما يحل للمعتدة وما يحرم عليها

٨٤/٢٩ح/٤

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التّالي: سيدة توفي عنها زوجها، وتسأل: هل يجوز أن تضع الحناء على رأسها للضرورة؟ وهل يجوز أن تلبس حجابا جديدا على رأسها؟ وهل يجوز لها أن تضع بخورا طبيا؟

أجابت اللجنة بما يلي:

الحناء إذا كان وضعه للعلاج فلا بأس به، وأما إذا كان للزينة، وهو ما يوضع في اليد أو الرجل غالبا، فلا يجوز في حال العدة، وأما وضع حجاب جديد فجائز، وكذلك البخور الطبي. والله أعلم.

خروج المعتدة للعمل

٧٩/٦١/٥

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التّالي: أحد بنود قانون الخدمة المدنية والذي يدور حول عدة المرأة الموظفة المتوفى عنها زوجها حاملا كانت أو غير حامل.. هل يجوز لها الاستمرار في العمل أو الانقطاع طيلة مدة العدة.

أجابت اللجنة بما يلي:

إن المتوفى عنها زوجها لا يجوز لها الخروج من بيتها إلَّا لضرورة، فمثلا يباح لها أن تخرج بالنهار لعملها المعتاد على ألا تتزين بأي نوع من أنواع الزينة، سواء باللباس أو غيره، وعلى أن تبيت في منزل الزوجية الذي كانت فيه عند الوفاة، وذلك مدّة العدّة، وهي مدة الحمل لمن كانت حاملا أو أربعة أشهر وعشر إن لم تكن حاملا. والله أعلم.

بيان توضيح

في عدد ٥٧٤ بتاريخ جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ أبريل- مايو ٢٠١٣م من مجلة «الوعي الإسلامي» القيمة، جاء في العدد استطلاع للأخ/ علاء عبدالفتاح كتب فيه عن أحوال وأخبار الجمعيات والمساجد بألمانيا- فرانكفورت، ووصف فيه ما تعانيه بعض المساجد من نقص في الإمكانات ونحو ذلك، وأشار إلى السبب الأساسي، وهو نقص الدعم المادي لهذه المساجد وتلك الجمعيات، وذكر أيضا نماذج لمساجد تقوم بأنشطة عديدة ومساجد أخرى ظروفها صعبة ونشاطاتها ضعيفة، ومن بين تلك المساجد التي جاء ذكرها في الاستطلاع مسجد «أبوبكر الصديق» والذي جاءت صورته متصدرة هذا الاستطلاع، فذكر الكاتب أن المسجد به مئذنة تشق سماء فرانكفورت، وأن نظافته وترتيبه يليقان بضاحية المدينة، لكن النشاط يبدو بسيطا، فلم نلمح سوى مجموعة صغيرة من الأطفال والسيدات يصعدن الطابق الثاني لتعلم بعض قواعد اللغة العربية.

هذا ما ذكره الأخ كاتب الاستطلاع، وما قاله صحيح إجمالا، ونحن في المسجد إدارة وإماما وروادا لدينا شعور ملازم بالتقصير، وننشد الأفضل ونسأل الله أن يعيننا، ويغفر تقصيرنا، ولكن أحب أن ألحق إلى الاستطلاع- لو تكرمتم- أن هذا المسجد -مسجد أبوبكر- يحضره العشرات من المصلين في الصلوات اليومية، وذلك في الأيام العادية، أما في يومي السبت والأحد باعتبارهما يومي إجازة، فيحضر الصلاة ما يصل إلى مائة ومئتين، بل وأكثر من ذلك أحيانا، ويحضر الجمعة ما بين ٥٠٠ إلى ألف، أو أكثر من ألف في المناسبات، من الرجال والنساء والأطفال، ومن بين النشاطات التي يقوم عليها المسلمون في المسجد:

- مدرسة لتحفيظ القرآن تضم أكثر من ١٠٠ تلميذ وتلميذة يقوم عليها شيخ معلم.
- ودروس يومية في مختلف العلوم الشرعية.
- ومدرسة للغة العربية تضم أكثر من ٥٠ تلميذا وتلميذة.
- وفصل خاص بالبنات الكبار لتحفيظ القرآن الكريم، تقوم عليه معلمة.
- نشاطات خاصة بالشباب، كالمبيت الشهري، وبه برنامج جيد.
- إضافة إلى الندوات والملتقيات.
- والمسجد قبلة للألمان الذين يريدون التعرف على الإسلام، ولا يمر تقريبا شهر إلا ويدخل واحد أو أكثر من الألمان في الإسلام، ولله الحمد.

نقول هذا لا لنمن على ربنا، أو نحصي على ديننا -حاشا الله- فنحن نحس بأن دور المسجد أكبر من ذلك، ويستوعب نشاطات أخرى كثيرة، ولكننا نحس بالعجز لضعف الإمكانات المادية والأدبية -أحيانا- فقط، أردت تبيين حقيقة الوضع من ناحية، وتبشير المسلمين من ناحية أخرى، مع اعترافنا بالقصور الذي لا تخفى عليكم أسبابه. وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

حماد كامل

لا شكر على واجب

يطيب لي أن أتقدم بجزيل الشكر وجميل العرفان إلى أسرة تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» على نشرها لمقالي المتواضع تحت عنوان «نستميحكم عذرا» في العدد ٥٨٠، كما أرفع إليكم وافر الامتنان من أعمق الوجدان على دعوتكم الكريمة لنا للمشاركة في تحرير مقالات مجلتنا الرائدة، فقد لاقت هذه الدعوة الطيبة منكم هوى في نفسي.

وإن الأمل يحدونا أن نرى ما تخطه أيدينا من مقالات فكرية وقصائد شعرية منشورة بين دفتي مجلتنا «الوعي الإسلامي»، زادها الله تعالى تألقا وريادة، وبارك في عمرها المديد الذي تقضيه في

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

aelbarbary@live.com

فضل العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على خير مبعوث للعالمين، سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين.. الأستاذ الفاضل فضيلة الشيخ المفكر فيصل يوسف العلي، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، سيدي الفاضل، كان لما قرأت في رثائكم لوالدي المرحوم بإذن الله الشيخ علي الراوي وقع كبير في نفسي وأسرتي، فأشكركم شكرا جزيلا على تلكم الكلمات الرقيقة النقية بنقائكم وطهر سريرتكم وطيب منبعكم، والله أسأل أن يوفقكم لما يحبه ويرضاه، ويحفظكم من كل سوء، ويزيدكم من علمه وفضله، إنه سميع الدعاء.. ابنكم محمد علي الراوي الرفاعي - الموصل.

التحرير: جزاكم الله خيرا، لم نكتب إلا ما أملاه علينا عرفاننا بفضائل والدكم الشيخ علي الراوي أسكنه الله جناته مع الصالحين وحسن أولئك رفيقا.

الحق أحق أن يتبع

ليس من الضروري أن يكون الأساس في الحوار هو الخلاف، ولكنه، للأسف، أصبح ثقافة تبنى عليها كثير من محاوراتنا، فليس من الضروري أن يكون الحق في صفي أو في صفك، المهم هو وجود الحق، وأن نتبعه أنا وأنت حين يظهر لنا.. ليس من الضروري أن تنتهي جدالاتنا بخصام وقطيعة، لا لشيء إلا لأني تبنيت رأيا مخالفا لرأيك.

الحياة عبارة عن مرحلة وجسر يعبر به إلى الآخرة، وليست مكانا للملمة الأحقاد في القلوب وتصور الأمور على غير مرادها، كما أنها ليست مجرد نزهة تنتهي بانتهائها عبر ركوب مركب الموت والانتقال للدار الآخرة، دون إدراك أن كل ما جرت به المقادير وكسبته القلوب والعيون والأيادي هو عبارة عن حصيلة مسؤول عنها من اكتسبها أمام أعدل العادلين رب العالمين.

إن في الحياة متسعا للآراء، كما أنه بها متسع لدراستها وتبيان حقيقتها طالما انضبطت بضوابط الشرع، وكانت أساسا يراد منه الخير والإصلاح، كما أن حكر التفكير على فئة دون فئة ومصادرة جميع الآراء المخالفة عبر ديكتاتورية مقيتة مشابه لتلك الظروف التي عايشتها مجتمعاتنا لأكثر من ٦٠ سنة.. كما أن ربط الفشل بغير مسبباته ومحاولة التملص من المسؤوليات كان حاضرا وكفيلا بصناعة ثقافة الرجل الواحد الذي يجب على الكل أن يقتدي برأيه.

إن حقيقة القبول بالآخر مهما كانت درجة اختلافنا معه تظل هي الحقيقة التي ينبغي ألا تغيب عن أحد.. هذه الحقيقة قد لا يدركها الكثيرون، ولكنها واقع يجب أن ندركه إن أردنا تكوين مجتمع قوي قادر على تغيير حاله للأفضل مستقبلا، كما أنها السبيل الأمثل لحياة يتقبل فيها الإنسان أخاه الإنسان، وفقا لما أمر الله تعالى به، كما أنها نبراس يمكن من خلاله أن تتحطم صخرة الجمود التي ارتأى الكثيرون أنها السبيل الأمثل للحياة.

محمد سعود البنوان

المحرر: إن الكبر الذي يحرم أصحابه من دخول الجنة إذا استقر في القلب هو الداء، ولو استطعنا أن نخضع أنفسنا للتواضع والتسامح وحب الحق لذاته لتواصلنا ولعمت الفائدة.. أحسنت أخي الكريم.. ندعو الله أن ينفع الأمة بكلماتك.

صومعة الإعلام الإسلامي الهادف.

خالد برادة

التحرير: نشر المقالات الجيدة واجب لا نستحق عليه شكرا، فالهدف هو إيصال كل ما هو مفيد للقارئ، لعل الفائدة تعم إن شاء الله. نشكركم وفي انتظار مزيد من مساهماتكم.

الغنيمةُ الباردة

- قال رسول الله ﷺ: «الصوم في الشتاء، الغنيمة الباردة» (رواه أحمد).
- وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الشتاء غنيمة العابدين» (رواه أحمد في الزهد).

حياءُ القادر

دخل رجلٌ على الأمير المجاهد قتيبة بن مسلم الباهلي، فكلمه في حاجة له، ووضع الرجل نصل سيفه على إصبع الأمير (من غير قصد)، وجعل يكلمه في حاجته وقد أدمى النصلُ إصبعه.

فلما فرغ الرجل من حاجته وانصرف، دعا قتيبة بن مسلم بمنديل فمسح الدم من إصبعه وغسله.

فقيل له: ألا نحيت رجلك، أصلحك الله، أو أمرت الرجل برفع سيفه عنها؟

فقال: خشيتُ أن أقطع عنه حاجته.

.. فتأمّل.

(**الحديقة لمحب الدين الخطيب ٣/١٣١٠**)

علامات الجهل

قال أبو الدرداء: إن علامة الجهل ثلاث: العجب، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه، وأن ينهى عن شيء ويأتيه.

(**جامع بيان العلم وفضله**)

داء الحرص عند العلماء

لا يُنكر أن الطباع تحبُّ المال؛ لأنه سبب بقاء الأبدان، لكنه يزيد حبه في بعض القلوب، حتى يصير محبوبًا لذاته، لا للتوصل به إلى المقاصد! فترى البخيل يحمل على نفسه العجائب، ويمنعها اللذات، وتصير لذاته في جمع المال! وهذه جِبلَّة في خلق كثير، وليس العجب أن تكون في الجهال، بل العجب أن تكون في أهل العلم.

وينبغي أن يؤثر فيها عند العلماء المجاهدة للطبع ومخالفته، خصوصًا في الأفعال اللازمة في جمع المال، فأما أن يكون العالم جامعًا للمال من وجوه قبيحة، ومن شبهات قوية، وبحرص شديد، وبذل في الطلب، ثم يأخذ من الزكوات، ولا تحل له مع الغنى، ثم يدخره، ولا ينفع به: فهذه بهيمية تخرج عن صفات الآدمية، بل البهيمية أعذر؛ لأنها بالرياضة تتغير طباعها، وهؤلاء ما غيرتهم الرياضة، ولا أفادهم العلم!

(**صيد الخاطر ١/٣٠٤**)

لماذا يأخذ العبدُ ما حرَّمه الله عليه؟!!

قال الإمام ابن القيّم رحمه الله تعالى:

«ما أخَذَ العبدُ ما حُرِّم عليه إلّا من جهتين:

إحداهما: سوءُ ظنِّه بربِّه، وأنَّه لو أطاعه وآثَره لم يعطه خيرًا منه حلالًا.

والثّانية: أن يكونَ عالما بذلك، وأنّ مَن ترَك لله شيئًا أعاضه خيرًا منه، ولكن تغلِبُ شهوتُه صبرَه، وهواه عقله.

فالأوّل من ضعف علمِه، والثّاني من ضعف عقلِه وبصيرتِه».

(**الفوائد ص: ٦٣**)

السّلامة.. لا يعدلها شيء!!

قال الإمام ابن القيِّم رحمه الله تعالى: «كيف يَسلَمُ من له زوجةٌ لا ترحمُه، وولدٌ لا يعذرُه، وجارٌ لا يأمنُه، وصاحبٌ لا ينصحُه، وشريكٌ لا يُنصفُه، وعدوٌّ لا ينام عن معاداتِه، ونفسٌ أمّارة بالسُّوء، ودنيا متزيِّنة، وهوى مُرد، وشهوةٌ غالبةٌ له، وغضبٌ قاهر، وشيطان مزيِّن، وضعفٌ مستولٍ عليه؟!!

فإن تولاه الله، وجذبه إليه؛ انقهرت له هذه كلها، وإن تخلّى عنه، وَوَكَلَه إلى نفسه؛ اجتمعت عليه فكانت الهلكة»

(**الفوائد: ص ٦٤**)

الصّديق

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:

- «ما الدخان على النار بأدلّ من الصاحب على الصاحب».
- قال الخليل بن أحمد: الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال.
- قيل للخليل: استفساد الصديق أهون من استفساد العدو؟ فقال نعم، كما أن تخريق الثوب أهون من نسجه.
- قال ميمون بن مهران: صديق لا تنفعك حياته؛ لا يضرك موته.
- قيل لابن المقفع: الصديق أحب إليك أم القريب؟ فقال: القريب أيضًا يجب أن يكون صديقًا.

(الحديقة لمحب الدين الخطيب ١٣٠٢/٣)

ميزان الرّجولة

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله:
«لا يغرّك من الرّجل طنطنَتُه (أي: صخبه، وارتفاع صوته)، وما تراه يفعل من صلاة، وصوم، وصدقة، وعزلة.. إنّما الرّجل هو الذي يراعي شيئين: حفظَ الحدود، وإخلاصَ العمل».
(صيد الخاطر ص ٥٣٧).

الظاهرية البحتة

قال العلامة ابن القيم رحمه الله:
«ودع الظاهرية البحتة؛ فإنها تقسي القلوب، وتحجبها عن رؤية محاسن الشريعة وبهجتها، وما أودعته من الحكم والمصالح والعدل والرحمة».
(تهذيب السنة لابن القيم ١٨٠/١)

متى تجدُ المشقّة في ترك اللذة المحرّمة؟!

قال الإمام ابن قيّم الجوزيّة رحمه الله:
«إنّما يجد المشقّة في ترك المألوفات والعوائد مَن تركَها لغير الله.. فأمّا مَن تركَها صادقًا مخلصًا من قلبه لله؛ فإنّه لا يجد في تركها مشقّة إلّا في أوّل وهلة؛ ليمتحن: أصادقٌ هو في تركها، أم كاذب فإن صَبرَ على تلك المشقّة قليلًا؛ استحالت لذّة (أي تحولت لذة)!!».
(الفوائد: ص ١٠٧).

جنود الطاعة.. وجنود المعصية

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «ولايزال العبد يعاني الطاعة ويألفها ويحبها ويؤثرها؛ حتى يرسل الله سبحانه برحمته عليه الملائكة تأزّه إليها أزّا، وتحرضه عليها، وتزعجه عن فراشه ومجلسه إليها.

ولايزال يألف المعاصي ويحبها ويؤثرها، حتى يرسل الله إليه الشياطين فتأزّه إليها أزّا.

فالأول: قوّى جند الطاعة بالمدد؛ فكانوا أكثر من أعوانه.

وهذا: قوّى جند المعصية بالمدد؛ فكانوا أعوانا عليه».

(الداء والدواء: ١٤٠)

إيّاك أن تكونَ على هذه الحال!!

قال الإمام ابنُ الجوزيِّ رحمه الله:
«أعظم المعاقَبة: ألا يَحسّ المعاقَبُ بالعقوبة. وأشدُّ من ذلك: أن يقعَ السّرورُ بما هو عقوبة؛ كالفرح بالمال الحرام، والتّمكن من الذنوب.

ومَن هذه حالُه.. لا يفوزُ بطاعة».

(صيد الخاطر: ص ٢).

مسك الختام

«أزمة الفعالية».. وأمتنا

أحمد عبدالجواد زايدة
باحث دراسات إسلامية

لا تزال كبرى أزمات أمتنا التي عاشتها قديمًا وتعيشها حاضرًا- وقد تعيشها مستقبلا- هي أزمة «الفعالية» التي أُنيطت بها هذه الأمة، متمثلة في راية «الشهود» المنصوص عليها في قول الله- تبارك وتعالى- ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣)، وهي المتمثلة كذلك في ركيزة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (آل عمران:١١٠).

فإخراج الأمة ووجودها مرتبط ومعلل بمهمة القيام بمقام الشهادة، وتولي مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بما يعنيه من إقامة مقاصد الدين وتنزيل شريعة الله، بما يضمن تحقيق المصالح المعتبرة في العاجل والآجل للعالمين، وفعل كل ما يؤدي إلى هذا، ومدافعة كل ما ينافي تحقيق هذا ويقف حائلا أمامه، وعائقا في سبيل تحقيقه وتنزيله.

أدوار هذه «الفعالية» وواجبات هذه «الخيرية» ومضامين وسبل هذا «الشهود» يمثله ما ذكره الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره «التحرير والتنوير»، حين تحدث عن «فيما يحق أن يكون غرض المفسر»، فتحدث عن الصلاح الفردي والصلاح الجماعي والصلاح العمراني، مع ما يشتمله كل بند منهم من مضامين تتعلق ببناء الأمة وفعالية إنسانها، لتنزيل وتحقيق مقاصد هذا الدين في العالم والكون، لتحقيق الشهود على الناس.

إن كبرى أزمات هذه الأمة أن مصلحيها صالحون! وليسوا مصلحين.. أي أن صلاحهم محدود وليس متعديا، وبالتالي فإن فعاليتهم لا تتوازى ولا تتناسب مع مقاصد هذا الدين، الذي يجب على من يعتنقه ويحمل رسالته أن يسعى إلى تجسيدها وتفعيلها وتنزيلها في عالم الشهادة، بما يستلزمه من رؤية واضحة واستراتيجيات متعددة وخطط تنزيلية تدرك وتفهم وتميز بين الخطط المرحلية قصيرة الأجل.. والخطط متوسطة المدى والخطط بعيدة الأجل، وكيف يمكنها أن توازي بينهم بحيث تدور كل واحدة في أفق الأخرى بتراكم وتكامل، لا بتعارض وتضاد..

يقابل هذا أن قوى الشر والفساد هي في الحقيقة قوى (صناعة الشر)، تعمل بحرفية ومؤسسية وتكامل، ففسادها ليس كامنا في ذاتها فقط، بل هو متعد بما يصل لمراتب الإفساد وصناعته ونشره بكافة الأساليب والوسائل والجهود.

كبرى أزمات هذه الأمة أن (مصلحيها) صالحون لا مصلحون؛ في حين أن (مفسديها) مفسدون لا فاسدون فحسب؛ توقف فعالية الخير ليبقى في حدوده، مع بقاء فعالية الشر خارج حدوده، فينتفي التدافع الحقيقي.. وشتان شتان بين المرتبتين.

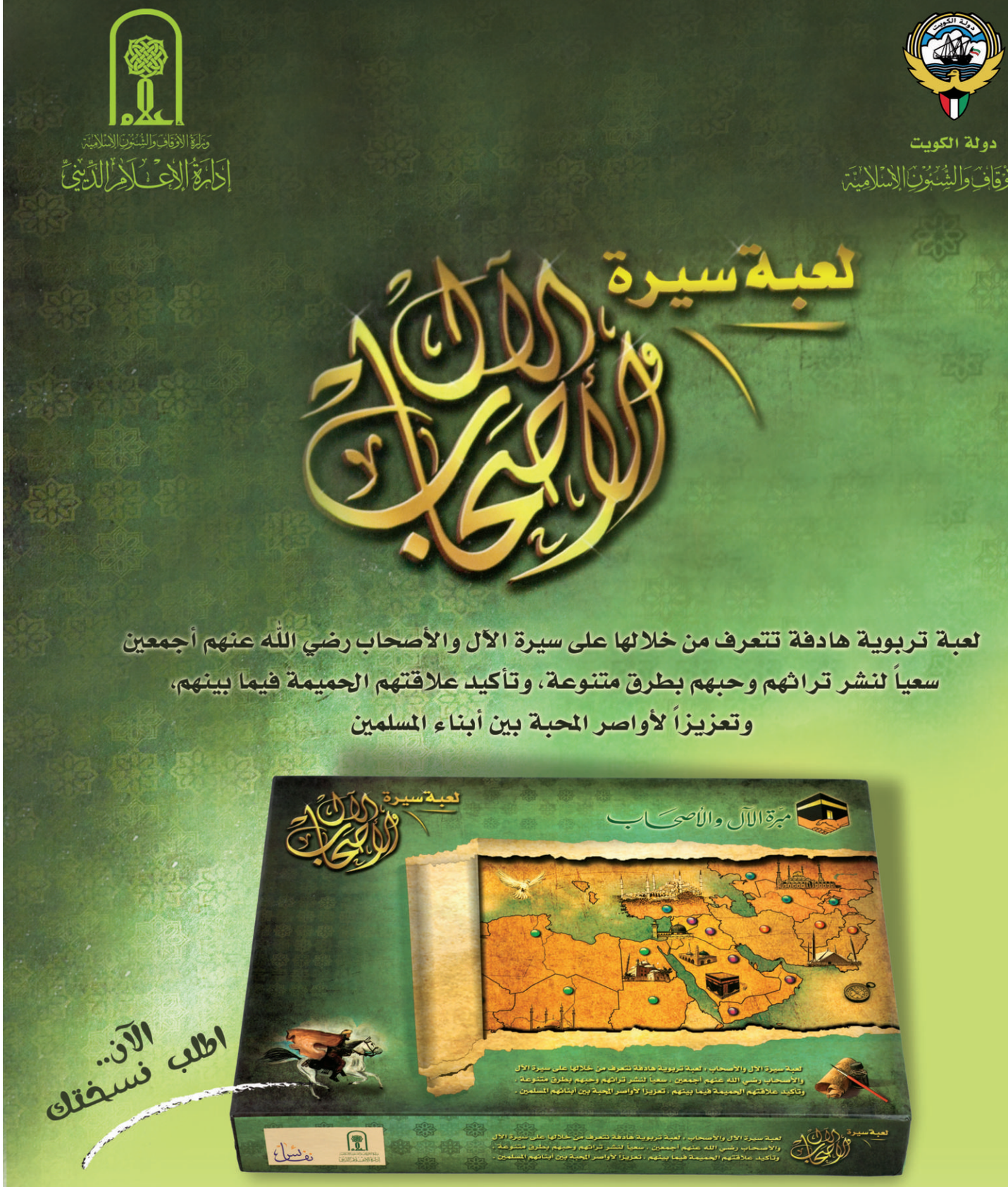
دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني
لعبة سيرة
الآل والأصحاب
لعبة تربوية هادفة تتعرف من خلالها على سيرة الآل والأصحاب رضي الله عنهم أجمعين
سعياً لنشر تراثهم وحبهم بطرق متنوعة، وتأكيد علاقتهم الحميمة فيما بينهم،
وتعزيزاً لأواصر المحبة بين أبناء المسلمين
مبرة الآل والأصحاب
الآن.. اطلب نسختك
إدارة الإعلام الديني - مجمع الوزارات بلوك ١٦ - الدور الأول - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
تلفون : ٨ / ٢٢٤٨٧٣٢٧ - فاكس: ٢٢٤٨٧٣٢٦
إدارة الإعلام الديني
RedAwqaf
تفضلوا بزيارتنا .. للفوز بجوائزنا
www.nafaess.com

الوعي الشبابي

www.alwaeialshababy.com

- مواضيع حيوية ومعاصرة
- حوارات حصرية مع الشباب المبدعين
- مقالات لأبرز الكتاب الشباب

«الوعي الشبابي» مجلة شبابية
إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسلامي»
رئيس التحرير : فيصل يوسف العلي

www.alwaeialshababy.com
الوعي الشبابي

Shabab alwaei @alwaeialshababy